التنصير - الاستشراق - الإستعمار
والصهيونية العالمية

الكتاب
الاستشراف- الإستعمار والصهيونية العالمية

المؤلف : الدكتور محمد موسى محمد أحمد البر
رقم الطبعة : الأولى
تاريخ الإصدار : ٢٠١٤م
حقوق الطبع : محفوظة للناشر
رقم الإيداع :
الترقيم الدولي :

جمع وتنفيذ وإخراج: كمبيورايتر لخدمات دور النشر «عادل ندا»
(compu2writer@gmail.com) (002-01000390516)

الناشر



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي
٨٢ شارع وادي النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢)
محمـــول : ٠١٢٢ ١٧٣٤٥٩٣
البريد الإليكتروني:
m.academyfub@yahoo.com
m.academyfub@gmail.com

الدكتور/
محمد موسى محمد أحمد البر

التنصير - الاستشراق - الإستعمار والصهيونية العالمية

دراسة للآثار السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية على العالم الإسلامي

الناشر



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الأنعام، الآية ٥٥)

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الأنعام، الآية ١٥٣)

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ « يُوشِكُ الأمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكُمْ كمَا تَدَاعَى الأكَلَة إلى قصْعَتِهَا » . فقال قائل: « ومِن قلّةٍ نحن يومئذٍ؟! » قال: « بَلْ أنتمْ يومَئِذٍ كثِيرٌ، ولكِنّكُمْ غُثَاءٌ كغُثَاء السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المهَابَة منكُمْ، ولَيَقذِفنَّ اللّهُ فِي قلوبكُمُ الوَهَنَ» . فقال قائل: «يا رسول اللّه! وما الوَهَن؟» قال: « حُبُّ الدُّنيَا وَكَرَاهِيَة الموتِ ».

سنن أبي داوود - كتاب الملاحم ٣٥٤٧

إهـداء

أهدي هذا الجهد المتواضع من البحث العلمي في المجـالات المذكورة للجيل الصاعد من المسلمين ذلك الجيل الـذي يود أن يعيد الحياة الإسلامية سيرتها الأولى والـذي آل على نفسه أن يدافع عـن الإسلام والمسلمين بالـسنان والبنان واللسان. وذلك تبـصيراً مـني لـه بأعـداء الإسـلام والمـسلمين حتـى يكـون دفاعـه عـن كيانـه علـى بصيرة وأن يـصوب سـهامه الفكـريـة لـدرء خطـر هـذه المؤسسات على الإسلام.

كمـا أهديــه إلى زملائــي مــن قــادة الــرأي والتوجيــه. العاملون في ميادين الدعوة والإعلام والتعليم.

المُحتَويَاتْ

ملخص الدراسة [مقدمة]

يتعرض العالم الإسلامي منذ وقت طويل إلى هجمات عديدة صادرة عن الغرب النصراني، هذه الهجمات ذات أهداف دينية قديمة وقد نشطت هذه الهجمات في القرنين التاسع عشر والعشرين وبلغت ذروتها في القرن الحادي والعشرين كان لابد من دراسة طبيعة هذه الهجمات والمؤسسات التي قادتها ودراسة الآثار التي خلفتها هذه الهجمات على العالم الإسلامي.

ونسبة لأن هذه الهجمات ذات طبيعة دينية كان لابد أن يتطرق البحث إلى الديانة التي قادت الحملات على العالم الإسلامي، ومعروف أن الغرب الأوروبي تبنى الديانة النصرانية على الرغم من أن الديانة النصرانية ديانة شرقية أصلاً. تعرض البحث في فصوله الأولى لدراسة النصرانية ووضح أصولها ومعتقداتها وما دخل عليها من تغيير وتبديل وأنها لم تعد هي الرسالة التي نزلت على عيسى عليه السلام، تحولت النصرانية إلى الصليبية، والصليبية هي التي قادت الحروب الصليبية على العالم الإسلامي ناقش الباحث الحروب الصليبية وتعرض إلى أهدافها ودوافعها ونتائجها في العالم الإسلامي، كما تعرض البحث إلى جهاد المسلمين وصدهم لهذه الحروب وقيادة صلاح الدين الأيوبي والمماليك وكيف تم طرد الصليبيين من العالم الإسلامي، وقد خرجت الجيوش الصليبية من العالم الإسلامي بعد وجود قرنين من الزمان، ولكن عادت الحروب الصليبية مرة أخرى تغزو العالم الإسلامي غزواً غير مسلح. قادة هذا الغزو جماعات التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية العالمية.

تناول الباحث أذرع هذا الغزو المذكور في السطور المتقدمة بالتحليل حيث عرف بكل من التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية العالمية. وتاريخ كل واحدة من هذه المؤسسات، وكيف أن هذه المؤسسات عملت متآزرة ومتعاونة في ميدان السياسة والثقافة والحياة الاجتماعية وكان لها آثار واضحة على خريطة العالم الإسلامي.

واستعرض البحث كيفية تعامل العالم الإسلامي مع هذه المؤسسات، التعامل السلبي الذي سار في ركب هذه المؤسسات وساعدها معنوياً ومادياً وضرب مثلاً بذلك بحركات والت الإستعمار ومفكرين كذلك.

كما تعرض البحث إلى الحركات التي واجهت الإستعمار والغزو الوافد، حركات مقاومة عسكرية حيث كانت حركة محمد عبد الله الحسن في الصومال نموذجا لحركات المقاومة العسكرية.

وقد كانت هنالك مقاومة فكرية استعرض البحث حركة جمال الدين الأفغاني ودعوته كنموذج لحركات المقاومة الفكرية، وكان أخره مواكباً لما عليه حال العالم الإسلامي في هذه الأيام حيث جاء الباب السادس الذي يحتوي على ثلاثة عشر مقالاً تحت عنوان (الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث وهي مقالات معاصرة عن الإستعمار والحرب الصليبية في القرن العشرين) أسأل الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتي وأن يسهم في تشكيل العقل المسلم حتى يستبين سبيل المجرمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقد جاء في ستة أبواب كما يلي:

- الباب الأول: وهو عبارة عن مدخل بعنوان النصرانية والحروب الصليبية وواقع المسلمين.
- الباب الثاني: بعنوان التنصير.
- الباب الثالث: بعنوان الاستشراق

- الباب الرابع: بعنوان الإستعمار
- الباب الخامس: بعنوان الصهيونية العالمية
- الباب السادس: بعنوان الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث (مقالات معاصرة عن الإستعمار والحروب الصليبية المعاصرة).

أرجو أن يكون هذا البحث من المصدات التي تذب عن الإسلام المهددات الحديثة والحروب العسكرية الجريئة التي يقودها كل من التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية العالمية. وأن يكون دفاعاً عن وجود الأمة الإسلامية إذ أن الدفاع عن الوجود مقدم على الدفاع عن الحدود، كما آمل أن يكون هذا البحث ضرباً من ضروب الاهتمام بأمور الإسلام والمسلمين وأن يتقبله الله مني ويثقل به موازين حسناتي ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

د. محمد موسى محمد أحمد البر

الباب الأول

مدخل لدراسة النصرانية والحروب الصليبية وواقع العالم الإسلامي

يحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول كما يلي:

- الفصل الأول: مفهوم النصرانية
- الفصل الثاني: الحروب الصليبية
- الفصل الثالث: واقع العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية

الفصل الأول

مفهوم النصرانية

نسبة لأن الدراسة عنوانها: التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية، وهي مؤسسات قادمة من الغرب النصراني إلى الشرق الإسلامي ومن ضمن وأهم أهداف هذه المؤسسات نشر الديانة النصرانية، حتى الحروب الصليبية كان أكبر أهدافها ديني، ومعروف أن الصليبية ذات صلة بالنصرانية، لذا كان لابد للباحث أن يتعرض لمفهوم النصرانية كديانة ويستعرض أطوار هذه الديانة التي كانت ولا تزال وراء حركات التنصير والاستشراق والإستعمار، ولاسيما وأن الحروب الصليبية في القديم والحديث تلك الحروب التي قادها الغرب النصراني لغرس الصليب في بلاد المسلمين كما صرح بذلك قادتهم لا تزال هذه الحروب قائمة ومشاهدة كان لابد للباحث أن يعرف بمفهوم النصرانية والمراحل التي مرت بها حتى اتخذت الصليب لها شعاراً، وقد كان الصليب يحمله النصارى على كتوفهم عندما شنوا الحرب على العالم الإسلامي في القرن الحادي عشر الميلادي.

الديانة النصرانية هي الدين الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام والنصرانية تفصيلاً الديانة المسيحية التي أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل داعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي، ولكنها سرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها

السماوية الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية[١].

لقد جاء بهذه الرسالة النصرانية عيسى عليه السلام الذي ولد في بيت لحم من أمه مريم وذلك من غير أب، إذ نفخ الله فيها من روحه فكان ميلاده حدثاً عجيباً على هذا النحو ليلقي بذلك درساً على بني إسرائيل الذي غرقوا في الماديات وفي ربط الأسباب بالمسببات بعث عيسى عليه السلام نبياً إلى بني إسرائيل مؤيداً من الله بعدد من المعجزات الدالة على نبوته نذكر منها:

١- أنه كان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.
٢- وكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.
٣- وكان يحيي الموتى بإذن الله.
٤- وكان يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله
٥- وقد أيده الله بمائدة من السماء أنزلها عليهم لتكون عيداً لأولهم وآخرهم.
٦- غضب اليهود عليه فأغروا به الحاكم الروماني الذي تجاهلهم أولاً ثم كذبوا عليه وتقولوا مما جعله يصدر أمراً بالقبض عليه وإصدار حكم الإعدام ضده.
٧- ألقى الله شبه على صورته على رجل من أصحابه يقال له (يهوذا الأسخربوطي) فنفذ الحكم فيه، أما عيسى فقد توفاه الله بعد ذلك ورفعه إليه[٢].

والنصرانية في الأصل نسبة إلى نصرانية وهي قربة المسيح عليه السلام من أرض الخليل وتسمى هذه البلدة ناصرة ونصورية، والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى.

أما في الاصطلاح، فالنصرانية من النصارى وهم المنتسبون للإنجيل، ولا أعرف على التحديد متى صارت النصرانية علماً على دين أهل الإنجيل وقد وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في أوائل القرن الثاني الميلادي، إذ كتب بلين، وكان والياً على آسيا إلى إمبراطور (تراجان) الموجود عام ١٠٦م كتاباً يشرح فيه طريقة

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٩م، ص٤٩٩.

(٢) المرجع نفسه ص٥٠٠.

تعذيبه للمسيحيين فقال: جربت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية:

وهي أنهم سألتهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل فإذا أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم ثم يقول بلين: وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تزيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى وقد يفهم من القرآن أنهم أحدثوا هذا الاسم إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤] أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عليه السلام على أنه لا ينبغي إطلاقها الآن على النصارى لأن هؤلاء في الواقع لا ينتسبون للمسيح عليه السلام، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله ﷺ تسميتهم مسيحيين وقد أطلق عليهم القرآن أنهم نصارى كما ساهم أهل الكتاب وأهل الإنجيل، ونجد النصارى في الجملة[1] ينقسمون إلى ثلاث طوائف كبار:

١- الكاثوليك

٢- الأرثوذكس

٣- البروتستانت

هذه الطوائف كلها متفقة على القول بألوهية المسيح ابن مريم وعلى القول بالتثليث وعلى القول بالصليب فهم جميعاً يعتقدون أن الله أمر آدم ألا يأكل من الشجرة فأكل منها بإغواء إبليس فاستحق وذريته الفناء ولكن الله رحم عباده فجسد كلمته وهي ابنه الأزلي مجسداً ظاهراً فأرسله الله ملاكه إلى مريم العذراء وبشرها بالمسيح المخلص وأنها تلد الكلمة الأزلية وتصير والدة الإله وأنه رضي بموته على الصليب وهو غير مستحق لذلك ليكون فداء الخطيئة الأولى.

غير أن هذه الطواف تختلف عن بعضها البعض في الفروع[2] لابد أن يلقي الباحث تفصيلاً على الفرق الثلاثة متقدمة الذكر وهي جملة الفرق التي ينتمي لها النصارى.

---

(١) عبد القادر شبية الحمد - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - بدون طبعة (المدينة: مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ) ص٣٠-٣١.

(٢) المرجع نفسه ص٥٣-٥٤

أولاً: الكاثوليك:

هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية العامة وإنما سميت بذلك لإدعائهم أنها أم الكنائس ومعلمتهم وأنها وحدها هي التي تنشر النصرانية في العالم، وتسمى الكنيسة الغربية أو اللاتينية لأنها غلبت على الغرب اللاتيني خاصة فصارت لها السيطرة في إيطاليا وبلجيكيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وقد تشمل غيرها من البلدان. كما تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحوارين والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية وهو بابا روما ومن أهم ما ميز به الكاثوليك أنهما اعتقدوا أن روح القدس نشأ من الله الأب ومن الابن معاً، كما أنهم يعتقدون بالمساواة الكاملة بين الله والأب والله الابن تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقد أباح الكاثوليك أكل الدم والمخنوق وأباحوا للرهبان أكل دهن الخنزير.

ثانياً: الأرثوذكس:

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية كروسيا والبلغان واليونان وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وكانت في الأصل تابعة للكنيسة الكاثوليكية ثم انفصلت عام ١٠٥٤م وأهم ما تتميز به هذه الكنيسة أن أتباعها يعتقدون أن الإله الأب أفضل من الإله الابن وليس للكنائس الأرثوذكسية رئيس عام بل كل كنيسة تعتبر مستقلة عن الأخرى وأن اتفقت جميعاً في المعتقدات(١).

ثالثاً: البروتستانت:

هم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ومعنى البروتستانت المحتجين وتسمى كنيستهم الإنجيلية لدعواهم أنهم إنما يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم دون حاجة إلى البابوات وينتشر هذا المذهب

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٥.

في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، غير أن الإنجليز لا يزالون يطلقون على كنائسهم: الكنيسة الكاثوليكية.

ويطلقون على الكنائس الأصلية اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ومن أهم ما تميز به البروتستانت أنهم جعلوا الإنجيل هو المصدر الوحيد للنصرانية وأنهم يرون أن ليس للكنيسة حق غفران الذنوب ولا يرون ضرورة للرهبنة، كما أباحوا الزواج لرجال الدين، ويحرمون اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس للسجود لها مستدلين بأن هذا عمل وثني وليس لكنائس البروتستانت رئيس عام فهم في هذه الناحية كالأرثوذكس(١).

هذا التفرق الذي أصاب النصرانية لم يعرفه المسيح عندما جاء بدعوته كانت دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص كدعوة سائر الرسل والأنبياء والحواريون والتلاميذ الذين رفع عنهم المسيح كلهم كانوا على ذلك الدين وذلك التوحيد، إلى أن دخل بولس الرسول في المسيحية وكان قبل ذلك من اليهود الغربيين المتعصبين على النصرانية، وكان قد ولد في طرطوس وتربى في أورشلين واسمه الأصلي شاؤل(٢).

ومن عقائد النصارى الصلب، والمسيح في نظرهم مات مصلوباً فداء عن الخليقة ذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية ولعدالته من ناحية أخرى فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من خطيئة آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رضى تام فتقلب بذلك على الخطيئة وأنه دفن بعد صلبه وأنه أقام بعد ثلاثة أيام متقلباً على الموت ثم ارتفع إلى السماء. فهم يقدسون الصليب ويعتبرونه شعاراً لهم، وهو موضع تقديس لهم وموضع تقديس لكثيرين، وحملة علامة على أنهم أتباع المسيح(٣).

---

(١) المرجع نفسه ص٥٧.

(٢) محمد عبد الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، الطبعة الأولى (المدينة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٩٨٨م) ص٢٩٣.

(٣) المرجع نفسه ص٥٤.

وقضية الصلب والصليب هذه كعقيدة لديهم جاءت في القرآن وفي ذلك بعض الآيات:

نستعرض هذه الآيات وتفسيرها من كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب: قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

والقرآن يقرر قراره الفصل في مسألة الصلب ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة؟ أم كان بالروح بعد الوفاة؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقت القتل والصلب على من شبه لهم سواه ولا يدل القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة، إلا ما ورد في السورة الأخرى من قوله تعالى ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وهذه كتلك لا تعطي تفصيلاً عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا المتوفى وموعده ونحن على طريقتنا في ظلال القرآن لا نريد أن نخرج عن تلك الظلال ولا نضرب في أقاويل وأساطير ليس لدينا من دليل عليها وليس لنا إليها سبيل(١).

نحن المسلمون نثق في كل ما جاء عن عيسى عليه السلام في القرآن وهو المصدر الوحيد الموثوق به من الكتب السماوية وقد اعترف بهذه الحقيقة العلماء على مدى التاريخ.

لقد كان في العصور النصرانية الأولى فرق من النصارى تقر بالتوحيد وأن عيسى بن مريم عليه السلام مجرد بشر رسول وبدأت هذه العقيدة السليمة منذ بعثة عيسى عليه السلام، وظلت هكذا حتى انعقاد مجمع نيقة عام ٣٢٥م، ولم تمض عشر سنوات على ذهاب عيسى عليه السلام حتى أخذت مظاهر الخرافات والزيغ والانحراف تتسرب إلى عقيدة بعض الفرق النصرانية، ولهذا كان انعقاد مؤتمر نيقة عام ٣٢٥م ونتائجه كما يلي:

---

(١) سيد قطب - في ظلال القرآن - المجلد الثاني - الطبعة الرابعة - بيروت - دار الشروق - ١٩٧٧م، ص٨٠٢.

أ - ألوهية المسيح وعقيدة التثليث.

ب- تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان

ج- تكفير آريوس وحرمانه وطرده

د- عدم الاعتراف بجميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها وإحراقها.

والآن كل الكنائس تقول بعقيدة التثليث وهي عقيدة باطلة، وقد كان هذا المؤتمر تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين[١].

وللنصرانية كتب ومراجع تسمى الأناجيل مفردها إنجيل والإنجيل كلمة معربة من اليونانية معناها البشارة بالخير أو الخبر السار الحسن المفرح، وذلك لأن عيسى بشر بمحمد ﷺ وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن ١٢ مرة وبعد رفع المسيح وضياع الإنجيل الرباني المنزل عليه كتبت أناجيل كثيرة وزادت على المائة فاختارت الكنيسة منها أربعة أناجيل هي المقصودة بكلمة إنجيل عند المسيحيين الآن وهي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا، وإنجيل برنابا وتطلق كلمة إنجيل مجازاً على العهد الجديد المشتمل على الأناجيل الأربعة وعلى الرسائل الملحقة بها، ويطلق المسيحيون الآن على مجموع العهدين القديم والجديد اسم الكتاب المقدس، والإنجيل ليس فيه تشريعات وأحكام لأن عيسى عليه السلام كان يعمل بشريعة التوراة[٢].

الأناجيل وتسمى الأسفار التاريخية لأنها تعني بشرح الظروف التاريخية لحياة المسيح عليه السلام والأناجيل المحترمة عند المسيحيين أربعة هي:

أ - إنجيل متى

ب- إنجيل مرقس

---

(١) علاء أبو بكر - المسيحية الحقة كما جاءها بها المسيح - الطبعة الأولى - القاهرة، مكتبة وهبه - ١٩٩٧م، ص١٣١-١٣٣.

(٢) رحمة الله الهندي - إظهار الحق - الطبعة الأولى، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ، الجزء الأول ص١٠٣

ج- إنجيل لوقا

د- إنجيل برنابا

وهذه الأناجيل الأربعة التي اعترفت بها الكنائس المسيحية في القرن الثالث بعد المسيح عليه السلام دون غيرها، وهي التي تم إثباتها من قبل إعلانها في المجمع الأول مجمع نيقة هذه الأناجيل الأربعة واجب التسليم بها ثم كان مجمع نيقة عام ٣٢٥م فارتقى بالأناجيل إلى درجة وجوب تقديسها دون غيرها وبذلك قد تجاهلت الكنيسة الأناجيل الكثيرة التي أجمع على كثرتها مؤرخو المسيحية أنفسهم[١].

هذه الأناجيل الأربعة هي المصدر الأول التاريخي للديانة المسيحية، يلاحظ عليها وفيها عند البحث ما يلي:

١- إنها ليست من إملاء المسيح بل أن السيد المسيح لم يشهدها.

٢- كاتبوها ليس على مستوى الأهلية ليكونوا علماء دين لأنهم مجهولو النسب أو الصفة أو العلاقة بالكتاب المدون.

٣- إنها لرغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة عدة بيئات مختلفة وهذه الرغبات الخاصة مجهولة الأفراد والهيئات.

٤- إن أصولها معترف بضياعها وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيها لضياع الأصل أو لجهل المترجم.

٥- إنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي[٢].

والنصرانية بالمفاهيم التي تقدم ذكرها تنتشر اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الإستعمار والتنصير الذي تدعمه مؤسسات ضخمة عالمية ذات إمكانيات هائلة[٣].

---

(١) متولي شلبي - أضواء على المسيحية - الطبعة الثانية (الكويت: الدار الكويتية، ١٩٧٣م) ص٣٧ - ٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٥٠-٥١.

(٣) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة - مرجع سابق ص٥٠٧.

هذه باختصار نبذة عن النصرانية تضمنت أهم ملامح هذه الديانة التي كانت في أولها ديانة توحيد ككل الديانات ولكن دخل عليها التحريف كما هو واضح. هذه الديانة هي الفكرة التي تدفع بالتنصير والاستشراق والإستعمار نحو العالم الإسلامي وأفكار هذه المؤسسات تتطابق فكرياً وتشترك في التطبيق العملي. كل هذا يتضح للقارئ من خلال هذا البحث بعنوان: التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية تطابق فكري وتطبيق عملي، ركزت في الدراسة على آثار هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية على العالم الإسلامي. ويرى الباحث أن هذه الدراسة بالأهمية لما تحمله من توضيح وتشريح لمؤسسات كانت ولا تزال تعمل عمل السوس في الجسم الإسلامي.

الفصل الثاني

الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٩١م)

الحروب الصليبية كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة هي سلسلة حروب شنها المسيحيون (النصارى) الأوروبيون بين القرن ١١-١٤ لاستعادة الأراضي المقدسة وبخاصة القدس من المسلمين، وكان السلاجقة قد ظهروا على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى في أوائل الثالث الثاني من القرن الحادي عشر، وأخذوا يتوسعون على حساب الدولتين الفاطمية والبيزنطية وفي عام ١٠٧١م هزم السلاجقة البيزنطيين في معركة ملاذكرد وأسروا الأمبراطوار رومانس ديو جنيس، فوجه البيزنطيون نداءات عديدة للغرب كان آخرها الذي وجهه الأمبراطور الكسيوس يطلب فيه المساعدة للوقوف على وجه التوسع الإسلامي.

وقد كان دافع الحروب الصليبية المباشر هو الموعظة التي ألقاها البابا أيربان الثاني في مجمع كليرمونت وحث فيها العالم المسيحي على الحرب لتخليص القبر المقدس من المسلمين ووعد المحاربين بأن تكون رحلتهم إلى الشرق المقدس بمثابة غفران لذنوبهم كما وعدهم بهدنة عامة تحمي بيوتهم خلال غيبتهم. وقد أخذ الصليبيون اسمهم من الصلبان التي وزعت عليهم خلال الاجتماع. وعلى الرغم من أن الحافز الديني للحروب الصليبية كان قوياً، فقد كانت هناك حوافز أخرى دنيوية. فقد استهدف النبلاء المغانم وتأسيس الأمارات. وكانت للنورمان أهداف توسعية على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء، وكانت المدن الإيطالية تهدف

إلى توسيع نطاق تجارتها مع الشرق واجتذب هؤلاء كلهم حب المغامرة والأسفار[(١)].

في عام ١٠٩٥م - ٤٨٩هـ كان البابا إيربان الثاني هو الزعيم المطاع في الغرب النصراني. وكان إيربان الثاني هو الذي أعد للحروب الصليبية والتقى بالنصارى في مؤتمر كلير مونت هذا المؤتمر ضم الأساقفة وخطب فيهم إيربان الثاني قائلاً: (أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها، وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا وذلك الجبل الذي عليه تألم ومات من أجلنا، وذلك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت، كلها أضحت ميراثاً لشعب غريب، وغاب بهاؤها الأصلي، وهياكلها خربت، وأشعة نورها الساطعة تحولت إلى ظلام حالك، وهي تستحق الندب الشديد والبكاء).

ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية، وجهاته الأكثر ثروة وغناء أضحت في فقر مهين. ويواصل مخاطبته فيقول: لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي اتخذها فريق منكم حتى الآن ضد فريق آخر لأخذ الثأر عن بعض إهانات فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لأخذ الثأر من إهانات ضد البشر بل عن الإهانات الصادرة ضد الله. وليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزانتها التي لا تحصى. فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم أملكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً. ثم في نهاية خطبته أخرج علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم أو على صدوركم، ويشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)[(٢)].

لقد كان إعلان الحرب الصليبية عام ١٠٩٥م - ٤٩١هـ بمثابة إيذان بقيام علاقات من نوع خاص بين الشرق والغرب وشملت كل نواحي الحياة ولما كانت

---

(١) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، بدون طبعة والقاهرة: دار الشعب، بدون تاريخ) ص٧٠٩.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٢٦-٢٧.

الجيوش هي واجهة الأمم بحضاراتها وثقافاتها ومبادئها وقيمها، فإن الحروب الصليبية كانت الميدان الذي تقابلت فيه الثقافتان المتحاربتان الإسلامية والأوروبية الصليبية وكان لابد أن يكون النصر لأصحاب الحضارة والثقافة المتقدمة وهي بالطبع الثقافة الإسلامية، لقد وفد الغرب غازياً للشرق الإسلامي بجماعات مختلفة المشارب والأهواء تمثلت في الحرب الصليبية الأولى، فقد جاء السواد الأعظم منها ليتخلص من ربقة العبودية والبعض الثاني ضم النبلاء والأمراء الذين أرادوا تكوين إمارات خاصة بهم في بلاد الشام والبعض الثالث وفد على رأس الحملات التي تلت هذه الحملة وهم قلة قليلة من الملوك الذين نشدوا المجد الشخصي تحت لواء الصليب ولا يمكن أن يخطر على بال أحد أن الغرب الصليبي والحال هذه قد جاء طلباً للعلم وإنما جاء ليؤسس دويلات وإمارات صليبية في الشرق الإسلامي لذلك لا نستطيع أن نقول أن هناك تأثيرات انتقلت من أوربا أو الغرب إلى المجتمع الإسلامي في بلاد الشام إلا بعد استيلاء الصليبية على بيت المقدس وتكوين الإمارات الصليبية. على أن الحروب الصليبية لم تكن أول اتصال بين العالم الإسلامي وبين الغرب النصراني ذلك أن بوادر ظهرت في أوربا في نهاية القرن الثامن تنبئ عن وجود اتصال وثيق سبق أن وجد طريقه بين الطرفين الإسلامي والمسيحي فقد تأثر الأدب الغربي بالأدب الشعبي الإسلامي عن طريق أسبانيا أما المعبر الثاني للتأثيرات العربية كان صقلية التي خضعت للحكم الإسلامي من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وكان من أهم حكامها المسلمين خلفاء الدولة الفاطمية. لذلك فقد ظلت صقلية في القرنين العاشر والحادي عشر جزءا لا يتجزأ من الدولة الفاطمية في مصر ومنها انتشرت اللغة العربية إلى إيطاليا ثم باقي أوربا.

وقد اتسمت الفترة التي سبقت الحروب الصليبية بوجود اتصالات فردية محدودة ذات طابع رسمي تمثل في تبادل الهدايا والكتب بين الحكام في الشرق والملوك في الغرب وذلك عن طريق السفراء، هذا فضلاً عن الزيارات الدينية التي كان يقوم بها حجاج الغرب الأوروبي إلى بيت المقدس. إلا أن هذه الزيارات لم تكن سوى زيارات فردية، ولم يكن ليسمح لهؤلاء الزائرين القلائل بالتجول في

البلدان الإسلامية إلا في حدود معينة. أما العلاقات بين مصر والشام والغرب الأوروبي قبيل الحروب الصليبية فقد كانت جد محدودة ثم ما لبث أن جاءت الحملة الصليبية الأولى في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي واستطاعت أن تثبت أقدامها في بلاد الشام. وكان لابد لهؤلاء الصليبيين - في بلاد غربة معادية - أن يكونوا على اتصال بالوطن الأم أي أوربا. فبدأ الاتصال عن طريق موانئ الشام مكونين بها رأس جسر يربطهم بالغرب الأوروبي كما أن هؤلاء المحاربين الذين عادوا إلى أوطانهم في أوربا اعتقاداً منهم أن المهمة التي قاتلوا من أجلها قد انتهت باستيلائهم على بيت المقدس قد حملوا معهم مشاهد رأوها في بلاد الشام قصوا منها على أقرانهم(١).

وقد كانت الدول التي شاركت في هذه الحروب الصليبية والغزو الصليبية الأوروبي للعالم الإسلامي دول عديدة. وكان لكل دولة مصلحة في هذا الغزو ولكن المصلحة المشتركة بين الدول الأوروبية كانت واضحة في مجال الغزو الصليبي. وهي مسألة معروفة عداء الإسلام والحقد عليه.

ظل البابا إيربان الثاني ينتقل بين المدن الأوروبية داعياً إلى الحروب الصليبية وطلب من الأساقفة أن يبشروا بهذه الحروب وكان أشهرهم الراهب الطواف الذي عرف ببطرس الزاهد. وقد كان لبطرس هذا دوراً كبيراً في الدعاية لهذه الحروب. ولقيت دعوته استجابة واسعة لأسباب منها بيانه، بالإضافة لأسباب في أوربا ساعدت على ذلك ولاسيما ما كان يردده بطرس أن يستولوا على البلاد التي تفيض عسلاً ولبناً بلاد الشرق الإسلامي، وقد كانت الجموع الأولى المتجهة إلى الشرق الإسلامي كبيرة وفي حالة فوضى واضطراب وكانت هذه الجموع أبعد ما تكون عن التنظيم العسكري أو السياسي. كانت محطة هذه الجموع القسطنطينية وهي جيوش قصد منها أن تقف أمام تهديد السلاجقة المسلمين لأوربا وخوفاً من الزحف الإسلامي. نستطيع أن نسمي جموع بطرس الزاهد وجموع

---

(١) أحمد رمضان أحمد محمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، بدون طبعة (مصر: وزارة التربية، ١٩٧٧م) ص٣١٠ ٣١١.

والتر المفلس حملة العامة أو الدهماء أو حملة الشعوب[١].

هذه الحروب كانت لرغبة الكنيسة مما جعل المؤرخون يقولون أن الدافع الديني من وراء هذه الحروب. غير أن الدافع الديني ليس هو الوحيد ولكن اشتركت معه دوافع أخرى مثل الدافع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

١- الدوافع الدينية:

يمكننا أن نخلص الهدف الديني من وجهة نظر الأوروبيين في أمور أهمها:

أ - ادعاؤهم أن المسيحيين المقيمين في العالم الإسلامي يلقون من سوء المعاملة من الحكام المسلمين ما يستوجب على المسيحيين الأوروبيين نجدتهم.

ب- ادعاؤهم أن الحجاج المسيحيين يتعرضون للعدوان في طريقهم إلى الحج وإلى مزيد من الاضطهاد وهم يؤدون حجهم.

ج- ادعاؤهم أن الكنائس المسيحية تعرضت للتخريب والإغلاق وأن بعض الكنائس حولت إلى مساجد. كل هذه الادعاءات باطلة لا يسندها الواقع آنذاك وأن النصوص من القرآن والسنة عالجت علاقة المسلمين بغيرهم في الدولة الإسلامية وهي معاملة تعد من أرقى المعاملات التي عرفها التاريخ العالمي وتاريخ الأديان بل هي أرقى المعاملة على الإطلاق تدعم تلك المعاملة النصوص من الكتاب والسنة وكذلك الواقع التاريخي آنذاك[٢].

في معاملة أهل الكتاب من يهود ونصارى في بلاد المسلمين وردت أحاديث كثيرة يمكننا أن نورد هنا بعضاً منها:

روى أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم أن رسول الله ﷺ قال: من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته وأخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة[٣].

---

(١) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٣١.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٣٢-٣٣.

(٣) أبو داود في سننه باب الإمارة الحديث رقم ٣٣.

وروى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النبي ﷺ (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[١].

والتاريخ يحدثنا عن فتح الأندلس بواسطة المسلمين عام ٩٣هـ -٧١١م وكيف أدخل المسلمون الإسلام إلى معظم أسبانيا وأنهم لم يلغوا المسيحية ولم يمنعوا مسيحياً من إقامة شعائر دينه. بالمقارنة مع ما قام به كل من (فرديناند وإيزبيلا) عندما تم لهما الاستيلاء على الأندلس من المسلمين سنة ٩٠٩هـ - ١٠٥٢م وكيف أنهما أصدرا مرسوماً بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في كل البلاد. يعترف بهذا كتاب الغرب لتقرأ شهادة توماس. وإرنولد حيث يقول في تسامح المسلمين مع المسيحيين في أسبانيا (أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي فإننا لا نسمع عن ذلك شيئاً)[٢].

على أنه في الأحوال التي كان يعتدي فيها المسيحيون على الدين الإسلامي كانوا يحاكمون أمام قضاتهم وفقاً للقوانين المعمول بها في بلادهم. ولم يتعرض لهم المسلمون في إقامة شعائرهم الدينية[٣]، وقد تكون هناك بعض الحالات الفردية التي لا يصح أن تعمم وتظل حالة نادرة أو قليلة لا يصح الحكم بأن الإسلام قد اضطهد النصارى وإذا تركنا شهادة النصوص من القرآن والسنة وهي عندنا معتمدة أكثر من غيرها فإن شهادة التاريخ تدل على عكس ما ادعاه النصارى من أن الإسلام قد اضطهد نصارى الشرق أو أساء معاملة الحجاج إلى بيت المقدس من النصارى وقد ادعوا أن الحجاج من النصارى كانوا يتعرضون للاضطهاد والعدوان وهم في طريقهم إلى بت المقدس قبيل الحروب الصليبية فهي دعوة باطلة.

يقول أحد كبار المؤرخين الأوروبيين أن حالات الاضطهاد الفردية التي تعرض

---

(١) الإمام البخاري: صحيحه: ٤/ ١٢٠ طبعة دار الشعب القاهرة.

(٢) توماس. و. آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين ص١٥٧.

(٣) المرجع نفسه ص١٥٨.

لها المسيحيون في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى في القرن العاشر الميلادي بالذات لا يصح أن تتخذ بأي حال سبباً حقيقياً للحركة الصليبية لأن المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية في ظل الحكم الإسلامي فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة، وإنما سمح لهم أيضاً بتشييد كنائس وأديرة جديدة وجمعوا في مكتباتها كتباً دينية متنوعة في اللاهوت[١].

إن ادعائهم تخريب الكنائس وهدم الأديرة أو مصادرتها لم يقم عليه من دليل. وإنما هي شائعات ربما أدى إليها تصرف بعينه في قرية بعينها، لا يمكن أن يعتبر هو الأصل في معاملة المسلمين للمسيحيين وكنائسهم في البلاد الإسلامية.

إن الأحقاد القديمة والحديثة هي التي أذكت نيران الغزو الصليبي في أخريات القرن الخامس الهجري، وهي التي تعطي هذا الغزو القدرة على المضي في التاريخ حتى يومنا هذا[٢].

ومعروف أن هذه الحروب لا تزال مستمرة ولها الآن مظاهر واضحة حتى أن الزعماء الذين يقودونها يعلنون إنها حرب صليبية.

٢- الدوافع السياسية:

الحروب الصليبية لم تبدأ بغزو قوات الصليبيين الشرق الإسلامي في نهاية المائة الأولى من القرن الحادي عشر الميلادي نهاية القرن الخامس الهجري.

الحروب الصليبية بدأت في الأندلس المسلمة بأكثر من قرنين من الزمان. وقد بدأت مناوشات هذا الغزو منذ أن شعرت الدولة الرومانية الشرقية بيزنطة بضعف الخلافة العباسية واستيلاء بعض الأمراء على كثير من ولاياتها وأطرافها. فنحن الآن أمام موضوعات ثلاثة ونحن نتحدث عن الدوافع السياسية للغزو الصليبي للعالم الإسلامي.

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية الجزء الأول ص٣٠.

(٢) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي مرجع سابق ص٣٨.

والمواضيع الثلاثة هذه تندرج ضمن الأهداف والدوافع السياسية وهي:

١- الغزو الصليبي الذي قام به بعض أمراء الأسبان يؤيدهم عدد من أمراء أوربا - فرنسا بالذات - للأندلس المسلمة.

٢- الغزو الصليبي لأطراف الدولة العباسية وللولايات الفاطمية في الشام الذي قامت به الدولة البيزنطية.

٣- الغزو الصليبي للشرق الإسلامي الشام ومصر وآسيا الصغرى - الذي قامت به أوربا تدعمها الكنيسة وتؤيدها وتقودها وتهدد بالحرمان.

نلقي بعض الضوء على المحاور الثلاثة التي تمثل الأهداف السياسية للحروب الصليبية وهذه الأهداف قديمة كما هو واضح بدأت هكذا:

أ- الغزو الصليبي للأندلس المسلمة:

ادخل المسلمون الإسلام إلى أسبانيا منذ سنة ٩٢هـ - ٧١١م وظل الإسلام هناك حتى ٨٩٨هـ - ١٤٩٢م كان عطاء الإسلام واضحاً في مجال العلم والمعرفة والسياسة والحكم والعدالة والحرية كل ما يتطلبه الإنسان. استمر هذا الحال زهاء ثمانية قرون. ثم اضطربت الأحوال في عهد ملوك الطوائف ولكن هدأت في عهد ملوك الموحدين والمرابطين. غير أن عهد الموحدين كان فيه ضعف فضاعت كثير من المدن والقرى. ثم كان عهد بني الأحمر أكثر ضعفاً. ذلك العهد الذي انتهى فيه الوجود الإسلامي يوم أصدر (فرديناند وإيزابيلا) مرسوماً يقضي بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في كل البلاد كان ذلك عام ٩٠٨هـ - ١٥٠٢م الأمر الذي لم يفعله المسلمون يوم أن دخلوا الأندلس فاتحين فقد كانوا حملة حضارة.

لقد كان الدافع السياسي لغزو الأندلس ومن قبله الكنيسة أنها لم ترض عن إقامة دولة للمسلمين في الأندلس ولذلك طيلة وجود المسلمين في الأندلس تدفع الكنيسة الأمراء الأوروبيين لإثارة الحروب مع المسلمين. أول غزو أوربي لأسبانيا قام به شارل الأول ولكن هزمه المسلمون.

والغزو الثاني كان في عهد البابا الأسكندر الثاني ولكن قتل قائده على يد أحد المسلمين. واستمرت الدوافع السياسية والحرب بين أسبانيا ودول الغرب

سجالاً وأصبح الصراع بين المسلمين والصليبيين في الأندلس صراعاً عاماً شاملاً تناول كل بقاع الأندلس التي يقيم فيها المسلمون وأخيراً سقطت الأندلس في يد فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م - ٨٩٨هـ.

هذه واحدة من الدوافع السياسية للحروب الصليبية لمسنا أثرها على الأندلس. وهو دافع سياسي ولكن لا نجرده من الدوافع الدينية.

ب- الغزو الذي قام به البيزنطيون:

الدولة البيزنطية أقرب دولة لبلاد المسلمين. منذ سنة ١٢هـ -٦٣٣م في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبحت الشام بلاداً إسلامية. وزال عنها الوجود الروماني البيزنطي. وتقدم الأمويون حتى وصلت فتوحاتهم بحر إيجه وهاجموا القسطنطينية عام ٤٩هـ. وكانت الحروب سجال بين المسلمين والبيزنطيين على عهد هارون الرشيد والمعتصم. وهذه الحروب مقدمة لحرب شاملة أزمعت الدولة البيزنطية القيام بها للانتقام من المسلمين مما حل بها على أيديهم طوال القرون الثلاثة السابقة.

الدولة البيزنطية شنت غارات ضارية على العالم الإسلامي، تستهدف استئصال هذا الدين والقضاء على أهله. وبسط النفوذ السياسي الصليبي على معظم بلاده، بل بلغ بعضهم الطمع حد الرغبة في الاستيلاء على الحجاز وهدم الكعبة، ونشر المسيحية في العالم الشرقي كله. وقد شن البيزنطيون حرباً على المسلمين سنة ٩٧٥م - ٣٦٥هـ ولم تحقق هدفها إلا في نطاق جزئ ضيق.

ج- الغزو الصليبي الغربي للشرق الإسلامي:

وهو غزو كان للشام ومصر وآسيا الصغرى. قامت بهذا الغزو أوربا أغلبها تدعمها الكنيسة وتؤيدها وتقودها وتهدد بالحرمان من يقعد عن المشاركة في هذا الغزو. من خلال هذه الموضوعات الثلاثة نستطيع أن نتعرف على الدوافع السياسية التي شجعت الصليبيين على القيام بهذا الغزو. قد كان العالم الإسلامي يعيش ظروفاً سياسية سيئة، وتسيطر على حكامه الخلافات السياسية وتنازع الأمراء، كما تسيطر عليه الخلافات المذهبية، بين أهل السنة ويقودهم العباسيون

ومن تابعهم، والشيعة تحت قيادة الفاطميين في مصر والشام[١].

وقد قاد الصليبيون حملات نحو العالم الإسلامي. واستمرت هذه الحمالات فيما بعد الزمن المتعارف عليه. أما العداء بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي فإنه قائم حتى يومنا هذا. لم يقعد عن المشاركة في هذا الغزو[٢].

الدارس لهذه المواضيع الثلاثة دراسة تفصيلية يتضح له واحدة من دوافع الحروب الصليبية هو الدافع السياسي.

٣- الدوافع الاجتماعية والاقتصادية:

هناك دوافع اجتماعية واقتصادية ساعدت في أن يندفع النصارى نحو الشرق الإسلامي والاشتراك في الحروب الصليبية. وهذه الدوافع لا تقل أهمية عن الدوافع الدينية والدوافع السياسية.

وهي ظروف ألمت بالعالم الأوروبي في تلك الفترة. وكان المجتمع الأوروبي يعيش ظروفاً اجتماعية وضائقة اقتصادية. ولذلك تعاونت كل من الدوافع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ودفعت بالحروف الصليبية نحو الشرق الإسلامي.

فما هي الدوافع الاجتماعية والاقتصادية التي شجعت أوربا على خوض هذه الحروب؟

كانت تركيبة المجتمع في العصور الوسطى هي ثلاث فئات:

أ- فئة رجال الدين: كنسيين وديريين وهم قلة، من حيث العدد.

ب- فئة المحاربين: نبلاء وأمراء وفرسان وهم قلة كذلك.

ج- فئة الفلاحين: رقيق الأرض والأجراء وهم الأكثرية الساحقة في المجتمع الأوروبي آنذاك.

(١) انظر للتفصيل، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص٢١-٦٨.

(٢) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق ص٣٩-٤٠.

وقد كان هناك تباين بين هذه الطبقات في الحقوق والواجبات فمثلاً الطبقتان الأولى والثانية لهما مزايا اجتماعية وسياسية والطبقة الثالثة عليها الواجبات فقط وكان بين هذه الطبقات اختلافات واضحة. هذا من الناحية الاجتماعية. فإن المجتمع الأوروبي كانت غالبيته العظمى تعيش ذلاً وهواناً وطغياناً للقاعدة العريضة من الناس، لذلك عندما دعت الدعوة، هروباً من تلك المعاناة والحياة الشاقة لأن الحرب وما تجره من متاعب كانت في نظرهم أقل خطراً مما يحتملون في ظل هذا التفارق الطبقي البغيض، بل لقد كانوا يحسون أن الموت في هذه الحروب ربما كان أفضل من تلك الحياة التي يحيون.

وهناك الدوافع الاقتصادية هي الأخرى دفعت بالحروب الصليبية نحو العالم الإسلامي. إذ عاشت أوربا سوءاً في الأحوال الاقتصادية وسوءاً بلغ الغاية من الاضطراب والاختلال. إذ سادت المجاعات ولاسيما في فرنسا وكثرت الحروب وغارات القبائل على بعضها البعض وضاق الأمر بهم حتى رأوا أن الخروج من المجاعات والأزمات الاقتصادية هو الهجرة إلى مكان آخر[(١)].

تضافرت هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة إلى الحقد الصليبي والإرث القديم منه وكانت هذه الأسباب من أهم الدوافع لقيام الحروب الصليبية.

---

(١) علي عبد الحليم محمود/ الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٢١-١٤٨ بتصرف.

الفصل الثالث

واقع العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية

أولاً: الأحوال السياسية والدينية في العالم الإسلامي

كان العالم الإسلامي في تلك الآونة فترة الحروب الصليبية التي شنتها أوربا على الشرق الإسلامي يعيش ظروفاً، أبسط ما توصف به أنها ظروف اضطراب أدى إليه الانقسام والفرقة التي كانت واضحة لكل ذي عين.

وإذا كان الأصل في العالم الإسلامي أن يكون أمة واحدة. وقيادة واحدة فإنه كان في تلك الآونة بالذات أكثر ما يكون انقساماً في القيادة وفرقة الاتجاه.

فالخلافة العباسية في بغداد تقلص نفوذها، وطمع فيها قوادها وأمراؤها، بل استبدوا بها حتى أصبح الخليفة صورة لا حقيقية، وأصبحت الخلافة شكلاً لا جوهراً.

والحق أن الخلافة العباسية كانت مظهراً لوحدة المسلمين وقوتهم أكثر من قرنين من الزمان، بلغ فيهما المسلمون شأواً بعيداً، ثم بعد ذلك بدأ الضعف يدب في الخلافة وكان أن انقسمت إلى دول صغيرة وكان العالم الإسلامي في ذلك الزمان يعاني من الفرقة والانقسام وتقسمه المغامرين من القواد والأمراء ويمكن أن نستبين في العالم الإسلامي آنذاك ثلاثة من الظواهر تعكس لنا حال العالم الإسلامي الديني والثقافي، وقد استقرئ حال العالم الإسلامي آنذاك الدكتور علي عبد الحليم محمود في كتابه الغزو الصليبي والعالم الإسلامي على ثلاثة ظواهر.

الظاهرة الأولى: ظاهرة الدويلات التي لم تكن تابعة لدولة الخلافة العباسية

في زمن مبكر من تاريخ الخلافة العباسية وبالتحديد سنة ٢٦١هـ -٨٧٤م استقل السامانيون عن الدولة العباسية ببلاد ما وراء النهر وخراسان هذا الأمر قلل من هيبة الخلافة العباسية. كما استطاع الغزنويون في سنة ٣٨٧هـ -٩٩٧م أن يقيموا دولة في كل من أفغانستان والبانجاب ومدوا سلطانهم إلى تركستان وطبرستان وسجستان، حيث أقاموا هناك دولة قوية لا ترتبط بالدولة العباسية. ومما لا شك فيه أسهم هذا في تقليل شأن الخلافة العباسية.

في آخر سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩م انتشرت الدعوة الفاطمية في اليمن والبحرين والسند والهند والمغرب العربي. وكان أن قضى عبيد الله المهدي الفاطمي على دولة الأغالبة في الغرب وأبطل الخطبة للخليفة العباسي هناك. ومن ثم أصبح للفاطميين نفوذ في المغرب والمشرق حيث تعاقب على السلطة في المشرق والمغرب فيما عرف بالخلافة الفاطمية أربع عشر خليفة حتى أسقطهم الأيوبيون في مصر، وفي ا ليمن استطاع الصليبيون إسقاط النفوذ السني لصالح الفاطميين، ولم تأت سنة ٤٥٥هـ إلا والدعوة الإسماعيلية قد عمت اليمن واستمر الحال في اليمن إلى أن قضى على النفوذ الفاطمي صلاح الدين الأيوبي، في المغرب العربي كذلك ظهرت دولة الموحدين التي قامت أساساً للقضاء على دولة المرابطين وكان ذلك عام ٥٤١هـ، واستطاع قائدها أن يهاجم الأندلس وأن يغنم منهم ويأسر، ولقد وقفت دولة الموحدين أمام أطماع الصليبيين في الأندلس ولكن ضعفت هذه الدولة وسقطت عام ٦٦٧هـ وبلغت هذه الدولة من القوة أن استنجد بها صلاح الدين في حربه ضد الصليبيين في المشرق والدارس لأحوال الخلافة العباسية في ذلك الزمان وهي الدولة المناط بها مواجهة الغزو الصليبي نجد أن جسمها كان مثقل بالجراح وأن ضعفها كان واضحاً بسبب الفرقة والانقسام الذي أوضحته السطور المتقدمة(١).

---

(١) بتصرف، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، بدون طبعة (جدة: دار عكاظ، بدون تاريخ) ص١٥٣- ١٥٥.

الظاهرة الثانية: سيطرة بعض القواد على الخلافة العباسية:

بدأ ضعف الدولة العباسية في زمن مبكر منذ عهد الخليفة المتوكل، وكان أبرز سبب لهذا الضعف بُعد بعض الخلفاء عن أخلاقيات الإسلام والمنهج الإسلامي في القيادة وظهور بعض الفتن والبدع وطوائف المتكلمين مثل المعتزلة وغيرهم، هذه الأسباب أضعفت هيبة الخلافة ولذلك طمع المغامرين من القواد في السيطرة على الخلفاء وقد زاد خطر الأتراك في عهد المتوكل وحاول المتوكل أن يقلل من نفوذهم وأراد أن يعتمد على العرب وإبعاد الأتراك ومن جزاء هذا قامت سلسلة مؤامرات حركها الأتراك أدت إلى قتل بعض الخلفاء وتولية آخرين، وأصبح الأتراك يولون ويعزلون ويقتلون ويقررون.

وهذا الضعف أدى بدوره إلى أن تنشق بعض الدول عن الخلافة العباسية، فقد قامت دول صغيرة في بلاد فارس مثل الدولة الظاهرية والصفارية والسامانية ودولة الديالمة ودولة بني بويه.

ودولة بني بويه قويت شوكتها حتى أنهم سيطروا على الخلافة العباسية منذ عام ٣٣٤هـ حتى ٤٤٧هـ العام الذي سيطر فيه السلاجقة على الخلافة العباسية. وقد حاول الخلفاء الإصلاح على عهد البوهيين ولكن فشلوا في ذلك.

والجدير بالذكر أن السلاجقة ظهروا على مسرح الأحداث عام ٤٢٩هـ عندما استولى قائدهم على مرو حاضرة خراسان.

وقد وسعوا واستولوا على بلاد كبيرة تضم معظم فارس وبلاد ما وراء النهر. وظل قائدهم طغرليك يحكم الخلافة العباسية أكثر من سبع سنين، وثم تعاقب سلاطين السلاجقة في حكم الدولة العباسية. وقد كان مذهب السلاجقة المذهب السني ولذا نالوا رضا الخليفة. وسمى عهدهم بالعصر السلجوقي الأول. وبعد فترة نهاية حكم السلاجقة أصابهم الضعف وخلفهم الأتابكة في السيطرة على الخلافة العباسية واستقلوا ببعض الأطراف.

هذه الظاهرة توضح لنا الأحوال السياسية التي سادت بلاد العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية وكيف أن الأحوال السياسية في غاية الاضطراب والانفصام مما سهل مهمة الغزوات الصليبية للعالم الإسلامي ولكن رغم ذلك

الانقسام والاضطراب استطاع المسلمون ودولهم المختلفة والمتنوعة أن يدافعوا بما استطاعوا وأن يدفعوا عن بلادهم الغزو الصليبي الذي أصابهم بضرر كبير ومكث في أرض الإسلام حوالي ٢١٠ عام واجهت هذا الغزو الصليبي الدولة الإسلامية الموجودة في ذلك الزمان. واجه الغزو الصليبي المسلمون في الأندلس والعباسيون والفاطميون والسلاجقة والأيوبيون والمماليك والأتراك والعثمانيون وقد كان للأيوبيين دور هام في جلاء الصليبيين عن العالم الإسلامي وذلك تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي[١].

وخلفه في مقاومة الغزو الصليبي للعالم الإسلامي المماليك.

الظاهرة الثالثة: ظاهرة الحركات الدينية ذات الصبغة السياسية:

لقد كان لهذه الحركات أثر كبير في ذلك العهد وكان أثرها واضح في تمزيق العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية.

نقدم دراسة مختصرة لبعض هذه الحركات. من أهم الحركات الحركة الفاطمية تلك الحركة التي قامت على المذهب الشيعي وهو مذهب مخالف لمذهب الخلافة العباسية السنية وعن هذه الحركة تفرعت كل الحركات المناهضة للدولة العباسية، وكان هناك حركة القرامطة ذات التوجهات والاعتقادات المنحرفة فظلت هذه الحركة لمدة قرنين من الزمان مصدر قلق واضطراب للعالم الإسلامي كله، عباسيين وفاطميين، وظهر الدروز وهم من غلاة الشيعة، وكان ظهورهم في أول القرن الخامس الهجري وهي حركة ذات اعتقادات باطلة مخالفة للعقيدة الإسلامية. وحركة النصيرية وهم جماعة ملحدون خارجون عن الإسلام. وكثير من الحركات في ذلك الزمان منحرفة عن الجادة انتشرت في العالم الإسلامي في اليمن وفي المغرب العربي. وقد قامت في المغرب العربي دعوة المرابطين التي بدأت بروح الجهاد ولكنها في نهاية الأمر انقطعت للعبادة وعن الحياة بحجة فساد الحياة واستمرت في سنة ٤٤٥هـ -٥٤٢هـ وفي المغرب العربي

---

(١) انظر، علي عبد الحليم محمود، المرجع نفسه ص١٥٦-١٥٩.

قامت دولة الموحدين وقد كانت دولة الموحدين مظهراً من مظاهر انقسام المسلمين وتفتت وحدتهم الفكرية من جانب والسياسية من جانب آخر[١].

ما تقدم هي ظروف العالم الإسلامي عندما شنت أوربا غزوها الصليبي عليه، هذه الظروف ساعدت كثيراً في أن يستولي الصليبيون على كثير من البلدان الإسلامية وأن تكون للصليبيين انتصارات ولكن هذه الانتصارات تتحول إلى هزائم عندما يتوحد المسلمون وقد كان أشهر الهزائم للصليبيين عندما توحد المسلمون تحت قيادة البطل الإسلامي صلاح الدين الأيوبي وعدد من قواد المماليك ومنيت أوربا بهزيمة عندما أصبح صلاح الدين رأس الدولة الأيوبية، بل أصبح رأساً لجميع الحكام في عهده وحقق بذلك وحدة العالم الإسلامي مما كان لها أثر واضح في طرد الصليبيين عن العالم الإسلامي.

ثانياً: دور صلاح الدين الأيوبي والمماليك في هزيمة وطرد الصليبيين من ديار الإسلام

أ- دور صلاح الدين الأيوبي في هزيمة الصليبيين

ب- دور المماليك في هزيمة الصليبيين

أ- دور صلاح الدين الأيوبي في هزيمة الصليبيين

صلاح الدين الأيوبي هو يوسف بن أيوب بن شادي ١١٣٧-١١٩٣م، عاش زهاء ٥٦ عاماً، قائد وبطل مسلم ومؤسس الأسرة الأيوبية والخصم الأكبر للصليبيين. ولد في تكريت من أصل كردي وعاش ١٠ سنوات في بلاط نور الدين سلطان السلاجقة حيث عني بدراسة المذهب السني رافق الأمير شيركوه في حملات أرسلها نور الدين ضد الفاطميين بمصر (١١٦٤م - ١١٦٧م - ١١٦٨م) وجعله شيركوه نفسه وزيراً وعند موته ١١٦٩م خلفه صلاح الدين وعندما وطد صلاح الدين سلطته حذف اسم السلطان العاضد من صلاة الجمعة. وبذلك أنهى حكم الفاطميين. ومد نور الدين حملة ضد واليه القوي الذي اتهم بأنه ينوي الخروج

(١) بتصرف من: علي عبد الحليم محمود - الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٥٩-١٦٥.

عليه، ولكن نور الدين توفى، فأعلن صلاح الدين استقلاله ونصب نفسه سلطاناً على مصر وبذلك أسس الأسرة الأيوبية ١١٧١م. وبدأ أعماله الحربية بفتح اليمن وفلسطين واستولى على دمشق والموصل وحلب ١١٧٤م، ثم أصلى الصليبيين ناراً حامية، وهزمهم في معركة حطين الفاصلة ١١٨٧م.

فسقطت بيت المقدس في يده، ثم واجه ريتشارد الأول (قلب الأسد) ملك انجلترا في الحرب الصليبية ودار القتال سجالاً بين الفريقين انتهى بصلح الرملة ١١٩٢م، الذي بمقتضاه لم يبق في أيدي الصليبيين سوى شريط الساحل يمتد بين صور ويافا.

ذاع صيت صلاح الدين بين المسيحيين كمحارب شهم كريم الخلق أبي النفس ولم يكن مقاتلاً مغواراً فحسب بل كان رجلاً مثقفاً يحب العلم ويشجع العلماء، عمر المساجد وأصلح الري وبني القلعة وبعض أسوار القاهرة. مات بدمشق ودفن بها[1].

هذا تعريف على وجه الاختصار للبطل صلاح الدين الأيوبي، وسوف يجد القارئ في الصفحات التالية توضيحاً وشرحاً لهذا المجمل وسيجد ملخصاً لأعمال صلاح الدين ودوره في طرد الصليبيين من العالم الإسلامي. على الرغم من الظروف السيئة التي أحاطت بالعالم الإسلامي نتيجة مباشرة للبعد عن الأخذ الكامل بمنهج الإسلام في الحياة. فإن الدولة الإسلامية بما بقي فيها من اعتزاز بمنهج دينها، لم تستلم لهذا الغزو الصليبي طالما فيها بقية من القدرة على المقاومة. ولعل الميدان الوحيد الذي كسب فيه الصليبيون الجولة الأخيرة في صراعهم مع المسلمين هو ميدان الأندلس المسلمة، وربما كان لذلك من الأسباب ما جعل المسلمين يخسرون هذه المعركة خسارة مطلقة. والحديث عن مواجهة المسلمين للصليبيين في فترة الحروب الصليبية المعروفة سيتناول دولاً إسلامية عديدة مثل الفاطميين في مصر والشام والسلاجقة في الشام والعراق وفارس ومن ورائهم خلفاء بني العباس ثم الأيوبيين والمماليك في مصر والشام حيث انتهى الوجود

(١) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص١١٢٨.

العسكري في العالم الإسلامي انتهاءاً مطلقاً على أيدي المماليك، في نهاية القرن السابع الهجري[(١)].

لقد كان للأيوبيين ونجلهم صلاح الدين الأيوبي والمماليك دوراً بارزاً في تصفية الوجود الصليبي وهزيمته وطرده نهائياً من العالم الإسلامي. والحق إن طرد الصليبيين من العالم الإسلامي والشرق الإسلامي كله كان عمل صلاح الدين أولاً وأخيراً. حتى ذلك الانتصار الذي حققه السلطان الأشرف قلاوون (مملوكي) فأخرج الصليبيين من عكا كان الفضل فيه لصلاح الدين ولأعماله الجليلة التي قضت على الوجود الصليبي في العالم الإسلامي[(٢)].

سوف يركز الباحث على أهم دورين في نهاية الصليبيين دور الأيوبيين ودور المماليك والسبب أن صلاح الدين حقق انتصارات لم يحققها غيره من حكام المسلمين الذين تصدوا للغزو الصليبي. وقد اهتدى لعوامل النصر وهما توحيد صفوف المسلمين ورفع راية الجهاد في سبيل الله. وقد مهد عمل صلاح الدين لعمل المماليك في استكمال هزيمة الصليبيين نهائياً وطردهم من الشرق الإسلامي.

في عام ٥٨٢هـ كان صلاح الدين قد انتهى من تأمين حدود دولته المترامية الأطراف والتي اتسعت حتى أصبحت تمتد من بلاد النوبة واليمن جنوباً إلى بلاد الأرمن شمالاً ومن برقة غرباً إلى الموصل وبلاد الجزيرة شرقا ويدعم هذا الملك المتحد اعتراف الخليفة العباسي ورضي بغداد عنه[(٣)].

وضع صلاح الدين نظاماً دقيقاً يكفل جعل العدو باستمرار تحت المراقبة وقد شمل هذا النظام ما يلي:

١- جمع المعلومات عن العدو بصفة مستمرة وذلك بواسطة إنشاء شبكة قوية من المواقع المتتالية بعضها خلف بعض. وكان الاتصال بينهما يتم بواسطة مجموعة

---

(١) علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) علي عبد الحليم محمود الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٣) نعمان الطيب، منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الحسين الإسلامية، ١٩٩١م) ص٢١٤.

من الجياد السريعة أو بواسطة الحمام، كما أنه أحياناً يداوم الاتصال بالعدو بين الفينة والأخرى لجس نبضه والتعرف على حقيقته.

٢- شحذ رجاله وإكسابهم المهارة الحربية وتدريبهم على القتال بالمعدات الحديثة وبأسلوب العدو نفسه.

٣- مداومته الحصول على المبادأة وحرمان العدو منها.

٤- مضايقة العدو بصفة مستمرة وبعثرة قواته في مختلف الجهات[1].

التقى صلاح الدين بالصليبيين في معركة فاصلة هي معركة حطين، ولأن معركة حطين تعتبر حرباً دينية جديدة أخذت تجتاح مملكة الصليبيين الذين فقدوا الروح الصليبية. بينما صار لجيش صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ من الروح والحماس الديني مثل ما كان للصليبيين سنة ٤٩١هـ، أي أن الأوضاع تغيرت والروح الدينية هي التي تقود إلى النصر دائماً. لأنها أقوى حافز تدفع المقاتل لأن ينزل إلى الميدان في المعركة وروحه على كفه مضحياً بها في سبيل الدفاع عن دينه ووطنه باقتناع ورضى تام. وبانتصار المسلمين في هذه الموقعة وضع الحد الفاصل الذي انحسر عنده المد الصليبي إلى البحر المتوسط وأسدل الستار نهائياً على مطامع أوربا في الأراضي المقدسة. وانفكت الرابطة بين الصليبيين وأصبحوا بدون قيادة صحيحة تجمع قواهم، وفتحت هذه الموقعة أمام صلاح الدين أبواب المدن الصليبية للاستيلاء عليها. كما أن معركة قرون حماة كفلت لصلاح الدين السيطرة على الشام حيث توحدت القوى الإسلامية فكذلك موقعة حطين كفلت له السيطرة على فلسطين وبيت المقدس لتصفية النفوذ الصليبي[2].

قضى صلاح الدين الأيوبي على معظم الأمارات التي أقامها الصليبيون في الشام وعلى ساحل البحر المتوسط وفلسطين وسقطت في يده مملكة بيت المقدس.

وكان لسقوط بيت المقدس في يد صلاح الدين قد أحدث ضجة كبيرة في

---

(١) نعمان الطيب، منهج صلاح الدين الأيوبي، مرجع سابق، ص٢١٤.

(٢) نعمان الطيب، منهج صلاح الدين، مرجع سابق، ص٢٢٢، ٢٢٣.

أوربا حتى أن بعض الرهبان والقساوسة الذين كانوا بالشام ومنهم وليم كبير أساقفة صور ساروا إلى أوربا يرددون في الاجتماعات والمؤتمرات التي تعقد في إيطاليا وفرنسا وألمانيا قصة سقوط بيت المقدس. وكانت معهم لوحة كبيرة تمثل القبر المقدس وقد لوثته جيوش المسلمين والمسيح يضربه بني العرب[1]. (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً).

وبسقوط حطين التي كانت في يد الصليبيين وضعت خطوط النهاية في حياتهم في الشرق الإسلامي فأخذ صلاح الدين يفتح البلاد والقلاع دون مقاومة. وكان يعامل الناس بالحسنى والتسامح. فقد استولى على عكا بعد أن استسلم الصليبيون فيها بقيادة جوسلين وعاملهم صلاح الدين معاملة حسنة، كما استولى على جنين وبيروت وجبيل ومعظم القلاع والمراكز الساحلية في جنوبي بلاد الشام، كما استولى على الرملة والدوارم والمرملة والنطرون وبيت جيرين.. الخ. واستولى على عسقلان في أوائل سبتمبر ١١٨٧م. وبعد ذلك لم يبق أمام صلاح الدين إلا بيت المقدس وقد هاجمها صلاح الدين في شهر رجب ٥٨٣هـ واشتد هجومه، فلما رأى الصليبيين استسلموا دون شروط وتسلمها صلاح الدين يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ، وهي ذكرى الإسراء والمعراج وما لبث صلاح الدين أن لبى نداء ربه سنة ٥٨٩هـ في شهر ربيع الأول. ودفن أوائل مارس ١١٩٣م وانقسم البيت الأيوبي بين أبنائه وأخوته ولم يلق الصليبيون من الأيوبيين هزائم كالتي أوقعها صلاح الدين وبعد أن تفككت الأسرة الأيوبية ذات الصفحات الناصعة في محاربة الصليبيين تسلم الراية قواد بني أيوب وهم المماليك وقادوا حركة الجهاد في سبيل الله وعملوا على طرد ما بقي من الصليبيين نهائياً من الشرق الإسلامي[2].

لقد نال صلاح الدين هذه الانتصارات على الصليبيين وذلك عندما وجه عنايته إلى إصلاح أحوال مصر الداخلية وإزالة العقبات التي كانت تمس أمن مصر وشعبها ولم يقتصر على هذا فحسب بل هداه تفكيره السديد وحرصه

---

(١) نعمان الطيب، منهج صلاح الدين، مرجع سابق، ص٢٨٧.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

الشديد على سلامة مصر من كل النواحي أن يبعث بقواته جنوباً وشرقاً وغرباً ليؤمن حدود مصر من الخارج وليمنع تسرب العابثين والذين ينفذون إلى مصر من العراق الصحراوية أو البحرية المحيطة بها وهدفهم القضاء على سلامة الرعية أو إثارة الفتن والقلاقل بينهم ومصر يحدها من الشرق والشمال البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وسواحلها طويلة ويحدها من الجنوب والغرب صحاري واسعة مترامية الأطراف، وهذه الحدود كلها تستدعي مراعاة اليقظة التامة والحراسة الشديدة، لذلك رأى صلاح الدين أن يؤمن حدود مصر بتوسيعها وضم الجهات المجاورة لها ففي الجنوب ضم بلاد النوبة وفي الشرق ضم بلاد اليمن والحجاز وفي الغرب ضم بلاد المغرب وهذه البلاد كلها إسلامية. واندماجها مع مصر يعتبر خطوة كبيرة في سبيل توحيد القوى الإسلامية في المنطقة الذي سعى صلاح الدين إليه وكان يحرص على تحقيقه لكي يتفرغ بعد ذلك للجهاد ضد الصليبيين، وهم العدو الأول للأمة الإسلامية[١].

توفي صلاح الدين عام ٥٨٩هـ -١١٩٣م، وبموته انطوت صفحة ناصعة من صفحات الكفاح والنضال المسلم ضد الغزاة الصليبيين وعم الحزن بلاد العالم الإسلامي بفقد هذا البطل المغوار الذي دوخ الصليبيين ووحد الأمة الإسلامية وأعاد مجد الإسلام وأسهم إسهاماً واضحاً وتاريخياً في تطهير أرض المسلمين من عبث النصارى، وتسلم راية الجهاد بعد صلاح الدين قواد المماليك في مصر وعادت الراية من جديد إلى الارتفاع حتى بلغت الذروة وكانت الوحدة بين مصر والشام من جديد وكان الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين من أجل أبهى صور الجهاد حتى تم التحرر والتطهير الشامل بعون الله تعالى وفضله. فسقطت الحروب الصليبية وسقط شعارها معها وظلت راية الوحدة والجهاد مرفوعة خفاقة بأيدي المماليك لمجابهة كل من يتجرأ على الأمة الإسلامية وديارها[٢].

---

(١) نعمان الطيب، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مرجع سابق، ص٢٣١

(٢) مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك، الطبعة الأولى (عمان: دار النفائس، ١٩٩٥م)

ب- دور المماليك في هزيمة وطرد الصليبيين:

المماليك من جهة اللغة جمع مملوك وهو العبد الذي لا يملك حريته، بل كان ملكاً لغيره، وتطلق دولة المماليك أو سلطة المماليك على المماليك الذين اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ليكونوا له جنداً وحرساً لأنه لم يكن محبوباً من "الأكراد" جيش الدول الأيوبية وعمادها. أراد الملك الصالح الإكثار من العصابة لحماية الدولة وإقامة رسوم الملك، وأن ذلك يحصل باتخاذ المماليك والإكثار منهم وقد أخذ التجار في جلبهم إليه فاشترى منهم أعداداً. وأقام لتربيتهم أساتيذ معلمين لحرفة الجندية من الثقافة والرمي. وذلك بعد تعليمهم الآداب الدينية والخلقية إلى أن اجتمع منهم عدد جم. وهم يرجعون إلى الجيش التركي. وبنى لهم الملك الصالح قلعة وظهر منهم قواد وكان أن برز منهم سلاطين، أشهرهم المظفر قطز والظاهر بيبرس وقلاوون الصالحي وابنه الأشرف خليل. وقامت دولة للمماليك من أشهر الدول في مصر. واعتنى سلاطينها بالمساجد والمدارس. وكانت في مصر وكانت هذه الدولة ملجأ العلماء خاصة بعد سقوط بغداد في الشرق الإسلامي واستطاعوا أن يصدوا زحف المغول وجددوا الخلافة في القاهرة واستمرت الخلافة هناك إلى أن انقرضت سلطنة المماليك[١].

يعتبر عهد المماليك - من أوله على الأقل - امتداداً للعهد الأيوبي ولاسيما فيما يتعلق بالحرب ضد الصليبيين ذلك أن أوائل ملوك المماليك أوصلوا الحرب ضد الصليبيين إلى نهايتها المحتومة. وهي تطهيرهم بلاد الشام من أرجاسهم. ذلك أن أوربا الصليبية لم تعد قادرة بعد هزيمة المنصورة أن تعيد الكرة على مصر وبأعداد غفيرة، وكما وأن أوائل ملوك الممالك كالظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون كانوا محاربين من نوع نادر فهم الذين أعادوا وحدة مصر وبلاد الشام. وهم الذين حطموا أسطورة الجيش المغولي الذي لا يقهر فقهروه أكثر من مرة وصبوا الهزائم المتوالية على رؤوس أباطرة المغول. وحاربوا الصليبيين في بلاد الشام

---

(١) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بدون طبعة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م) ص ص١٢٤-١٢٥.

وانتزعوا معاقلهم واحداً بعد واحد حتى أجلوهم عن سوريا عام ١٢٩١م كما حاربوا الثوار وقضوا عليهم إلى جانب حربهم السلاجقة الروم وللبيزنطيين وهزيمتهم إياهم أكثر من مرة والواقع أثبت أن الملك الظاهر بيبرس بأنه قائد محارب من أرفع طراز. وقد ميز نفسه عندما كان ضابطاً وقائداً للفرسان في زمن أواخر الأيوبيين وأما في زمن السلطان قطز فقد كان هو الروح المحركة والعقل المفكر وراء كل ما تم إنجازه ضد المغول بخاصة ولاسيما في معركة عين جالوت الحاسمة ولما أصبح الظاهر بيبرس سلطاناً انضاف إلى خلاله السابقة صفة الحكم والقيادة وهي خلال كان هو من أجدر الناس بها، وهو الذي يعود له الفضل الأكبر، في زمن المماليك في تحطيم القوة الصليبية في سوريا. وعلى الرغم من أن بقاء الصليبيين استمر في بلاد الشام فترة ليست بقصيرة بعد وفاته إلا أن شرف إنهاء الحكم الصليبي يعود له ولحروبه البطولية التي حكمت معاقل الفرنج معقلاً معقلاً. وقد بلغ من عجز حكام سوريا الفرنج وضعفهم أنهم أصبحوا يطلبون عقد الهدن مع الظاهر بيبرس. بل وقد أصبح هو نفسه حكماً بينهم كما حدث لما أحتل ملك قبرص وحاكم عكا على صحابة بيروت وجعلها تترك مملكتها، وتذهب إلى قبرص وبقيت بيروت بدون حاكم، فأرسل السلطان إلى صاحب عكا يقول: هذه الملكة بيني وبينها هدنة، وما سافر زوجها حتى أودعها عند جاهي، وعادتها إذا سافرت تستودعني بلادها. وفي هذه المرة ما سيرت لي رسولاً، ولابد من حضورها وإن تتوجه رسلي وتشاهدها وإلا أنا أبق ببلادها. ولكي يتمكن السلطان من تنفيذ خططه في تطهير بلاد الشام من الفرنج لم يكتف بالاستعداد الحربي وحده، وإنما لجأ إلى الدبلوماسية فحالف بعض الصليبيين لفترة، ليأمن جانبهم، وتفرغ للآخرين، كما عقد عدة هدن مع بيروت، ومع الاستبارية في حصن الأكراد ومع غيرها، وهاجم عندئذ بقية المعاقل واحتلها كما فعل لما هاجم صفد والشقيف واللاذقية ويافا وأنطاكية وفتحها كلها[1].

---

(١) محمد ماهر حماده، وثائق الحروب الصليبية والغزو الصليبي للعالم الإسلامي، الطبعة الثانية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م) ص ص٥٧ -٥٩.

ولما آلت سلطنة المماليك بمصر إلى سيف الدين قلاوون ٦٧٨هـ -١٢٧٩م. بادر بعقد هدنة مع بقايا الصليبيين. دفعه إلى ذلك عزم التتار على مهاجمة المماليك ومخالفة بعض أمراء الشام عنه، واستعد السلطان قلاوون لملاقاة التتار الذين تقدموا إلى البلاد الشامية وجرت بينه وبينهم معركة عظيمة قرب حمص ٦٨٠هـ -١٢١٢م انتصر فيها قلاوون انتصاراً باهراً وطاردهم إلى أعالي الفرات. ثم وقع الصلح لحقن الدماء بين السلطان قلاوون وملك التتار وما أن أمن السلطان قلاوون جانب التتار حتى التفت إلى الصليبيين فاستولى على المرقب ٦٨٤هـ -١٢٨٥م وسنة ٦٨٨هـ استولى على طرابلس حيث هدمها وأقام مدينة باسمها. ولم يبق للصليبيين إلا عكا وما حولها. واستعد قلاوون لحصار عكا ولكن وافاه الأجل سنة ٦٨٩هـ وخلفه ابنه الأشرف خليل وسجل عهده نهاية الصليبيين. إذ هاجم الأشرف عكا واستولى عليها وذلك بعد حشد كبير وكان سقوطها عام ٦٩٠هـ -١٢٩١م. وبنهاية عكا وما حولها كانت هذه الجولة الأخيرة في صراع استمر قرنين من الزمان ٤٩٠هـ -٦٨٠هـ. كان في هذه الفترة اتصال بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي وكل منهما أثر في الآخر. وقد استفادت المسيحية من الاحتكاك بالإسلام فائدة كبيرة كان أثرها واضحاً في النهضة الحديثة في أوربا وخروجها من الجهالة إلى الحضارة(١).

وهكذا واجه المماليك الصليبيين وقضوا عليهم وعلى وجودهم في العالم الإسلامي، غير أن دولة المماليك تركت للصليبيين فلول وبقايا تكفلت الدولة العثمانية بالقضاء عليها.

وبأعمال المماليك دالت دولة الصليبيين نهائياً كما وضح من الحديث المتقدم وتم إخراج الغزاة من بلاد الإسلام إلى غير رجعة وأصبحت بلاد الشام كلها من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها عند غزة لا يعيش فيها دخيل غاصب ولا صليبي حاقد يضمر الشر للإسلام والمسلمين(٢).

---

(١) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص ص ١٣١-١٣٣.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي، والعالم الإسلامي، ص ص٢١١-٢١٣، مرجع سابق.

كان هذا النصر بسبب التوكل على الله وتنقية العقائد وإخلاص النية والتوحيد والعزم على جهاد الصليبيين. وكذلك كان للقواد الأشاوس من الأيوبيين والمماليك وشجاعتهم وقيادتهم الحكيمة أكبر الأثر في أن تنتصر الأمة الإسلامية في ذلك الزمان بعد أن عاش الغزاة في العالم الإسلامي زهاء قرنين وهذا كذلك يدل على أن الأمة الإسلامية متى ما رجعت إلى أصولها الفكرية في الكتاب والسنة يمكنها أن تصد الأعداء. والمسلمون لا يقاتلون الأعداء بالعدد والعتاد وإنما يقاتلونهم بهذا الدين. وفي هذا العصر حاقت بالأمة الإسلامية هزائم لا تزال ماثلة فلا مخرج منها إلا الرجوع إلى الجذور من كتاب وسنة وعندها سيكون النصر حليف الأمة الإسلامية كما كان من قبل ولا شك أن في التاريخ عظات وعبر بل والتاريخ هو الحافز للجيل الحالي في القرن الحالي أن يهتدي بما اهتدى به الأوائل حتى طردوا الغزاة الصليبيين ولاسيما وأن الصليبيين عادوا أدراجهم تدفعهم نفس الأسباب من حقد قديم وطمع في خيرات الشرق الإسلامي. إذ أنهم في حروبهم الأولى ذكروا أن هذه البلاد تفيض لبناً وعسلاً. وهي إشارة إلى ثروات العالم الإسلامي بصفة خاصة والشرق بصفة عامة. وأصبحت الآن هذه البلاد تفيض بترولاً. والهجمة الصليبية المعاصرة لها أهداف في تدمير عقيدة الإسلام والاستيلاء على ثروات العالم الإسلامي.

ثالثاً: نتائج الحروب الصليبية على العالم الإسلامي:

لابد أن تترك الحروب الصليبية التي استمرت قرنين من الزمان لابد أن تترك آثاراً ونتائج على العالم وهي نتائج واضحة وآثاراً واضحة كذلك واضحة للعيان. نلاحظ هذه النتائج في مجالات مختلفة. فهناك نتائج في السياسة وأخرى في الاجتماع والاقتصاد بل تصل النتائج والآثار إلى الفكر. وقد كان من هذه النتائج الإيجابي والسلبي وكلاهما كان واضحاً في أثناء الحروب الصليبية وبعدها. يرى الدكتور علي عبد الحليم في كتابه ((الغزو الصليبي والعالم الإسلامي)) أن الآثار كانت في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفكر. وكما أن الحروب الصليبية كان لها أثر في العالم الإسلامي فكذلك كان لها أثر في الجانب الأوروبي. غير أن الذي يعنينا في هذه الدراسة أثرها ونتائجها على العالم الإسلامي. لقد كان

العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية يعيش فرقة وانقسام سياسي. وكانت الأمة آنذاك في حالة تمزق كانت هذه عوامل مكنت العدو المهاجم من أن يقيم على الأرض الإسلامية استمر بعضها أكثر من قرن وعاش بعضها قرنين كاملين. وقد كان في هذا العصر العالم الإسلامي على جانب من التحضر. وبسبب هذه الحروب تعرف العالم الإسلامي والعالم الأوروبي على بعضهما وقامت بينهما صلات. وأن كانت هذه الصلات التي أوجدتها الحروب الصليبية. كان تنقل الأفراد بين العالم الأوروبي والعالم الإسلامي. مستمراً في مجال التجارة ورحلات الحج لبيت المقدس. ولا ننسى الوجود الإسلامي في الأندلس. الحروب الصليبية غطت العالم الإسلامي آن ذاك إذ شملت كل من آسيا الصغرى والشام والعراق ومصر. بل وصلت بعض هجماتها إلى الحجاز عبر الأردن وأرادت أن تهدد الحرمين الشريفين. وهاجمت تونس والمغرب والأندلس. ومن باب أولى جزر البحر المتوسط. كانت آثار الحروب الصليبية واضحة كما تقدم في الاجتماع والسياسة والاقتصاد وفي إذكاء العواطف الدينية.

في الجانب الاجتماعي كان لهزيمة الصليبيين للمسلمين أثر واضح إذ أحس المسلمين بالعجز والكسل وكان في نفوس بعضهم اقتناع بأن الانتصار على الصليبيين غير ممكن. هذا الإحساس أدى إلى أن يعتقد بعض المسلمين أن جهاد النصارى يكون بالقلم واللسان وهذا الضرب من ضروب الجهاد يغني عن القوة والسيف والسنان. حتى قال بعضهم أن جهاد القلم واللسان لا يقل عن جهادهم بالسيف والسنان. هذا الفهم كان أول سلبية على المجتمع المسلم. بل لغي مسلمة عند أهل العلم تقول أن جهاد العدو الذي اغتصب شبراً من الأرض الخاصة بالمسلمين. فجهاده فرض عين وبسبب هذا الفهم تنازل بعض المسلمين للصليبيين عن ميدان الجهاد بالسيف. وقد قاد هذا الفهم علماء كبار في ذلك الزمان ونجد ابن تيمية قد حمل على الذين تركوا الجهاد حتى قال والعاجز عن الجهاد بنفسه يجب عليه بماله واستدل على ذلك. وقد كانت الدعوة إلى الزهد تزهد الناس في الجهاد. وهي الأخرى جاءت من علماء في ذلك الزمان وهي دعوة أصابت المسلمين بأضرار كثيرة. حتى اكتفى بعض العلماء بالتأليف وكتابة الرسائل والكتب وآخرون لجأوا إلى نظم الشعر والقصائد النبوية يمدحون بها رسول الله ﷺ. ومن

الظواهر الاجتماعية التي استحدثت في عهد الحروب الصليبية قيام بعض المدن التي لم تكن موجودة من قبل.

ومن التأثيرات الاقتصادية ما يمكن أن نلمسه في جانبين إيجابي وسلبي. فمثلاً في الجانب الإيجابي انتعشت التجارة بين العالمين الأوروبي والإسلامي وتم نقل حاصلات الشرق إلى أوربا.

وبالتالي قام نشاط تجاري ضخم بين الشرق والغرب. بل عبرت حاصلات الشرق الأقصى الشرق الإسلامي إلى أوربا. غير أن السنين الأخيرة التي شهدت ظهور المغول حولت طريق التجارة ليمر إلى طريق آخر هو طريق الصين. ولأن مصر كانت بعيدة عن الخطر المغولي فقد ظلت التجارة في مسالكها النشاط الواسع في عصر الحروب الصليبية عاد بفوائد اقتصادية على بلدان الشرق الإسلامي(١).

في الناحية الاقتصادية كان هناك سلبيات عديدة، لقد عانت بلاد المسلمين من تخريب بعض المدن وتعطلت الصناعات وضاعت كثير من الحاصلات. وأختل الأمن بسبب أن الدولة مشغولة بالحرب. وارتفعت الأسعار وأضرت بالمواطن. وساءت الأحوال الاقتصادية.

وقد كان التأثير من الناحية السياسية كبيراً. إذ أصبحت الحروب الصليبية أحداث وتغيرات سياسية كبيرة. وكانت النتائج والآثار تتمثل فيما يلي:

١- اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم تحت قيادات مخلصة.

٢- إضعاف الدولة الرومانية - بيزنطة - مما أدى إلى الاستيلاء عليها نهائياً من قبل المسلمين بعد الحروب الصليبية ومعلوم مما تقدم أن العالم الإسلامي في ذلك الزمان يعيش أسوأ فترات حياته من الفرقة والتشتت والتفكك وتنازع الأمراء في الشام وفي فارس وفي مصر.

كان العالم الإسلامي يعاني من الفرقة في فترة الحروب الصليبية ويعاني من

---

(١) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، بدون طبعة (جدة: دار عكاظ، بدون تاريخ ص٢٢٣ - ٢٣٣ بتصرف.

الانقسام وعاش ظروف اضطراب مما سهل مهمة الصليبيين في الاستيلاء على أجزاء من الشرق الإسلامي، وأسسوا ممالك.

هذا الأمر دعا المخلصين من القادة المسلمين أن يعملوا سريعاً لتوحيد العالم الإسلامي حتى يقفوا صفاً ضد العدوان الصليبي. وقد قاد هذا الأمر والجهاد قواد أبطال هم عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي - مهدوا الطريق لطرد الصليبيين من العالم الإسلامي بل حققوا انتصارات واضحة على الصليبيين. وكان آخرهم صلاح الدين الذي انتصر انتصاراً ساحقاً في حطين عام ١١٨٧م وخلف بني أيوب المماليك وكان أن انتصروا هم كذلك على الصليبيين. من الآثار الهامة للحروب الصليبية جهد صلاح الدين في توحيد المسلمين ورفع راية الجهاد في سبيل الله.

الجانب الثاني لأثر الحروب الصليبية التي كانت تقف سداً في وجه الفتوح الإسلامية. تحركت أطماع الكاثوليك وكانوا أخطر على الدولة الرومانية من السلاجقة المسلمين، بل أقاموا ممالك مناوية للدولة البيزنطية. وكان هناك صراع بين الصليبيين والدولة البيزنطية. وقد قضى الصليبيون على الدولة البيزنطية وأقاموا دولة بدلها استمرت من ١٢٠٤هـ-١٢٦١م. وهذا الأمر أضعف أمر الصليبيين في العالم الإسلامي[1].

وقد كان من نتائج الحروب الصليبية كذلك "إذكاء العواطف الدينية" وهو أثر واضح لدى المسلمين. وقد ولد هذا الإذكاء ضراوة الصليبيين التي واجهوا بها المسلمين في أشكال كثيرة من أشكال التعامل في كل بلد حلوا فيها. إذ ما رسوا القتل والوحشية والقسوة. هذه المعاملة أعادت المسلمين إلى التمسك بدينهم.

هذه المعاملة أيقظت في نفوس المسلمين الحماس ووجدوا القرآن والحديث يدفعهم إلى الجهاد. وبرزت شخصيات إسلامية قادت الجهاد في العالم الإسلامي. فبرز اسم عماد الدين زنكي وولده نور الدين. وصلاح الدين الأيوبي الذي هزم الصليبيين في حطين كما تقدم. واستعاد صلاح الدين بيت المقدس ولم يركن

---

(١) علي عبد الحليم محمود، المرجع نفسه، ص٢٣٢-٢٣٩ بتصرف.

صلاح الدين إلى هذا بل تطلع إلى أن يتابع الصليبيين على الساحل. وقد خلف صلاح الدين المماليك وكانوا قواداً للشعوب الإسلامية في الجهاد الإسلامي. ظهر من هؤلاء قواد عظام أخرجوا الصليبيين من آخر المعاقل التي كانت في أيديهم: "عكّا" من آثار الحروب الصليبية أن كره المسلمون النصارى الذين يقيمون في بلاد الإسلام. كما كرهوا اليهود الذين وقفوا مع النصارى ضد الإسلام والمسلمين. ومن الآثار أن نشطت حركة التأليف من قبل العلماء المسلمين توضح الصليبية والديانة النصرانية. نذكر من ذلك كتاب ابن القيم الجوزية الذي ألف كتاب سماه هداية الحيارى من اليهود والنصارى. شرح فيه ما في اليهودية من باطل. وألف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم - ابن تيمية - كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وغيرها من الكتب التي كتبت استجابة للعاطفة التي أيقظتها الحروب الصليبية.

هذه الدراسة توضح الحال الذي أصبح عليه العالم الإسلامي وقد استعرضت فيه ما تركته الحروب الصليبية على العالم الإسلامي من نتائج وآثار شملت النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأخيراً إذكاء الروح الدينية وتعد هذه أبرز الجوانب التي أثرت فيها الحروب الصليبية في العالم الإسلامي وهذا لا يعني أننا حصرنا كل نتائج الحروب الصليبية على العالم الإسلامي. وهناك نتائج نثبتها دون أن نقدم لها شرح كما هو الحال في الآثار التي تقدمت.

لقد تركت الحروب الصليبية آثاراً في العالم الإسلامي نذكر منها:

١- في العادات والتقاليد.
٢- في مبدأ توريث الإقطاع.
٣- في رباطات الصوفيين وتكاياهم
٤- انتشار الرقيق والاتجار فيه وكل من انتشار الرقيق والاتجار فيه ونظام الإقطاع لا تمت إلى الإسلام بصلة ولكن أخذت طريقها إلى العالم الإسلامي.

وكان في الاثنين تقليد للأوروبيين وترتب عليهما فساد في الأخلاق والسلوك(١).

---

(١) علي عبد الحليم محمود، المرجع نفسه، ص٢٢٣-٢٦١ بتصرف.

الباب الثاني

التنصير

يحتوي هذا الباب على ثمانية فصول كما يلي:

- الفصل الأول: تعريف التنصير
- الفصل الثاني: نشأة التنصير
- الفصل الثالث: أهداف التنصير
- الفصل الرابع: وسائل التنصير
- الفصل الخامس: الإرساليات التي وجهت النشاط التنصيري في العالم الإسلامي
- الفصل السادس: أعمال التنصير في العالم الثالث
- الفصل السابع: التنصير والاستشراق
- الفصل الثامن: الآثار التي ترتبت على جهود التنصير في منطقة العالم الإسلامي

الفصل الأول

تعريف التنصير

كلمة تنصير في اللغة قال ابن منظور في لسان العرب: التنصير: الدخول في النصرانية وتعني الدخول في دين النصارى ونصره جعله نصرانياً وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه) ويقول الرازي في مختار الصحاح (نصره تنصيراً) جعله نصرانياً[(١)].

وفي الاصطلاح التنصير حركة دينية إستعمارية بدأت بالظهور بعد فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة من دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف أحكام السيطرة على تلك الشعوب[(٢)].

يقول الدكتور إبراهيم عكاشة أن المبدأ العام لمفهوم التنصير هو قيام مجموعة من المنصرين باحتلال منطقة معينة والعمل على تنصيرها وتنصير سكانها وإنشاء كنيسة وطنية تؤول مسئوليتها الإدارية والمالية تدريجياً للأهلي الذين يقومون بدورهم في نشر النصرانية في المناطق التي لم يصل إليها المنصرون[(٣)].

ولقد وردت عدة معاني من عدد من العلماء عن كلمة تنصير وتبشير وهناك ترابط بين معنى التنصير لغة واصطلاحاً. والتنصير ما هو إلا محاولة لإدخال

---

(١) إبراهيم عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولة في بلاد الخليج، الطبعة الأولى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م) ص١٣.

(٢) المرجع نفسه ص١٣،

(٣) إبراهيم عكاشة، ملامح التنصير في الوطن العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ص٢٦.

الناس في النصرانية، وذلك باستعمال طرق مدروسة ووسائل معدة للوصول لإقناع الناس بأن النصرانية هي الدين الأمثل، وحثهم على الدخول فيها. أما في مناطق المسلمين فالهدف يختلف وهو صرف الناس عن الإسلام إذ يقول القس النصراني زويمر وهو زعيم الإرساليات التنصيرية في العالم الإسلامي والشرق الأوسط في القرن التاسع عشر يقول في أحد مؤتمراتهم بأن تنصير المسلمين ليس غايتنا ولا نستطيعه ولكن الغاية هي أن نبعد المسلمين عن الإسلام.. وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا إلينا[(١)].

ومن الملاحظ أن هناك مصطلحاً جديداً يتردد في كتابات الباحثين من العرب وهو مصطلح (التبشير) وقد استعمل النصارى هذا المصطلح لأن كلمة تنصير ونصارى لهما أثر غير مرغوب لدى المسلمين لذا كان على النصارى إطلاق اسم جديد على التنصير حتى يتقبله الناس. لذا سموه بالتبشير لما لهذه الكلمة من أثر في النفوس فأصبحت أشهر كلمة مرادفة لكلمة تنصير[(٢)].

فالتبشير لغة مأخوذة من البشرى والبشارة، ومصدر لفعل بشره يبشره، أي أخبره بما يؤثر في البشرة وهي تكون دائماً بالخير وقد تستعمل في الشر إذا قيدت به لقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٨] على سبيل النكاية[(٣)].

واستعمال كلمة تبشير اسماً للتنصير ما هو إلا محاولة لخداع المسلمين. وهو من الألفاظ الخادعة التي استعملها النصارى وأشاعوها بين المسلمين في العصر الحديث عندما داهمت الأمة الإسلامية الغزوات الإستعمارية والفكرية. وهو أسلوب استعمله النصارى كثيراً مستغلين روح الغفلة السائدة بين المسلمين وانشغالهم بمسائلهم ومشاكلهم الخاصة التي أوجدوها هم لهم بجانب جهل المسلمين بأساليب التوغل والتسلل الخفي للتنصير في بلادهم. كما تتسلل الحية من بين الأشجار دون أن يشعر بها أحد.

---

(١) عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري وأهدافه ووسائله، الطبعة الثانية (مكة المكرمة: منشورات رابعة العالم الإسلامي، ١٣٩٤هـ).

(٢) إبراهيم عكاشة، ملامح التنصيري في العالم العربي، مرجع سابق ص٢٦.

(٣) عبد العزيز إبراهيم العسكر، التنصير ومحاولات في بلاد الخليج، مرجع سابق ص١٤

ولو أن المسلمين أدركوا على مستوى العامة أن ما يتسم به التبشير أو التنصير من جهود ومؤتمرات ومنشورات وغيرها من الوسائل لإخراجهم من الإسلام أفراداً وجماعات لراجعوا أنفسهم ولما تساهلوا مع القائمين به.

فقد جاء خطاب المبشر (زويمر) في أحد مؤتمرات التنصيرية الذي عقد في القدس سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م (أن مهمة التبشير الذي ندبتكم دول مسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية. فإن هذا هداية وتكريم، إنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام[١]. وعليه التبشير هو الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس للدخول فيها[٢] بشتى الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وقد عرفه الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني بقوله (هو تعبير أدخله رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية لاسيما المسلمين. ثم يتحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلى التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين).

على الباحثين الإسلاميين والعرب والكتاب أن يحرصوا على تجنب تسمية التنصير بالتبشير حتى لا ينطلي هذا الخداع على القراء المسلمين وعليهم كشف هذا الأسلوب.

---

(١) آل شاتيليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة وتلخيص محب الدين الخطيب ومساعد اليافى (بيروت: بدون تاريخ) ص٩.

(٢) سعد بن السيد صالح، التبشير الصليبي ص٣٩.

الفصل الثاني

نشأة التنصير

إن الاتصال بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي النصراني لن ينقطع في القديم ولا العصر الحديث ولكن الاتصال بهذه التبشير المنظم كان عقب سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م ومن ثم كان عملاً مخططاً في سبيل الأهداف المتقدمة.

جاء في بحث بعنوان مشروع التبشير ألفه المستر أدوين البروتستاني ونقل عنه محب الدين الخطيب ما يلي: (يقول المؤلف إن تاريخ التبشير إنما يرجع إلى صدر المسيحية ومبتدأ تأسيسها ثم ذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال: (إن ريموند لول الأسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين[١].

والذي يهمنا في هذا البحث العصر الحديث دون العصور الوسطى، إذ أن التبشير في العصور الحديثة أثر في حياة المسلمين بكافة أنواعها وظهرت ملامحه في حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية.. الخ وذلك عندما ضعف المجتمع الإسلامي ودب فيه الوهن على أثر سقوط الأندلس في أوربا.

ضعف أمر المسلمين في الأندلس كثيراً واستطاع الأسبان والبرتغاليون بهذا

---

(١) محب الدين الخطيب ومساعد اليافى، الغارة على العالم الإسلامي، الدار السعودية للنشر - الطبعة الثانية جدة ١٣٨٧هـ، ص٨٠.

الإخراج بل أرادوا ملاحقة المسلمين في المغرب وإخراجهم منها وقد تمكنوا من السيطرة على بعض المراكز على شواطئ البحر المتوسط مثل مليلة ووهران كما استولوا على شواطئ المحيط الأطلسي في غرب بلاد المغرب وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا بعدم إمكانية التوغل نحو الداخل لتمكن المسلمين. وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت، ببعض حقدهم رأوا أن الاندفاع في الحروب والمغامرات في القتال لا يجدي شيئاً بلا تخطيط.

بدأوا التخطيط ورأوا أن عليهم:

١- معرفة طرق تجارية غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون وبهذا يصل الأوروبيون إلى الشرق وينافسون المسلمين الذين يفقدون ما يجنونه من أرباح من تجارة لا يسيطرون على طرقها.

٢- بعد الوصول إلى الشرق يجب السيطرة على تلك المناطق لإمكانية التطويق والاستعداد التام لقتال المسلمين.

٣- يجب العمل على نشر النصرانية في البلاد التي يدخلونها وحث النصارى على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها.

٤- الاتصال بنصارى الشرق وحضهم على العمل معهم لاجتثاث جذور الإسلام)[1].

حدث هذا في القرن الرابع عشر الميلادي ويعد هذا الأمر هو طلائع التبشير المنظم والمخطط له. وكان الرواد لذلك التبشير المنظم اليهود والنصارى الذين يجيدون اللغة العربية.

كانت البرتغال تتبنى هذه الآراء وتعد لها وكانت قد أرسلت بعض اليهود الذين يجيدون اللغة العربية إلى مصر حيث أظهروا هناك الإسلام وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الحسنة فاستطاعوا أن يعرفوا أحوال جيش دولة المماليك أقوى الدول الإسلامية آنذاك وتساعد المسلمين في حروبهم ضد الأحباش والنصارى كما تعرفوا على أوضاع البلاد الداخلية وسرقوا خرائط

(١) محمود شاكر، الكشوف الجغرافية، مرجع سابق، ص٢٥.

البحار عن الملاحة)[١].

(لقد أخرج النصارى المسلمين من الأندلس ولاحقوهم في بلاد المغرب واحتل الأسبان بعض المراكز التي لا تزال بأيديهم إلى الآن وسار البرتغاليون على شواطئ أفريقيا الغربية يحتلون المواقع الهامة والنقاط الحساسة حتى التفوا حول القارة وخرجوا عن المحيط الهندي من جهة الجنوب بينما انطلق الأسبان نحو الغرب بعد أن توقفت عملياتهم في البحر المتوسط وكان يبغون الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين ليتمكنوا من حصارهم وإحكام القبضة عليهم وإذ يكون البرتغاليون قد جاؤوهم من الجنوب والأسبان من الشرق والروس الذين كانوا ينازلون المسلمين من الشمال وبقية أوربا ولجت المحيط الأطلسي)[٢].

هذا وقد ارتبطت مؤسسة التبشير بمؤسسة الإستعمار بل أن التبشير كان عين ورحلات استكشافية وطلائع إستعمارية. (من الصعب فصل هذه المرحلة من مرحلة الإستعمار بل ثمة تلازم وترابط بينهما بل ليس هناك تجاوز في اعتبارهما وجهي عملة واحدة. وهذه المرحلة أحياناً سبقت الإستعمار المباشر والاحتلال العسكري وغالباً اكتسبت دفعتها القوية في ظل سيطرته وتحت إرادته ومن ثم يمكن القول أن التبشير يشبه (فصيلة الطليعة) أو الاستطلاع الذي يسبق الإستعمار المباشر والاحتلال العسكري.. فهو عيون للاستكشاف وأوكار للتلصص وخلايا للتجسس، والأهم من ذلك وأخطر أنه أداة لغزو العقول[٣] ودمجها في مذهب من مذاهب المسيحية ولابد من الالتفات إلى أخطر شيء وهو الغزو الفكري وقد كان ولا يزال من أشد أدوات الإستعمار فتكاً في البلاد الإسلامية وفي ثنايا هذا البحث سوف تتضح لنا خطورة هذا الغزو.

وقول الدكتور حسان محمد حسان في موضع آخر (لقد ارتبط التبشير

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٢) محمود شاكر، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، مرجع سابق، ص٩-١٠.

(٣) حسان محمد حسان، وسائل مقارنة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص٤٥.

بالإستعمار وتبع ذلك تطويق العالم الإسلامي ومحاصرة أطرافه وخنق ثغوره وقطع اتصالاته وعرقلة أساليب تجارته وهذه المرحلة بدأت قبيل القرن الخامس عشر الميلادي وتصدرها مجموعة من البحارة البرتغاليون والأسبان ومجموعة من التجار ووكلاء الشركات التجارية التي بدأت تلمع نجومها وتمتلئ خزائنها)[١].

ولتنفيذ خطة الاستيلاء على العالم الإسلامي بواسطة الإستعمار والتبشير استولت فرنسا على الجزائر سنة ١٨٤٧م وتونس عام ١٨٨٢م، والمغرب عام ١٩١١م، وبريطانيا تحتل البنغال عام ١٧٥٧م، والبنجاب عام ١٨٤٩م، ونيجيريا عام ١٥٨١م، هذه نماذج من خطة الإستعمار والتبشير لتطويق العالم الإسلامي إذ لم تبق بقعة إلا وللإستعمار والتبشير فيها رأي واحتلال.

والإمبراطورية التي لم تغرب عنها الشمس كانت معظم أملاكها في بلاد المسلمين وصارت بلاد الإسلام والمسلمين (تركات توزع.. وأرزاق تقسم.. وحدود يعاد رسمها.. وبلاد يعاد تخطيطها ودول تقام.. ودول تبقى.. وشعوب تهجر.. وأقليات تستورد..)[٢].

ثم تحتل بريطانيا واحد من أكبر أقطار العالم الإسلامي وبوابة إلى أفريقيا ويعد من أخطر الأقطار مستقبلاً ومن أحسن أقطار العالم الإسلامي موقعاً. وكانت به دولة إسلامية لقد تم استيلاء بريطانيا على السودان عام ١٨٩٨م وبعد عشر سنوات فقط عقد مؤتمر تبشيري بشأن التعليم في أقصى جنوب السودان[٣].

دخل كتشنر وجنده السودان بعد موقعة كرري الشهيرة وقد كرس جهده في الأيام الأولى للقضاء على ما يسمى بآثار (التعصب للمهدية) كما كانت الجمعيات التبشيرية المسيحية مهتمة بالسودان بوجه خاص. إذ رأت في غردون بطلاً مسيحياً قتل في سبيل الدفاع عن المسيحية وكانت راغبة في انتشارها في وادي النيل وحتى قلب القارة الأفريقية وأيدت فكرة قيام حائط صيني عظيم من

(١) حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري، مرجع سابق، ص٣٠.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.
(٣) السياسة التعليمية والثقافية العربية في جنوب السودان، ص١٨.

الجمعيات التبشيرية يمتد من رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة[١].

ويرجع عهد التبشير في بلاد فارس سنة ١٨١١م، وسنة ١٨٣٤م حيث ابتدأ المبشرون الأمريكيون التبشير بين النسطوريين ثم بين المسلمين[٢].

ما تقدم ذكره طريق وصور مختصرة ونماذج لخط سير التبشير الزمني والجغرافي، ومن دراسة تاريخ التبشير تتضح لنا مدى خطورة هذه المؤسسة في تطويق العالم الإسلامي في كل من أفريقيا وآسيا. ويتضح لنا كذلك مدى أهمية دراسة المؤسسة إذ أن الدراسة العلمية الدقيقة تسهل على المختصين منا التصدي لهذه المرحلة.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٧.

(٢) محب الدين ومساعد اليافي، الغارة على العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٢٢٣

الفصل الثالث

أهداف التنصير

أهم هدف وقد يكون هو الهدف الوحيد الذي جعل النصارى ينطلقون نحو أرض الإسلام هو تدمير العقيدة الإسلامية وإخراج أهلها منها، وإذا لم يتحقق هذا الهدف فلا بأس من سلب الشخصية الإسلامية مقوماتها وسلب المجتمع الإسلامي مميزاته وبالتالي هدم أهم ركيزة وأهم نواة وهي الأسرة.

ولن يحصل هذا في رأي المبشرين إلا من خلال عمل المسلمين واستمالتهم وأن يصبحوا أداة في يد مؤسسة التبشير (تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطفها أحد أغصانها)[١].

وقال (جيفورد بالكرف) متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه[٢].

ومما يدل أن هدف التبشير والإستعمار والصليبية استئصال القرآن قول جلادستون: (ما دام هذا القرآن في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على

---

(١) محب الدين ومساعد اليافي، الغارة على العالم الإسلامي، الدار السعودية للنشر، الطبعة الثانية، جدة، ١٣٨٧م، ص٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٤.

الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[(١)].

يقول المبشر لورانس براون إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم حينئذ لا وزن لهم ولا تأثير[(٢)].

واضح الحقد من الكلام المتقدم وإلا متى كان المسلمون نغمة أو لعنة على العالم فهم دائماً نعمة للعالم يشهد بذلك المنصفون من كبار علماء الغرب ولكن أهداف التبشير تعمي، وقد خسر العالم الكثير بانحطاط المسلمين. (راجع كتاب أبو الحسن الندوي)[(٣)].

لقد هدف التبشير إلى إخراج المسلمين عن دينهم دون إدخالهم في النصرانية.. عدل لفظ (الإخراج إلى الإبعاد) ثم عدل الإبعاد إلى ألفاظ أخرى أكثر خداعاً (التغيير الاجتماعي) التغريب، التحديث ونحو ذلك وفي عام ١٩٢٠م عندما اتجهت بوارج المستعمر الحربية إلى الشام قال القائد الفرنسي مشيراً إلى بارجة تحمل (مومسات) أن أثر هذه البوارج سيزول أما أثر هذه البارجة فلن يزول[(٤)].

مثلما دخلت الخيول الفرنسية الأزهر عندما غزا نابليون مصر كان هذا شأن فرنسا عندما غزت الجزائر.

فقد كان أول عمل قامت به فرنسا بعد احتلالها للجزائر تحويل مسجد (كيشارو) التاريخي إلى كاتدرائية. وأصدرت هيئة البريد الفرنسي طابعاً تذكارياً يمثل الهلال رمز الإسلام وهو يسقط منحدراً إلى قاع البحر إلى حين يرتفع الصليب رويداً يغمر بسناه الأفق.. وخطب جلادستون رئيس وزراء بريطانيا مؤكداً

---

(١) جلال العالم، قادة العرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، نقلاً عن كتاب الإسلام على مفترق الطرق، تأليف محمد أسد، ص٣٩

(٢) المرجع نفسه، ص٧٤-٧٥.

(٣) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة العاشرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٧م، دار القلم الكويت.

(٤) علي محمد جرشه، التخطيط للدعوة الإسلامية، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص٧٧.

أننا لا نستطيع قهر المسلمين ما بقيت فيهم الكعبة والمصحف، وأكد ملك أسبانيا أمام البابا: أن أسبانيا جندت نفسها لحرب المسلمين في أفريقيا حرباً لا تنفك عنها حتى تغرس الصليب في ديار المسلمين وتجعل أتباع محمد يخضعون له قهراً (وعندما فتحت قناة السويس أرسل المهندس دلسبس إلى البابا يقول الآن أصبح الطريق إلى قلب العالم الإسلامي مفتوحاً (وعندما سقطت القدس في يد المارشال ألنبي في الحرب العالمية الأولى خطب وقال الآن انتهت الحروب الصليبية وفي دمشق التي سقطت في يد القوات الفرنسية ذهب القائد غورو إلى قبر صلاح الدين ووقف قائلاً (لقد عدنا مرة ثانية يا صلاح الدين)[١].

ولقد ركز المبشرون والمستشرقون أن هدفهم هو خلق أجيال جديدة من العرب المسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية وأبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه[٢].

وقد يقول قائل هذه الحقب قد انقرضت ولكن كما تقدم هذه إستراتيجية لا يزال التنصير يعمل وفقها حسب ظروف المكان والزمان.

والحال في أفريقيا شاهد على استمرارية هذه الأهداف مما جعل بعض المسلمين يفكرون في عمل يكافئ عمل التبشير.

(وأفريقيا من أول القارات التي دخلها نور الإسلام وكان له أثر بالغ في تشكيل وجهتها الحضارية وصياغة مجتمعاتها إلا أن الإستعمار حرص أن يبدل تلك الوجهة ليقطع أصولها ويطمس آثارها حتى تخلص له القارة بموقعها الخطير وسهولها ومواردها البكر ومساحاتها الشاسعة ولقد واكب هذه الهجمة الإستعمارية تحرك صليبي مكثف لاستباحة القارة ومناواة المد الإسلامي المتنامي في ربوعها مستغلاً الظروف الصعبة التي يعيشها إنسان أفريقيا حتى تتم استمالته ولغاته على كثير من الأقطار الأفريقية ليطبعوا كثيراً من مظاهر الحياة فيها

---

(١) عبد الودود إبراهيم الشبلي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، المكتبة الأفريقية، دار المعارف، القاهرة، ص٥٢ -٥٣.

(٢) أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ص١٣.

بالطابع المسيحي استناداً على تفوق الحضارة الغربية ـ في العلوم والتكنولوجيا والنفوذ الغربي ـ في عالم السياسة والاقتصاد الأمر الذي اقتضى أن ينهض المسلمين لمواجهته حماية للعقيدة ونشراً للدعوة.

وكان أن اجتمع نفر من المهتمين بأمر الدعوة الإسلامية ـ في رجب ١٤٠٠ هجرية واجمعوا على ضرورة إنشاء كيان متخصص لاضطلاع بعبء الدعوة الإسلامية والتصدي للحملات الجائرة بذات الوسائل فجاء قرار إنشاء المنظمة ـ في فجر هذا القرن الذي شهد صحوة إسلامية متنامية ـ في مختلف بقاع المعمورة[١].

والمنظمة المقصودة هي منظمة الدعوة الإسلامية التي قامت بمجهودات طيبة ـ في نشر الإسلام وقيام مؤسسات التعليم والتربية ـ في أفريقيا وغيرها من قارات العالم.

ويمكننا أن نورد تفصيلاً لأهداف التنصير. التنصير يسعى إلى الإجهاز على كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام ـ في حياة الفرد المسلم أو حياة الأمة الإسلامية، وذلك لأن النصارى يدركون أن مدى استمساك المؤمن بدينه واستحالة تخليه عنه لذا سعوا بكل أساليب المكر والخديعة لتنفيذ هدفهم هذا من خلال ما يلي تفصيلاً:

أولاً: القضاء على الإسلام في نفوس الناس:

وذلك بالقضاء على القوة الأساسية التي يعتمد عليها المسلمون وهي العقيدة الإسلامية وبما تحمله من قيم وأخلاق. لذا نجد أنهم حاولوا شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف ـ في المسلم تمسكه بالإسلام ويقوي ـ في نفسه الشك فيه كمنهج للحياة ويشاركهم ـ في هذا المستشرقون الذين يبحثون ـ في التراث الإسلامي وتحقيقه[٢] ولهم وسائل ـ في ذلك كثيرة منها نشر الأباطيل حول شريعة الإسلام وتضخم مظاهر الضعف ـ في ديار المسلمين وحملها على الإسلام وتصوير الإسلام على أنه دين الضعف والدماء. وتصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب مثل

---

(١) دليل منظمة الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية، جمادي الأولى ١٤٠٧هـ مطابع سحر، الخرطوم، ص٥.

(٢) عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص ص٢٨-٤١.

الطلاق وتعدد الزوجات واتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية بين أتباعه يقول آل شاتليه (إن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية)[١].

ثانيا: القضاء على وحدة العالم الإسلامي:

قال القس (سيمون) أن التبشير عامل مهم في كسر شوكة الوحدة الإسلامية، ويجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين.

لذلك نجد أن النصارى لهم يد كبرى في ما يحدث من إثارة الفتن والاضطرابات داخل العالم الإسلامي. ولعل ما يحدث في جنوب السودان الآن من تدخل كنسي سافر تقوده كبريات الكنائس والمنظمات الكنسية التي دخلت باسم العون الإنساني والإغاثة أكبر دليل على ذلك. والتحريض الذي كان يقوم به القساوسة الأجانب للجنوبيين ضد الشماليين مما حدى بحكومة عبود بأن تقوم بطرد المبشرين الأجانب[٢].

ثالثا: محاولة وقف انتشار الإسلام:

لقد هال النصارى أن يجدوا أن الإسلام يقف سداً منيعاً أمام انتشار المسيحية وأن قوته جعلته ينتشر بين النصارى أنفسهم لذا سعوا لوقف هذا الانتشار بعدة طرق. تشويه صورة الإسلام في بلادهم والحط من قدر المسلمين والعرب بكل أنواع السبل المتاحة خاصة الإسلامية. ومحاولة حجب الإسلام من أوربا والحيلولة دون انتشاره وانتقاله إليها. وانتقال مظاهره إلى الحياة العامة. ولعلنا نذكر قصة الطالبة الجزائرية التي منعت من لبس الحجاب في فرنسا في قاعة الدراسة مما أثار موجة من الاحتجاجات من المسلمين ضد الحكومة الفرنسية وما حدث لنائبة البرلمان التركية حين طلب منها نزع الحجاب في قاعة البرلمان وما حدث من

---

(١) عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، مرجع سابق ص ص٢٨ ٤١

(٢) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، المركز الإسلامي، الخرطوم، ص٧٧

الإستعمار بالنسبة لجنوب السودان حيث سن قانون المناطق المقفولة لمنع الشماليين المسلمين من دخول الجنوب إبعاداً للأثر الإسلامي على جنوب السودان[١].

رابعا: إيجاد نوع من الهزيمة النفسية بين المسلمين:

وذلك عن طريق تشويه الحضارة الإسلامية والحط من شأنها في نفوس أصحابها حتى يصيبهم التخاذل والهزيمة النفسية ويشعروا بالنقص ومن ثم لينفتح طريقاً للتنصير وتحويل بعض ضعاف النفوس إلى المسيحية بعد سلخهم من دينهم الإسلامي وجعل بعضهم قساوسة ومنصرين يسلكون مسلكهم في العداوة للإسلام. كما حدث في السودان لفيليب عباس غبوش الذي أخذه المنصرون فنصروه وغيروا اسمه وذهبوا به إلى أوربا فتعلم في مدارس اللاهوت هناك وعاد ليكون قسيساً كبيراً في منطقة جبال النوبة يلقبه أصحابه بالأب وله نشاط كبير معاد للإسلام بالإضافة إلى نزعة عنصرية[٢].

خامسا: معاونة الإستعمار والتجسس على العالم الإسلامي:

يقول المنصر الأمريكي (جان مندلسون) لقد تمت محاولات نشطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الإستعمار والعبودية[٣].

ويقول بلفور وزير خارجية بريطانيا (إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في كثير من الأمور العامة، ولولاها لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيراً من العقبات).

إن معظم قادة الغرب النصراني كانوا أعضاء في حركات التنصير مما يدل على مدى التعاون بين التنصير والإستعمار[٤]؟

---

(١) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق ص٧٢

(٢) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة حقيقته وتأثيره ومواجهته، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٤م، ص١٣ غير منشورة

(٣) سعد الدين السيد صالح، التنصير الصليبي، مرجع سابق ص٥٦

(٤) المرجع نفسه، ص ص٥٦-٥٧.

سادسا: خدمة الصهيونية العالمية:

التقت أهداف التنصير مع أهداف اليهود إذ أن النصارى يريدون تمزيق العالم الإسلامي واليهود يريدون إقامة دولتهم. لذا نجد أن النصرانية قامت بدور كبير وخطير بالتمهيد لاغتصاب فلسطين من يد المسلمين وتسليمها لليهود على حسب وعد بلفور لهم في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٨م.

سابعا: الربح المادي والمكسب التجاري:

وذلك باستغلال الإعفاءات الجمركية لتحقيق ربح تجاري يدر على القائمين به أموال طائلة بشكل مباشر أو غير مباشر وقد لاحظت تركيا هذا الأمر فألغت الإعفاءات الجمركية(١).

ثامنا: إنشاء جيل من المسلمين يحب ويحمل أفكار الغرب ومدنيته.

ولا يتم ذلك إلا بإخضاع العالم الإسلامي والتحكم في مقدراته وإمكاناته والعمل على تفرق صفوفه وصفوف المسلمين خوفاً من اتحادهم في قوة تهدد مصالح التنصير والإستعمار(٢).

كثير من المنصرين يرى أن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن ما دام هناك لغة واحدة يتكلم بها العرب والمسلمين. يعبرون بها عن آرائهم لذا كان أن فرض المنصرين لغة المستعمر في البلاد العربية إنجليزية كانت أو فرنسية بجانب فرض حضارته لقطع الصلة بينهم تماماً وبأدبهم القديم ومؤلفاتهم الدينية والتاريخية واللغوية. كذلك السعي الحثيث إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته بأنواعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والعقدي من أصالتها الإسلامية إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة التي هي أساساً مستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية(٣).

---

(١) المرجع نفسه ص ص٥٨-٥٩.

(٢) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة وهبه ١٩٨١م) ص١٦٢.

(٣) مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، الطبعة الرابعة (بيروت: ١٩٩٧م) ص١١٥.

تاسعا: التنفيس عن الصليبية:

نتيجة للهزائم التي مني بها الصليبيون طوال القرنين السابقين من المسلمين التي أدت إلى انحسار المد الإستعماري والتنصيري في بلاد المسلمين وأفريقيا بوجه خاص. وازدياد المد الإسلامي في جميع الاتجاهات. ووقوفه سداً منيعاً دون تمدد النصرانية.

عاشرا: نقل الناس إلى النصرانية ولو كانوا قلة نتيجة لحملات التنصير المنظمة في عدد من البيئات التي يسود فيها الجهل انتقل أفراد وجماعات قليلون إلى النصرانية. غير أن هؤلاء المتنصرين كانت الكثرة منهم من غير المسلمين[١].

من الأهداف المتقدمة مجملة ومفصلة يتضح للدارس أن التنصير والإستعمار يشنان على العالم الإسلامي حرباً صليبية جديدة بأسلحة جديدة قوامها الفكر.

التنصير إذن خطر أكيد على الإسلام والمسلمين ذلك لأنه يستتر تحت مظاهر براقة خادعة، تبدو على رجالة البراءة كبراءة الحمل الوديع وهم ليس كذلك.

---

(١) المصدر نفسه ص٢٥٣.

الفصل الرابع
وسائل التنصير

اتخذ علماء التبشير ومؤسساته كثيرة ومتنوعة في إطار الإستراتيجية التبشيرية وهذه الوسائل المتعددة تصلح لكي تخدم أهداف التبشير في توصيل ما هو مطلوب من معلومات إلى المسلمين وتعمل هذه الوسائل عمل السوس في المجتمع الإسلامي ومن أشهر هذه الوسائل والمؤسسات:

١- المدرسة.　　٢- الصحافة.
٣- الثقافة.　　٤- العلاج الطبي.

(ولا ريب أن هذا المخطط هو أقسى ما واجه الفكر الإسلامي في صوره المختلفة لأنه جاء في غيبة إرادته الحرة وفي ظل إرادة الإستعمار المسيطرة والتي عملت منذ أن بدأت سيطرتها على العالم الإسلامي على غزو العقل الإسلامي والنفس الإسلامية من ثلاثة قوى كبرى المدرسة، الثقافة، والصحافة ذلك عن طريق السيطرة على هذه المؤسسات وإدارتها بواسطة رجال مستشرقين ومعلمي إرساليات ومبشرين ودعاة تغريب[1].

وهي نماذج لوسائل التدمير التي سخرها التبشير والغزو الفكري وسوف أناقش كل مؤسسة من المؤسسات بالتفصيل.

---

(١) أنور الجندي، شبهات في غزو الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص٣.

أولاً: المدرسة:

إن القائمين على أمر التبشير كانوا في الأساس ألمان وإيطاليين ونمساويين وكان الأهالي عازفين عن تعليم اللغة العربية وفي عام ١٩١٠م عقد مؤتمر لرؤساء البعثات التبشيرية في الجنوب ناقشوا فيه هذه المشكلة وصرحوا بخشيتهم أن يؤدي تعلم اللغة العربية إلى انتشار الإسلام وانتهى رأيهم إلى الاقتراح على الإدارة البريطانية بأن يكون التعامل الرسمي للإدارة باللغة الإنجليزية[١].

الكلام المتقدم عن القطر السوداني:

وقد كان لهذه السياسة أثرها في تصعيد مشكلة جنوب السودان التي لا تزال إلى يومنا هذا عقبة كبرى في سبيل توحيد القطر السوداني. وهي مشكلة خلقتها الإرساليات التبشيرية عن طريق التعليم.

يقول الدكتور/ جسن مكي محمد أحمد (كاتب سوداني) في مستهل هذا القرن ثبتت الإدارة البريطانية أقدامها في السودان وقد جاءت لبلادنا بحصيلة وافرة من التجارب في إذلال الشعوب وقهرها، وأدركت فوارق العنصر والدين بين شمال القطر وجنوبه وفي تعاون تام مع العالم المسيحي أخذ القسس يفدون لجنوب السودان للإشراف على عمليات التنصير ونشر الوعي المسيحي بين المواطنين وشرعوا في فتح أعداد هائلة من مدارس القرى والأحراش[٢].

وغالباً ما يتقرب المبشرون إلى الأهالي بمثل هذه الخدمات الإنسانية خاصة دور العلم. إن إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي تزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم ودور الضيافة لجمعيات الشباب المسيحية وأشباهها)[٣].

---

(١) حسن مكي، السياسة التعليمية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٢.

(٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٢٦.

واستمر التبشير المسيحي في سواحل أفريقيا منذ القرن الثالث عشر حيث عهدت للقوى الإستعمارية للكنائس بالسيطرة على مؤسسات التعليم وذلك بخلق عناصر من السكان تدين بالولاء الذهني والفكري الأوروبي الغربي مع خلعهم فكرياً عن مقومات ثقافتهم الوطنية الأصلية وكانت وسائل التبشير في ذلك متعددة تتمثل في: تقديم الخدمات الطبية والتعليمية والترفيهية ثم التأثير الديني بمختلف وسائل الترغيب والترهيب.

وما المدرسة إلا رمزاً للتربية والتعليم من مراحلة الأولية إلى مراحله العليا.

تقول المبشرة آن ميلغان لقد استطعت أن أجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجمع فيه مثل هذا العدد من بنات المسلمين تحت النفوذ المسيحي وبالتالي ليس هناك طريق أقرب إلى تفويض حصن الإسلام من هذه المدرسة[(١)].

ركز المبشرون جهودهم على التعليم منذ زمن مبكر وقد اهتم المبشرون بإنشاء مدارسهم في البلاد الإسلامية في وقت مبكر جداً، فأنشأوا لهذا الغرض مئات المدارس في البلاد العربية وبخاصة سوريا ولبنان ومصر كما أنشأوا ألوفاً من مدارسهم في البلاد الإسلامية الأخرى في أفريقيا وآسيا.. فإنهم كانوا يرون أن التعليم العالي لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة لنشر آرائهم ومفاهيمهم بين هذه الطبقات حتى تنتشر بواسطتهم إلى جميع أفراد المجتمع الإسلامي[(٢)].

وفي مجال الجامعات أنشأ المبشرون البروتستانت كلية في بيروت وذلك عام ١٨٦٢م أصبحت اليوم الجامعة الأمريكية في بيروت ونافسوا الأزهر حيث أنشأوا كلية في القاهرة هي الآن الجامعة الأمريكية.

---

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص١٧٩.

وفي لاهور أنشأ الفرنسيون كلية هناك، وكذلك أنشئت كلية روبرت في استانبول.

مما تقدم يتضح لنا كيف اهتم المبشرون بالمؤسسة التربوية ولا شك أن هذه المؤسسة قد وضعت لها المناهج التي تخدم أهداف التبشير وخلق أجيال تدين بالولاء للحضارة الغربية لا للأصالة الإسلامية وتزهد في أساليب الحياة الشرقية.

ثانياً: الصحافة:

وأهمية هذا الجانب وهذه الوسيلة في خلق الرأي العام وتغيير اتجاه الناس والتحكم فيهم بما يسمى الضبط الاجتماعي. وقد كان العالم إلى وقت قريب عندما يريد الكلام عن الإعلام يقصد الصحافة أي أن كلمة صحافة هنا تعني وسائل الإعلام أو الإعلام يوم ذاك. لأهمية هذه المؤسسة ركز التبشير والمبشرون جهودهم عليها.

(لقد كان العالم الإسلامي ميداناً لغزو صحافي صليبي ماسوني مدمر حيث دخلت المطبعة مصر مع الحملة الفرنسية واستقطبت بعد حين عدد من النصارى في بلاد الشام لصدور مجموعة من الصحف في مصر صارت بعد حين أم الصحافة الأولى ومدرستها الكبرى التي تتلمذ عليها أصحاب الصحف ومحرريها فيما بعد في شتى أقطار الأمة العربية بكل ما لهذه المدرسة من سلبيات بغيضة وعيوب فاضحة وأهداف مضللة وانحرافات مدمرة[(١)].

وفي العالم العربي عملت الصحافة في التمهيد للهزيمة أمام العدو الإسرائيلي عام ١٩٦٧م والكلام هنا عن الصحافة بعامة في كل الوطن العربي لا صحافة قطر بعينه في مرحلة جد خطيرة هي مرحلة الهزيمة والنكسة والنكبة التي بدأت عام ١٩٤٨م تقريباً بقيام جسر الصهيونية في فلسطين وامتدت إلى ما يطلق عليه النكسة عام ١٩٦٧م.

---

(١) يوسف العظم، رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص١١.

وهو العام الذي سيطرت فيه قوى العدو الإسرائيلي على القدس.. وإذا كان قوى خطيرة عملت على توهين القوى العربية بحيث خضعت للهزيمة والنكسة والنكبة (ومنها الاستشراق والتبشير والتغريب والغزو الثقافي) فقد كانت الصحافة عاملاً هاماً في احتضان كل ما قدمته القوى وبثه وإذاعته يوماً بعد يوم ومن خلال كل القنوات قد كانت الصحافة ولا تزال أخطر وسائل التوجيه والتثقيف[١].

بل بلغت بهم الجرأة أن يقيموا إذاعات منظمة تبث برامجها من أجل غسل الدماغ الإسلامي وتحويله إلى تابع الحضارة الغربية.

ولقد سارت سياسة الإستعمار والتبشير والاستشراق معاً على مخطط واحد يتمثل فيما يلي: (إصدار الصحف وتنظيم إذاعات باللغات الأجنبية دون العربية)[٢].

وقد كان النصارى في كل مكان سباقين إلى العمل في هذا الحقل ويتضح لنا هذا الأمر عند استعراض نشأة الصحافة العربية.

يقول أديب مروة في كتابة الصحافة العربية نشأتها وتطورها (لم يكن عام ١٨٧٠م قد أطل حتى كانت قد صدرت في العالم العربي عدة مجلات ونشرات دورية منها مجلة مجموعة بيروت) صحيفة (نتائج الأخبار) التي صدرت في تونس سنة ١٨٦٣م. ومجلة الجمعية السورية سنة ١٨٢٥م في بيروت ومجلة (انتشار الإنجيل) ١٨٦٣م في بيروت ومجلة (مجموع العلوم) للجمعية العلمية السورية ١٨٦٨م ومجلة (أعمال شركة ما منصوردي بول) سنة ١٨٦٨م للجمعية المعروفة بهذا الاسم.

والجدير بالذكر أن معظم مجلات بيروت التي صدرت في ذلك العهد كانت ذات طابع ديني ولكنها لم تعمر طويلاً باستثناء ثلاث أو أربع)[٣].

---

(١) أنور الجندي، الصحافة والأقلام المسمومة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٧.

(٢) المد الإسلامي في أفريقية، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٣) أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ص١٥٦.

(وفي الجزائر ظهرت ثالثة الصحف العربية: أما ثالثة الصحف العربية في الجزائر وهي جريدة (المبشر) الجزائرية فقد أصدرها المستعمرون الفرنسيون في مدينة الجزائر عام ١٨٤٧م بأمر من الملك فيليب)[١].

نكتفي بهذه النماذج ونستطيع أن نقول أن هذه الخطة نهج ثابت كان ولا يزال في ديار الإسلام شرقها وغربها وقد استطاعت الصحافة أن تعمل لما فيه هدم كثير من عقائد المسلمين لما تتميز به من مميزات تختلف عن مميزات وسائل الإعلام الأخرى.

ثالثاً: الثقافة:

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي في كتابه الاستشراق والمستشرقون حيث يربط بين عمل هؤلاء وعمل المبشرين ويثبت أن رجال الاستشراق حركة بدأت بدراسة القرآن الكريم واللغة العربية ولكن هؤلاء لم ينسوا أنهم مبشرون يقول: (وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث)[٢].

وحاولوا فرض الثقافة الغربية والسلوك الغربي على المجتمع المسلم.

يقول أبو الأعلى المودودي فقد فرضوا علينا الثقافة الغربية بل واستولوا على مفاتيح الرزق وعلقوها على أبواب معاهدهم مما كان معناه لن ينال الرزق في البلاد إلا من يتلقى هذا التعليم فأقبلت ناشئتانا إقبالاً هائلاً حتى كانت كل سلالة جديدة أسرع إليها من سابقتها، وتعلمت فيها جميع النظريات والمظاهر العلمية التي كانت بروحها وشكلها متناقضة لثقافتنا. لا شك إنهم ما استطاعوا أن يردوا منا أحداً على عقبه كافراً يجهر بارتداده عن الإسلام، ولكن لا أخال إنهم تركوا حتى اثنين من مائة رجل منا على إسلامهما الخالص من حيث الفكر

---

(١) الصحافة العربية، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٢) الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص١٦.

والنظر والوجدان والذوق والسيرة والخلال والأعمال، فهذا هو الضرر الفادح الذي ألحقوه بنا فقد شقوا جذور ثقافتنا في قلوبنا وأذهاننا وغرسوا فيها وأصلوا جذور الثقافات الأجنبية)(١).

ويقول أبو الأعلى المودودي في كتاب آخر (جامعاتكم كما أثبت آنفاً هي في حالتها الراهنة خادمة للثقافة الغربية فإن اكتفيتم من تغيير هذه الحالة بأن تبدلوا برنامج الإلهيات وتجلعوه أقوى مما كان إلى الآن مع بقاء الطريقة الغربية للتعليم والتربية فإنه لا يمكن أن يعود هذا المعهد خادمة للثقافة الإسلامية. جاء هذا الخطاب تحت عنوان الخطة التعليمية الجديدة لمسمى الهند ومنهاج العمل بها)(٢).

وكذلك كان الحال في سواحل أفريقيا فقد خطط المبشرون لتحويل هؤلاء المواطنين للفكر الأوروبي.

واستمر التبشير المسيحي في سواحل أفريقيا منذ القرن السادس عشر يمهد للقوى الإستعمارية للسيطرة على البلاد وذلك بخلق عناصر من السكان تدين بالولاء الذهني للفكر الأوروبي الغربي مع خلعهم فكرياً عن مقومات ثقافتهم الوطنية الأصلية)(٣).

بهدف محو أثر الثقافة العربية في جنوب السودان سن (قانون المناطق المقفولة) والمقصود منه عدم السماح لسكان السودان في الشمال وهم مسلمون أن يدخلوا الجنوب.

يقول الدكتور/ مدثر عبد الرحيم الطيب في كتابه مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها. يقول في عنوان جانبي (قانون المناطق المقفولة ومحاربة الإسلام واللغة العربية) يقول: (ثم أجيز قانون الجوازات وكان من أكثر الوسائل التي

---

(١) أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، ص٢٨٧ وما بعدها.

(٣) المد الإسلامي في أفريقية، مرجع سابق، ص١٠٢.

اتخذتها الإدارة البريطانية فعالية في إبعاد العرب المسلمين الأفريقيين عن المديريات الجنوبية وفي تمكين الإدارة والمبشرين من صبغ تلك المديريات بألوان مختلفة من الديانات والثقافات غير الإسلامية والعربية)[١].

ويواصل الحديث عن جنوب السودان والتخطيط لعزله عن الثقافة الإسلامية والعربية القادمة من الشمال يقول: (بناء على توجيهات السكرتير الإداري في مقاومة الحضارة الإسلامية العربية في المديريات الجنوبية كتب مدير بحر الغزال إلى مفت راجا من مراكز المديرية التي انتشرت فيها اللغة العربية قائلاً: (أرجو أن تذكر دائماً أنه ينبغي عمل كل شيء وأن كان صغيراً تافهاً يكون من شأنه المساعدة لو بقدر ضئيل على محو اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية والوعي القبلي واللغة الإنجليزية بدلاً عنها فلابد من إيقاف الكلمات العربية مثل (شيخ - سلطان) واتخاذ العبارات المقابلة لها في اللهجات المحلية كلفظة (بنج) مثلاً في مناطق الدينكا كما ينبغي حث زعماء العشائر وعامة الناس على الحفاظ على أسمائهم القبلية منها فيجب أن يشجعوا على استعمالها)[٢].

وفي مجال الأسرة والمرأة كان للتبشير اهتمام خاص (ولقد اهتم المبشرون اهتماماً كبيراً بما سموه بتحرير المرأة ولهم في ذلك نشاط واسع يرمي إلى تخريج جيل من الفتيات المسلمات اللاتي لا يعرفن عن دينهن وتاريخهن شيئاً، ويتعلقن تعلقاً كاملاً بالحياة الغربية التي تتيح لهن أن، ينطلقن باسم التحرير والمساواة في تيار الفساد والانحلال، ذلك أن المرأة في أوربا قد تحررت فعلاً.. ولكن من الدين والخلق والكرامة)[٣].

بل استطاعت جهود التبشير أن تجعل اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في بعض الأماكن مع أن اللغة العربية قد سبقتها إلى هذه الأماكن قبل زمن طويل

---

(١) دكتور مدثر عبد الرحيم، مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية في تكوينها، الدر السودانية، الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م، ص٤١-٤٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٨٢.

ونضرب مثلاً لذلك جنوب السودان وكان الهدف عزل أهل الجنوب عن أهل الشمال الذين يتكلمون اللغة العربية ويدينون بدين الإسلام (وهكذا غدت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية وقام التمييز اللغوي بين الشمال والجنوب نتيجة لاحتكار الإرساليات المسيحية الأوروبية شئون التعليم في الجنوب - أي جنوب السودان)[١].

رابعاً: العلاج الطبي:

العلاج الطبي يُعتبر واحدٌ من أخطر وسائل التنصير. يقول المبشر موريسون (نحن متفقون على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين من المستشفيات أن ندخلهم أعضاءاً عاملين في الكنيسة المسيحية الحية.

وتقول المبشرة إ برا هاريس وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية (يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلم وقلبه فتكرز (تخطب) له بالإنجيل. إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق. ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجباك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه.

مؤتمرات التبشير تحرص دائماً في توصياتها وقراراتها على استخدام العلاج الطبي في التبشير وهم يرون لابد من الإكثار من الإرساليات الطبية ذلك لأن رجالها يحتكون بالجمهور وهم بالتالي أكثر أثراً على المسلمين. وعلى الطبيب ألا ينسى أنه مبشر في المقام الأول. ويخلف الطيب ورائه بيئة يمكن أن يستغلها كل من المبشر وبائع كتب التبشير.

يقول المبشر الطبيب بول هاريون (إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى. لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونسائها نصارى ولهم أساليب في تقديم الخدمات للمرضى لجذبهم للنصرانية حسب البيئة في المدن والقرى والأدغال لكل بيئة أسلوب خاص بها لقد حول المنصرون الطب وهو واحد من

(١) مشكلة جنوب السودان، مرجع سابق، ص٨٣.

أكرم المهن الإنسانية إلى وسيلة خداع وأداة رق لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح فتفتن فقراء المسلمين في دينهم[١].

(١) انظر، أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مرجع سابق ١٧٩-١٨١.

الفصل الخامس

الإرساليات التي وجهت النشاط التنصيري في العالم الإسلامي

من خلال هذا الفصل نلقي الضوء على مدارس التبشير (التنصير والإرساليات التي وجهت من نشاط التنصير في العالم الإسلامي. ومعروف أن مدارس التبشير (التنصير) هي التي تخرج المنصريين وهي دور علم أنشأتها كنائس الأديرة المختلفة لتدرس مناهج ثقافية خاصة بعضها لتكوين المبشر علمياً. وذلك بدراسة الكتاب المقدس بقسميه والتاريخ القديم على الأخص. وبعضها لتهيئة المبشر (المنصر) للقيام بمهمة التنصير ولها مناهج أصلية.

أما الإرساليات وهي البعثات التي توفد من الهيئات المسيحية للتبشير بالإنجيل ويكون أعضاء البعثات من المثقفين الذين تخرجوا من مدارس التبشير (التنصير).

وهؤلاء عندما يذهبون إلى بلد من البلدان يؤسسون كنيسة أو أكثر وغالباً ما يقوم بجانب الكنيسة مستشفى ومدرسة وهي مؤسسات تهدف لإدخال الناس في المسيحية.

والجدير بالذكر أن هذه الإرساليات نشأت ونمت بعد الحروب الصليبية المعروفة. سبق لها الرهبان ورؤساء الأديرة ودرسوا الفكر الشرقي في مدارسهم وأديرتهم. وكانوا يمثلون الطبقة المثقفة والمستنيرة. وتوسعت الدراسة حتى طالبات الجامعات الأوروبية.

وقد قامت أقسام من الجامعات الأوروبية للدراسة الشرقية. وقد استفادوا من دراسة علوم الشرق الإسلامي. وقد أخذت مدارس الأديرة في القرون الوسطى من قبس الإسلام. والآن نجد إرساليات التنصير منتشرة في أنحاء العالم وأوضح ما تكون في أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا وجزر الفلبين وأندونيسيا ولها وجود كذلك في البلدان الإسلامية داخل المنطقة العربية مثل دول الخليج ومصر والسودان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي.

ونجد الإرساليات في كل بلد تنزل فيه تستفيد من وسائله المادية التي من أهمها المدارس والمستشفيات. ومن ثم تقوم بدعاية واسعة.

ولكل إرسالية منهج ولكل كنيسة عبادة. ولكن في المجامع تدعي كلها على مختلف فرقها. ذلك لأن المجامع والمؤتمرات العامة توضح فيها الخطط التي يتبعها الدعاة. وقد نشأت الإرساليات بعد فشل الحرب الصليبية عندما أدرك الأوروبيون أن الشرقيين تفوقوا عليهم بعامل الدين.

لذا لجئوا إلى غزو سلمي مأمون العاقبة هو العمل على نشر المسيحية بالدعاية والإنجازات المادية. وهذا الأمر دعاهم إلى إعداد مبشرين ذوي مقدرة على أداء هذه الرسالة. ويرجع هذا الأمر إلى المستشرق الأسباني ريموند لول. وهو أشهر وأكبر مبشر في العصر الوسيط وأول من نهج طريقة التنصير المبني على أساس علمي.

ومن جهوده وجهود من تبعه نشأت الإرساليات المنظمة التي تعتمد على دراسات خاصة ودعت ظروف أوربا الدول التي تنشئ إرساليات في الشرق.

كانت البداية في كل من أسبانيا والبرتغال لما لهما من تعصب كاثوليكي. إذ كان ينتمي لهما أكثر الإرساليات الكاثوليكية في الشرق لقد كان التبشير (التنصير) واضحاً في القرن الثامن عشر وما بعده. أي عهد الإستعمار وقد ظهر أعظم نشاطه آنذاك ولا يزال تياره مستمراً ، ونذكر أن بريطانيا كان لها نشاطاً واسعاً وذلك لأن مستعمراتها كانت هي الأخرى واسعة الانتشار وكان وليم كاري أباً للتبشير (التنصير) الإنجليزي وريموند لول أباً للتنصير الأسباني.

ولابد من إلقاء بعض الضوء على هذين الشخصين لأهميتهما في تولي ودفع الإرساليات التنصيرية.

١- ريموند لول:

برزت شخصيته في مجال التبشير (التنصير) والاستشراق ذلك لأنه ذو النشاط في الحقلين. ولد سنة ١٢٢٥م ونشأ على غير دين وكان شديد الذكاء وشاعراً وقاصاً.. الخ.

وكان غير مهتماً ولكنه انقلب إلى داعية للنصرانية وكان له نشاط بارز في مجالين. في تعلمه وتعليمه وجولاته الواسعة في البلاد في العالم الغربي والعالم الشرقي.

وقد كان ريموند لول مثقفاً ومتصوفاً. ويعد التنصير وواضع مناهجه ومنشئ مدارسه ريموند لول. وقد تعلم العربية وقرأ القرآن الكريم ويقال أنه حفظه. قام بمجهودات كبيرة فكرية وعلمية لتنصير المسلمين وذلك للإقناع. وكان أبرز من خطط لهذا المنهج في ثلاثة جوانب:

١- أن يدرس المبشر اللغات الشرقية ولهذا دعا إلى تدريس اللغات الشرقية في الجامعات الأوروبية واقنع بذلك الملوك والبابوات وفي أواخر القرن الثامن عشر ملك أسبانيا سلطة تكوين كلية للدراسات الشرقية وبعدها انتشرت الكليات في أوربا التي تدرس اللغات الشرقية.

٢- خطط لتأليف كتب توضح حقيقة الدين المسيحي والأدلة التي تؤيده. لم يكتف بوسائل التبشير المسموعة بل زادها أن تكون مقروءة وذلك لأهمية الكتاب دفعه إلى هذا مقابلة العلماء المسلمين.

٣- أن يكون المسيحي جريئاً شجاعاً وأن يعلن عن عقيدته وإيمانه حتى لو كلفه حياته. وقد رحل لول إلى شمال أفريقيا ثلاث أو أربع مرات حيث مات هناك عن عمر يناهز الثمانين.

٢- وليم كاري:

مبشر إنجليزي عاش ما بين ١٧٦١م - ١٨٣٤م وقد جاء بعد لول بأكثر من خمسة قرون ولكن استفاد من تعاليمه. والإنجليز يعتزون به لأنه أول مبشر وراعي للإرساليات البروتستانية في الشرق والهند.

فقبل أن يرحل إلى الهند تزود بمؤهلات عظيمة من لغات ودراسات أخرى وبلغ به الأمر أن درس لغات الهند. ونصح بأن يترجم الكتاب المقدس إلى لغات القوم الذين يراد تنصيرهم. وكان له صبر وإصرار يدل على ذلك أنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغات البنغال في خمسة سنوات ثم أعاد الترجمة مرة أخرى. وضع الكتب التبشيرية (التنصيرية) في إنجلترا ونشط العلم التنصيري وطلبه الهولنديون لمساعدتهم وصار إماماً للمنصرين ودعا إلى نشر الإنجيل بكل اللغات وطلب الهولنديون منه مساعدتهم واشتهر أمره حتى صار إماماً للمنصرين ودعا إلى نشر الإنجيل بكل اللغات ونالت آراءه وأعماله الرضا وأسس الكنائس في بلدان كثيرة أخرى. ويعتبر القرن الثامن عشر مديناً لهذا الرجل بأعماله التبشيرية.

إلى جانب عمل العلماء والناشطين بالتبشير كانت هناك جماعت قامت بالعمل التبشيري (التنصيري) ووجهت عمل الإرساليات. سوف يلقي الباحث ضوءاً على أهم هذه الجماعات وهي عبارة عن هيئات مسيحية تكونت في ظروف مختلفة وآلت على نفسها نشر الديانة المسيحية. وأنشأت هذه الجماعات بسبب الفساد بين الحكام ورجال الدين ورأوا أن الحياة الروحية هي الأساس الأول لإصلاح هذا الفساد.

١- الآباء البندكتيون:

أقدم جماعات التبشير ومنسوبة إلى القديس بندكت ويسمى بندكت النورسي نسبة إلى بلدة نورسيا بإيطاليا. ولد سنة ٤٧٧م وتوفي سنة ٥٤٣م وكانت حياته مليئة بالنشاط والتفكير والعمل. اعتزل الناس وعاش في جبل متعبداً وكان ناقداً للحياة السيئة في روما أسس بعض الدير وكان تحت إشرافه. قد أغاظ عمله رجال الأديرة الأخرى وهجموا عليه وكسروا ديره. واستمر بندكت يبث الدعوة إلى المسيحية ولحقت به أخته حتى تكون راهبة في صفوف النساء وأدخل هذا القسيس تجديدات بنظام الرهبنة إذ أدخل نظام لساعات اليوم. وألحق بكل دير من أديرته مدرسة وكان رهبانه أول من عني بتعليم اللغة العربية ولغات الشرق الأخرى. ولا تزال هذه الجماعة لها إرساليات ومراكز تبشيرية (تنصيرية) في الشرق.

٢- الفرنسيسيكان:

كانت بداية هذه الجماعة في أوائل القرن الثالث عشر ومؤسسها فرنسيس الأسيزي (١١٨١م - ١٢٢٦م). قامت في أولها على الفقراء ثم وضع لها قانوناً باسم القانون الأول. وقد ذهب إلى روما يطلب تأييد البابا وقد كان له ذلك. ومن ثم نشر أفكاره في إيطاليا وخارجها كان لدعوته صدى لما أصاب الحياة الأوروبية وقد كتب فرنسيس وصيته التي ظلت قانوناً لجماعته. وكان يرى بدلاً من إبادة الكفار دعوتهم إلى الإيمان والهداية وإدخالهم في النصرانية.

٣- الآباء الدومينكان:

أسس هذه الجماعة القسيس دمنيكوس (١١٧٠-١١٢١م) كانت تحمل اسم الأخوة الوعاظ. وجعلوا مهمتهم الأولى دحض البدع والخرافات عن طريق العلم لكل ما يشوه جمال المسيحية ورغبتها في نشر الإصلاح جعلتها تشترك في الحروب الصليبية ضد الإسلام. ودخلت هذه الجماعة السياسة حتى أن لويس التاسع أرسل راهباً دمنيكياً بهدايا لملك التتر وبها قطعة صليب. هذه الجماعة أنجبت عدداً من المستشرقين وقامت بدراسات إسلامية. ونشاط هذه الجماعة يقوم على المستشرقين وقامت بدراسات إسلامية. ونشاط هذه الجماعة يقوم على الدراسة الواسعة هي الوسيلة الناجحة لهداية الكفار إلى الإنجيل خصوصاً المسلمين. لقد كان لهذه الجماعة دور في إبادة المسلمين في أسبانيا. وقد أشار الراهب الدومنيكي (بيلدا) بقطع رقاب العرب المسلمين جميعاً.

٤- اليسوعيون:

هذه الجماعة التبشيرية وهي جماعة نشطة ولا يخلو جزء من العالم من إرسالياتها وتعتمد على مجموعة رجال كاثوليك لهم ثقافة متنوعة منهم أساتذة جامعات ومعاهد عليا. أسست هذه الجماعة في جامعة باريس من طلبة أتقياء هدفوا إلى نشر دعوة المسيح وتعاليمه ونمت هذه الجماعة وصار لها كيان فكري مؤسس هذه الجماعة القديس أنجو سنة (١٤٩١م - ١٥٥٩م) وقد كان جندياً في

الجيش الأسباني وكذلك أبوه. جرح هو في المعارك وقرأ في مرضه عن الحياة الروحية وأخذ يدعو إلى مملكة المسيح واتخذ السبيل إلى دعوته بالأسلحة الروحية وهداه تفكيره إلى الطريق وهو العلم والثقافة والتأمل والعفة.

وعندما كان عمره ٣٠ سنة رجع إلى جامعة باريس ومكث ١٣ سنة يدرس ويفكر ونمت جماعته في جامعة باريس والتف حوله الأتباع قامت على الطهارة والثقافة مما أغرى بالانضمام إليها. وكانت له نزعة تقشف وتخلي عن الملكيات الخاصة. وفي عام ١٥٣٤م اعترف بهم البابا ووضع لهم قائدهم نظاماً.

٥- جماعة الميثوديزم: (النظاميون)

هذه الجماعة نشأت في القرن الثامن عشر ولها ظاهرتان هما الإخلاص والتفاني في ذات المسيح والكتب المقدسة. مؤسس هذه الجماعة جون ويزلي (١٧٠٧م - ١٧٨٨م). كسبت هذه الجماعة شعبية وظل أتباعها دائماً من الطبقة الوسطى. وهي جماعة متحررة من التشديدات والرسوم الكنسية. وقد شارك أخوه تشارلز وتم اختيارهما زميلا تدريس بكلية لانكولت باكسفورد وكان أبوهما رئيس كنيسة وقد اشتركا في تدريس الكتاب المقدس في جمعية كان وأصبح جون رئيساً لهذه الكنيسة ونظم الزيارات للسجناء وسماهم الناس بالنظاميين.

نكتفي بهذه النماذج من الإرساليات التي قادت التبشير (التنصير) بأنحاء العالم وضمن ذلك العالم الإسلامي وتوجد إرساليات وجماعات أخرى عديدة لم يتطرق لها البحث. ويمكن للقارئ أن يطلع بتوسع بشأن هذه الجماعات والإرساليات التي وجهت التنصير في العالم الإسلامي وفي أنحاء العالم الأخرى كتاب (الإرساليات التبشيرية) للدكتور عبد الجليل شلبي وهو كتاب مفيد في هذا الموضوع[١].

(١) بتصرف من كتاب الإرساليات التبشيرية، عبد الجليل شلبي، بدون طبعة الإسكندرية: منشأة المعارف بدون تاريخ) ص٢٠٠.

الفصل السادس

أعمال التنصير في العالم الثالث

(بالتطبيق على السودان) في مجال التعليم

لقد ظل العالم الثالث والسودان بصفة خاصة من أهم المناطق التي تستهدفها الكنيسة بأقسامها الكبرى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية وغيرها لنشر النصرانية في ربوعه. خاصة بعد أن بدأت النصرانية تظهر قلقها وعدم اطمئنانها لبقائها هناك لاعتبارات كثيرة منها:

١- ظهور حركات استقلالية في بداية القرن العشرين أثمرت استقلال غالبية دول العالم الثالث مما أفقد الكنيسة سندها الرئيسي وهو المستعمر.

٢- ظهور القوى الإسلامية بأنواعها السياسية التي تمثلت في محاولة توحيد العالم الإسلامي فيما يسمى (المؤتمر الإسلامي) وظهور بعض القوى الإسلامية التي استطاعت الوصول إلى كرسي السلطة كإيران والسودان. بجانب ظهور الكثير من الحركات الإسلامية الجهادية والتنظيمات الاقتصادية والسياسية والدعوية على مستوى العالم الإسلامي والعربي مما يهدد بقاء النصرانية هناك كما يزعمون.

٣- ظهور قوة اقتصادية إسلامية عربية تعمل على تحمل نفقات الدعوة الإسلامية في أفريقيا وفي جميع أنحاء العالم. مما أوجد منافسة شديدة للتبشير بعد أن كان الميدان يكاد يكون خالياً له. خاصة في دول العالم الثالث.

٤- ظهور قوى عسكرية لها وزنها الدولي في المحيط العسكري ذات سيادة عربية

وإسلامية إذ أن هذه القوى تطل على الممرات المائية الحيوية مثل خليج السويس والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب. الشيء الذي يهدد مصالح الكنيسة التبشيرية والاقتصادية في المنطقة العربية.

٥- ظهور قوى فكرية إلحادية عسكرية في أفريقيا والعالم العربي هي القوى الاشتراكية التي كانت سائدة في اليمن والحبشة تمكنت من بث أفكارها في الساحل الأفريقي الشمالي والشرقي والغربي الشيء الذي جعل التبشير المسيحي يعجل بأن يركز على الدول المطلة على الساحل الشرقي قاصداً بذلك أن يحقق لنفسه قواعد ارتكاز أمينة تحصنه من خطر المد السوفيتي[(١)].

٦- أما في السودان فقد كان رأيهم أنه دولة مسيحية سابقة أخذها منهم المسلمون لذا يجب أن تعود كما كانت. وذلك لأهمية السودان من ناحية أنه جسر يربط الشمال الأفريقي والجنوب، ويشكل معبرا للثقافة الإسلامية والعربية إلى قلب وجنوب وغرب أفريقيا. بجانب أن منطقة جنوب السودان تعتبر من المناطق البكر لنشر الديانة المسيحية لأن الكثير من شعوبها وقبائلها باقية على الوثنية أو اعتنقت الإسلام لكنها لا تتعرف عليه بالصورة المطلوبة كما هو الحال في جبال النوبة ومناطق الأنقسنا. وهؤلاء يمكن استمالتهم عن طريق المغريات الأخرى واستغلال المساعدات والمجالات الحيوية.

وهناك سبب أهم هو أن المناطق الحدودية للسودان الشرقية والجنوبية تعج باللاجئين الذين فروا إليها من مناطق النزوح في دولهم مثل أثيوبيا وأريتريا ويوغندا بجانب معسكرات اللاجئين السودانيين الجنوبيين في يوغندا وكينيا والكونغو لذا يجب الوصول إليهم عبر المساعدات الإنسانية والإغاثة التي تعتبر من أهم الوسائل التنصيرية التي تستغلها المنظمات الكنيسية. ونتيجة لهذه الأسباب الرئيسية الواضحة وغيرها من الأسباب الخفية كان على الكنيسة أن تضع إستراتيجية واضحة تقوم بتنفيذها بعد تحديد أهدافها بطريقة دقيقة ولإنجاح هذا

---

(١) عبد الجليل ريفا، التنصير في أفريقيا، ص١٩

المخطط لابد من دعمه من كبريات المؤسسات العالمية التبشيرية الفاعلة لذا نجد أنه بعد أن حدد المنصرون أهدافهم ووسائلهم تحديداً دقيقاً بعد تمحيص ودراسة للمناطق التي يستهدفونها بالتصير. بدأت المؤتمرات والورش والسمنارات لتحديد أنجح الوسائل والأساليب التي تساعدهم على إنجاح حملتهم التنصيرية.

أ- المؤتمرات:

يعقد المنصرون من وقت لآخر المؤتمرات لمراجعة أعمالهم وتقييم هذه الأعمال ووضع الخطط التي من شأنها النصرانية بين الشعوب المستهدفة تقدم في هذه المؤتمرات البحوث والمحاضرات وتخرج هذه المؤتمرات بتوصيات حتى تكون محل التنفيذ.

وكذلك يكون لهذه المؤتمرات نتائج استعرض صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني وهو عالم خبير بالغربيين من منصرين ومستشرقين وإستعماريين. استعرض عدد من المؤتمرات وهي:

١- المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م.

٢- مؤتمر (أدنبرج) التبشيري.

٣- مؤتمر (لكنو) التبشيري.

٤- مؤتمر القدس التبشيري.

٥- المبشرون والمؤتمر الإستعماري الألماني.

ما تقدم نماذج لمؤتمرات المنصرين نستعرض باختصار المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م وهو نموذج لمؤتمرات التنصير كان زويمر رئيس إرسالية التبشير وهو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير (البروتستانية) للتفكير في مسألة التبشير بين المسلمين. بعد تفكير ومداولات استقر الرأي أن يعقد المؤتمر في القاهرة بدل الهند التي اعتاد المنصرون أن يعقدوا فيها المؤتمرات. وتم الإعداد لهذا المؤتمر في أبريل سنة ١٩٠٦م وحضر هذا المؤتمر ممثلون عن إرساليات التبشير الأمريكية والإنجليزية والأسكندرية والألمانية والهولندية والسويدية ومن إرسالية التبشير الدنماركية الموجودة في بلاد

العرب. وانتخب زويمر رئيساً لهذا المؤتمر وهذا وصف لأعمال المؤتمر:

١- ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم.

٢- الإسلام في أفريقيا.

٣- الإسلام في السلطنة العثمانية.

٤- الإسلام في الهند.

٥- الإسلام في فارس.

٦- الإسلام في الملايو.

٧- الإسلام في الصين.

٨- النشرات التي ينبغي أن تذاع بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام.

٩- الارتداد.

١٠- وسائل إسعاف الذين يضطهدون بسبب تركهم الإسلام.

١١- شئون نسائية إسلامية.

١٢- موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الإسلام.

ومن البحوث التفصيلية التي دارت في المؤتمر الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام ووجه المؤتمرون أن تستخدم معهم الوسائل الآتية:

١- استعمال الفرق والموسيقى التي يميل لها الشرقيون.

٢- عرض المناظر السينمائية.

٣- تأسيس الإرساليات الطبية التي يجب أن تنبث بينهم.

٤- ضرورة تعلم المبشرين لهجات المسلمين العامية واصطلاحاتها نظرياً وعلمياً وضرورة دراستهم القرآن حتى يقفوا على ما تحتويه.

٥- أن يخاطب المبشرون عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم.

٦- يلقي المبشر خطابه بصوت مؤثر وأن يخطب وهو جالس وأن يكون بصيراً بآيات القرآن والإنجيل عارفاً بمحل المناقشة وألا يميل إلى المنطق.

٧- ضرورة أن يكون المبشر خبيراً بالنفس البشرية.

وناقش المؤتمر الصعوبات التي يجدها المبشرون وسط المسلمين خاصة المتنورين منهم. واقترح المؤتمر مدرسة تشترك فيها كل الكنائس تقام لمنافسة الأزهر

وتراجع المؤلفات التي قدم عليها العهد وذلك لإصلاحها حتى تستخدم في تبشير المسلمين المتنورين لاسيما خريجي الجامعات الغربية وقد لاحظ المبشرون عدم إقبال الشباب المصري على الكنيسة ولذلك غيروا خطابهم من المواضيع الدينية إلى المواضيع التاريخية وحرروا مجلات وكتب وذكروا بعد ثلاث سنوات حصلوا على نتائج. وتطرق المؤتمر إلى نشاط الإرساليات الطبية. حيث قدم العديد من الأطباء ملاحظاتهم حول الإرساليات الطبية ودروها في التبشير.

مؤتمر القاهرة نموذج للمؤتمرات التي عقدت في العالم العربي وفي أفريقيا[١] وقد عقد في آسيا مؤتمر لكنو التبشيري.

تم انعقاد هذا المؤتمر في سنة ١٩١١م في الهند تداول المؤتمرون أموراً كثيرة تعتني بالعالم الإسلامي وكيفية أحكام الخنق عليه وتفكيك أواصر وحدة المسلمين. وتكلم أحد المبشرين عن فكرة الجامعة الإسلامية وذكر أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تقم لأن التربية غير الإسلامية سرت بين الشعوب الإسلامية بواسطة مدارس التبشير. وكانت للمبشرين أقوال في هذا المؤتمر إذ قال أحدهم ينبغي على جماعات التبشير أن تحتك بالمسلمين ويطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل ا لأعمال التي يتفوق فيها الأوروبي على الشرقي.

وكان لهذا المؤتمر قرارات في جلساته كما يلي:

١- يعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة ١٩١٦م وإذا لم توافق الأجواء يعقد في لندن.
٢- ضرورة حصر الجهود التي تبذل في أفريقيا.
٣- لابد من تأسيس مدرسة في مصر تعمل في مجال التبشير وأن يختار لها المبشرين الأكفاء.

ظل المبشرون يعقدون هذه المؤتمرات باستمرار منذ بداية الحركة التنصيرية ومؤتمراتهم مستمرة إلى الآن تعقد في أنحاء القارات المستهدفة بالتنصير وما تقدم

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها - التبشير الاستشراق - الإستعمار، الطبعة الثانية (بيروت: دار القلم: ١٩٩٨م) ص٣٢ وما بعدها

نماذج للمؤتمرات التي عقدت توضح كيف كان لهذه الحركة نشاط دؤوب وهجوم شرس على الإسلام والمسلمين.

وفي العصر الحديث كان مؤتمر كولورادو التنصيري. وهو أخطر المؤتمرات التي عقدها المنصرون. عقد في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصر المسلمين) حضره ١٥٠ مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم واستمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق وانتهى بوضع إستراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

إن المؤتمرين الذين التقوا في كولورادو هم من كبار العاملين في حقل التنصير وإن معظمهم من أصحاب الاختصاصات العلمية العالية وبخاصة في العلوم الإنسانية وإن هؤلاء قد عكسوا كل خبراتهم التنصيرية وكل خبراتهم العلمية في أبحاثهم التي قدموا فيها عصارة مهمة لهذا المؤتمر الذي أعد خصيصاً لمناقشة السبل الكفيلة بتنصير المسلمين في العالم أجمع.

لقد كانت هذه أول مرة يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات والمناصب التنصيرية في العالم والتي يجمعها هدف واحد هو (كيف السبيل لتنصير المسلمين أينما كانوا).

إن هذا المؤتمر قد انتهى بعد أن شحن المنصرين بضرورة العمل على تنصير الـ (٧٢٠) مليوناً من المسلمين، ولقد كان عدد الذين وفدوا إلى هذا المؤتمر هم من أبرز قادة التنصير في العالم وقد وفدوا من شتى أنحاء المعمورة ليمثلوا العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة والتجارب الواسعة. ولقد قدموا ٤٠ موضوعاً كل موضوع منها من الأهمية بمكان[١].

من الطرح المتقدم في مؤتمرات التنصير يتضح للقارئ أن المنصرين يعملون بشتى الطرق والوسائل لتنفيذ مخططاتهم في العالم العربي الإسلامي (الذي

---

(١) عبد الرزاق ديار بكر لي تنصير المسلمين/ بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري الطبعة الأولى (-، -، ١٩٨٩م) ص١٢-١٣-١٤-١٥.

يصنف من دول العالم الثالث) وبقية دول العالم الثالث ويمكننا أن نتبين وسائلهم في العالم الثالث تتقسم إلى قسمين:

١- وسائل مباشرة. ٢- وسائل غير مباشرة[١].

١ـ الوسائل المباشرة:

وهي كثيرة وخطيرة وهي مجال التحدي المباشر للإسلام وذلك عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين، ويقوم بهذا النوع من التنصير منصرون متفرغون تم ترسيمهم وعاظاً لنشر النصرانية. وقد أهل هذا النوع منذ فترة طويلة - حلت محله - وسائل لا تلتزم غالباً بالمنهج الأخلاقي وذلك لأن نتائج المناظرات تكون في أغلب الأحيان عكسية. وقد حاولوا هذه الطريقة في السنين الأخيرة كانت هناك مناظرات انتصر فيها علماء الإسلام كمناظرات أحمد ديدات مع القس جيمس سقارت، ومناظرات الشيخ الزنداني والعلماء النصارى في مجال الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ومؤتمرات الحوار الديني. لكنها كانت بالنسبة لهم عكسية إذ أسلم بعض القساوسة والعلماء النصارى.

٢- وسائل غير مباشرة:

وقد أدت هذه الوسائل إلى نتائج: هذه الوسائل عرفت في القرن الثالث عشر ثم تطورت بعد الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين[٢].

ومن أهم الوسائل غير المباشرة:

١ـ الطب:

يعتبر مجال الصحة والطب بوجه خاص أهم المجالات التي سخرها المنصرون لتنفيذ أهدافهم وغاياتهم، حيث تجد مبشرا تجد آلاماً وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى طبيب وحيث تكون الحاجة إلى طبيب فهناك فرصة مناسبة

---

(١) عبد العزيز إبراهيم/ التنصير في الخليج العربي ص٣٠.

(٢) عبد العزيز إبراهيم/ التنصير في الخليج العربي، ص٣٠-٣١.

للتبشير، ولهم أقوال في مسألة ربط التنصير بالطب على لسان المبشرين وقد انتهزوا هذه الفرصة حتى يصلوا إلى أهدافهم يقول أل شاتليه (إنه في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م تحدث المؤتمرون عن أهمية إرساليات التنصير الطبية وقال المستر هاربر (يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر من المبشرين الآخرين[(١)].

ونجد أن المنصرين قد استغلوا غفلة المسلمين وقاموا بإنشاء مؤسسات طبية تنصيرية تدر عليهم المال الوفير الذي يأتي إليهم من جيوب المسلمين الغافلين الذين يأتون ليتعالجوا عندهم. ويحاولوا أن ينشروا إشاعاتهم بواسطة أعوانهم أن الطبيب النصراني أجود من الطبيب المسلم وأن الخدمات في مستشفيات النصارى أجود من المستشفيات الوطنية. مما أدى إلى أن ينجذب إليهم الكثير من المسلمين المقتدرين الباحثين عن الخدمة الممتازة أو المتفاخرين بين الناس بذلك ولعل أقرب مثال لذلك مستشفى (الراهبات للتوليد) في قلب الخرطوم بالقرب من مطبعة التمدن وغرب السوق العربي.

مع العلم أن مستشفى أم درمان الحالي قامت ببنائه الكنيسة البريطانية كمستشفى تنصيري عام ١٩٢١م.

لهذا يجب أن نعلم أن الخدمات الصحية التي تقدمها الإرساليات ما هي إلا واجهات للتنصير محددة الأهداف والوسائل.

٢ـ التعليم:

رغم أن التعليم لم يكن وسيلة من وسائل نشر النصرانية في الزمن المبكر، بل كان ينظر إليه أنه يتعارض مع الهدف الرئيسي الذي أنشأت الإرساليات وهو التبشير، وقد تغيرت هذه النظرة عندما أثبتت التجارب أن التعليم أفضل الوسائل لنشر النصرانية في القرن الثالث عشر[(٢)] بهذا نجد أنه صار أفضل طرق التنصير غير المباشر حيث أنه أصبح أقوى المؤثرات الفكرية على الإطلاق.

---

(١) أل شاتليه/ الغارة على العالم الإسلامي/ مرجع سابق ص٦٢-٦٣.

(٢) إبراهيم عكاشة/ ملامح النشاط التبشيري/ مرجع سابق ص٢٩.

قال المبشر (ماكدونالد) ليس ثمة وسيلة للتأثير على المواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة[١].

من خطط المنصرين أن تعليم الشعوب القراءة والكتابة يساعد المنصر على التغلب على المشكلات الرئيسية التي عادة ما تواجهه كالتعصب الذي هو سمة الأميين[٢].

لهذا كانت المدارس تسعى لإدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشر عن طريق آخر[٣].

لقد اهتم المبشرون بأن تكون هناك مدارس حتى يستطيع المبشر ليتصل بالناس ويدعوهم إلى مذهبه لذا قال اليسوعيون (إن المبشر الأول هو المدرسة)[٤].

ويرى بعض المنصرين أن المدارس قوة لجعل الناشئة تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى[٥].

٣ـ الخدمات والمساعدات الإنسانية:

العوز والفقر والحاجة تعتبر من أهم المؤثرات التي تدفع النصارى لاستهداف المنطقة المعينة والمقصودة بالتبشير والتنصير لذا نجدهم لا يهدأ لهم بال إن كان الجو هادئاً من المشاكل. فلابد من هزة في المجتمع المستهدف بالتبشير (التنصير) حتى يتثنى لهم إيجاد ثغرة يدخلون بها عليه لذا يقول المبشر (زويمر) لابد من وجود أزمات معينة أو مشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن[٦].

ولعل ما تمر به المنطقة الأفريقية والسودانية بصورة خاصة يدل دلالة قوية

---

(١) عمرو فروخ/ التبشير والإستعمار في البلاد العربية/ مرجع سابق ص٢٩.

(٢) إبراهيم عكاشة/ التبشير النصراني في جنوب السودان/ القاهرة ١٩٧٨م ص١٧١.

(٣) عمر فروخ/ التبشير والإستعمار/ مرجع سابق ص٦٧.

(٤) إبراهيم عكاشة/ التبشير النصراني في جنوب السودان/ مرجع سابق ص١٧١.

(٥) إبراهيم عكاشة، المرجع نفسه ص١٧١.

(٦) عبد الرزاق ديار بكر لي، تنصير المسلمين، ص٢٥.

على وعي القوى الكنيسية لإيجاد نوع من عدم التوازن في المنطقة، لذا نجدهم خلف كل حركات التمرد والانقسام، يؤججون نارها ويدعمونها بكل ما تحتاجه من الدعم المعنوي والعيني. وما موقف مجلس الكنائس العالمي في حرب جنوب السودان بخافٍ على أحد. وكذلك موقف منظمة التأمين المسيحي بقيادة البارونة كوكس في الفترة الأخيرة. والدعم اللا محدود من الولايات المتحدة الأمريكية لحركة التمرد في جنوب السودان.

كل ذلك أدى إلى تأزيم الموقف وأدى إلى نزوح آلاف السودانيين الجنوبيين إلى الشمال أو إلى دول الجوار. فأصبح بذلك الجو مهيئاً والصيد سهلاً للمنصرين. لقد وصلت السودان أكثر من ثلاثين هيئة ومؤسسة ووكالة كنسية كلها تدعى العمل في مجال الإغاثة غطت أعمالها مساحات واسعة يقود هذه المنظمات شباب من الرجال والنساء، ألمان، نرويجيين، إيطاليين وغيرهم يقدمون الغذاء والكساء باسم الكنيسة(١) وتعد منظمات الإغاثة بمثابة الوفود الكنسية وبواسطتها تستطيع الوصول إلى مناطق وتنفذ غايات وأهداف التنصير بتقديم السم في الدسم كما يقولون.

للتنصير مجالات عديدة وأعمال في أفريقيا والسودان ولكن جاء ذكر الثلاثة هذه لأهميتها وأثرها.

ب- أهداف التعليم التنصيري في السودان:

من أهم المجالات التي اتخذتها الكنيسة للتنصير في العالم مجال التعليم. بعد أن ثبت لهم أنه أفضل الطرق لنشر النصرانية، لذا نجد أنه ما قامت إرسالية في منطقة إلا كان همها الأول أن تكون في المنطقة التي تحل بها هو إنشاء كنيسة ومدرسة. فنجد مثلاً الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم أسست في عام (منتصف القرن التاسع عشر) في العهد التركي مدرسة صغيرة وكان ذلك عام ١٨٤٨م جعلت هذه المدرسة لأبناء الجالية المسيحية بالخرطوم كما تم إنشاء

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبا/ مرجع سابق ص١٨٦.

كنيسة وتم الحصول على قطعة أرض لإقامة مقبرة مسيحية[١].

والإرسالية الأمريكية قد بدأت نشاطها الحقيقي بشراء دار الكنيسة الإنجيلية الواقعة شرق مستشفى أم درمان الحكومي حيث بنيت أول مدرسة أولاد عام ١٩٠٧م[٢].

كما نجد أن الكنيسة اهتمت بعمل مدارس كثيرة في جنوب السودان سميت بمدارس الأحراش. وعند وصول القس ارشيد كون وزوجته إلى جنوب السودان سنة ١٩٠٧م لجأت الجمعية لاستخدام ١٤ مدرسة من مدارس الأحراش حول ياي لتقوم بمهمة الكنيسة.

هذا على سبيل المثال. لقد اهتم النصارى باستغلال التعليم بطريقة مكثفة في السودان خاصة المناطق المهمة في الشمال كالعاصمة القومية التي بلغ عدد المدارس فيها حوالي ٧٥ مدرسة. وشمال كردفان ١٧ مدرسة والجزيرة ١٥ مدرسة بينما توزعت باقي المدارس على الولايات الأخرى على حسب أهمية كل ولاية. هذا بالنسبة للمدارس الثابتة أما المدارس العشوائية في مناطق النازحين واللاجئين ومدارس الأحراش في جنوب السودان فهي كثيرة لا يستطيع أحد حصرها. فهي تنتشر بطريقة سرية خفية تحت مسميات مختلفة فنجدها في البيوت العادية ووسط الأحياء أو تحت الأشجار والمنازل المهجورة أو مبنية بناء عشوائياً.

لأن التعليم عند النصارى ما هو إلا وسيلة إلى غاية وهي تعليم الناس ليصبحوا مسيحيين وقد عبر عن ذلك المبشر (هنري هريس) كتب يقول (لنبتهل إلى سبيل تعميد نفوس أولئك الشباب الذين يترددون على الكليات) (إن التعليم في المدارس الإرسالية المسيحية إنما هو وسيلة لغاية فقط هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية. ولكن عندما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي

(١) حسن مكي/ أبعاد التبشير المسيحي في العاصمة القومية/ مرجع سابق ص٩.

(٢) المرجع نفسه ص١٨.

فإننا لا نتردد حينئذ من القول إن رسالة مثل هذه خرجت من المدى التبشيري المسيحي إلى المدى العلماني المحض[١].

إن سياسة الكنيسة بأنواعها المختلفة قامت على أساس الخطاب المباشر والتعليم وساعدها على ذلك الحكومات الإستعمارية التي قدمت مساهمات مادية في شكل مساعدات مالية أو قرارات سيادية ساعدت في تقوية نفوذ الكنيسة خاصة مناطق جنوب السودان وجبال النوبة.

لقد أصبح الغزو الفكري هو أسلوب النصارى في محاولة هزيمة المسلمين نفسياً وعقدياً وذلك بزرع أسباب الضعف والوهن والشتات فيما بينهم وذلك بعد أن فشلت المحاولات العسكرية. لهذا يعتبر التعليم هو أهم المجالات والوسائل التي يتم الوصول بها إلى أهدافهم ولذلك نال التعليم الاهتمام الكبير يقول أحد المبشرين: يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب الصغار والضعفاء.

بينما يبدو مثل هذا العمل كأنه تجربة. ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة علمنا في البلاد الإسلامية. وأن أثر المبشرين في الإسلام يبدأ باكراً جداً ومن أجل ذلك يجب أن نحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طباعهم أشكالها الإسلامية[٢].

المدارس التنصيرية هي حقيقة تمثل خنجر في جسد الأمة الإسلامية، لأنه بواسطتها يمكن إدخال الأنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل والمبشرون عن غير هذا الطريق[٣] ولعل أوضح الأمثلة أن الكنيسة استطاعت بواسطة التعليم أن تخترق قلب السودان والمتمثل في العاصمة القومية استطاعت بمساعدة الإستعمار وغفلة الحكومات الوطنية بعد الإستعمار أن تنشئ حوالي ٧٥ مدرسة ثابتة وإعداد غير محصورة من المدارس العشوائية بل استطاعت بما تقدمه من خدمة متميزة في مجال التعليم أن تخترق أهم طبقات

---

(١) مصطفى خالدي/ التبشير والإستعمار في البلاد العربية/ مرجع سابق ص٢١.

(٢) مصطفى خالدي/ التبشير والإستعمار في البلاد الإسلامية/ مرجع سابق ص٦٧.

(٣) المرجع نفسه ص٦٧ -٦٨.

المجتمع الشمالي المسلم وهي الطبقة الغنية والطبقة المتعلمة التي أصبح أبناءها الركيزة الأساسية لهذه المدارس كمدارس كمبوني في وسط الخرطوم وأم درمان والتي أصبح لها فروع في الولايات الأخرى كالبحر الأحمر في بورتسودان وفي جنوب السودان في كل من ملكال وجوبا وواو والمدارس الإنجيلية ومدرسة الاتحاد الثانوية العليا للبنات على أهم شارع في العاصمة شارع القصر وهي تتبع للكنيسة الأسقفية. وهذا على سبيل المثال.

وتقوم هذه المدارس حالياً بدور مزدوج فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها، تركز في نفس الوقت على أبناء الجنوبيين وأبناء النوبة وتمارس وسطهم نشاطاً تبشيرياً مركزاً إذ تمنحهم معاملة خاصة دون غيرهم من أبناء الشمال المسلمين أو غيرهم من أبناء النوبة المسلمين وأبناء الشمال المسلمين. وقد ساعد الاستقرار في هذه المدارس على تحسن مستواها بينما انحدر مستوى التعليم الحكومي العام بالبلاد. الأمر الذي جعلها قبلة تعليمية يلجأ إليها المسلمون السودانيون وذلك لأسباب الآتية(١):

١- الاعتقاد بأنها أفضل بكثير من المدارس الحكومية من حيث النظام ومستوى الخدمات ومستوى التعليم.
٢- أنها تقبل التلاميذ في سن مبكرة.
٣- تقدم اللغة الإنجليزية في عمر مبكر بالمقارنة للمدارس الحكومية التي تبدأ تدريسها في فترة متأخرة.
٤- هرباً من مدارس الحكومة لزحمة الفصول فيها وتدني المستويات وانعدام الضبط والربط.
٥- تناسب نوع التدريس الذي يلقاه بعض الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون مع ذويهم ولأسباب مختلفة.
٦- وجود نظام إرسال التقارير الدورية لأولياء الأمور عن سير وسلوك أبنائهم وبناتهم.

---

(١) حسن مكي، الأبعاد التبشير المسيحي في العاصمة القومية، ص٦٠ مرجع سابق

٧- بجانب التميز بين الناس والتفاخر في الطبقات العليا بأنها تدرس أبنائها في أفضل المدارس.

وإذا تتبعنا نشاط الكنيسة في السودان نجد أن لقيام المدارس الكنسية أهداف معينة تريد تحقيقها في كل منطقة حسب إستراتيجيتها فيها. ففي وسط السودان كان الهدف الأكبر هو السيطرة على مجالات التعليم ومن ثم التغلغل داخل الكيانات السكانية بالعاصمة لتحقيق أهدافها التبشيرية في الأحياء السكنية الراقية والشعبية والعشوائية. مع التركيز على المناطق الطرفية التي يسكنها النازحون من أبناء الجنوب والنوبة التي هربوا إليها من جحيم الحرب في مناطقهم وتستغل الكنيسة هذه الظروف لتقديم خدمات لهم وإرشادهم بإرشادات مسيحية وتعمل على تحويلهم من الإسلام كما يتم تحسين ظروفهم وأوضاعهم الاقتصادية حتى لا يذبوا في المجتمع الإسلامي إن كانوا غير مسلمين[١].

أما في مناطق الجنوب فجانب المدارس الثابتة في المدن المهمة. كانت هناك ما يسمى بمدارس الأحراش وهي مدارس كنسية تبنى من المواد المحلية أو تكون تحت الأشجار. وهي كانت الأداة الرئيسية الأساسية للتبشير الكاثوليكي والبروستاني، كان يدرس فيها الإنجيل وشيء من الحساب وتضم مدارس الأحراش تلاميذ من الجنسين[٢] يتم فيها تنصير الطلاب وتعميدهم ومن ثم يصبحون مؤهلين للتدريس في المدارس ذاتها. بعد فترة تدريبية لمدة ١٢ شهراً وقد بلغ عددها من ثلاثمائة مدرسة تمتد الدراسة فيها لمدة أربع سنوات.

أما في جبال النوبة فقد انفرد المبشرون بالسيطرة على التعليم في السابق حيث وجدوا الجو الملائم لهم والدعم الكبير من الحكومة الإستعمارية. والدعم الآن من المنظمات الكنسية العالمية والمحلية.

كل هذا الجهد المقصود منه هو وقف المد الإسلامي حيث يكون هناك حصن منيع لمقابلة هذا المد الإسلامي من الشمال. لهذا نجد أن الكنيسة وضعت

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٨.

(٢) المرجع نفسه ص٥٨.

لنفسها أسلوباً محدداً وبرامج معينة لتنفيذها في مدارسها الكنسية حتى يتم لها تنفيذ ما تريد من هذه الأساليب:

١- حظر أي مؤثرات عربية أو إسلامية خاصة في جنوب السودان والنوبة.

٢- محاربة اللغة العربية باستعمال اللغة الإنجليزية بدلاً عنها وقد امتد هذا الأسلوب إلى محاربة اللغة العربية من المدارس الكنسية إلى المدارس الحكومية حيث كانت جميع المواد تدرس في المرحلة الثانوية باللغة الإنجليزية ما عدا اللغة العربية والدين حتى نهاية الستينات من القرن السابق، بل زيدت حصص اللغة الإنجليزية وتم تخفيض حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية.

٣- احتكار التعليم ليكون في يد المنصرين في مدارس الكنيسة لأنهم أرادوا أن يكون التعليم قاصراً على التبشير فقط من غير أن يطلعوا على سر ذلك أحداً. اشترطوا أن يكون المعلم في هذه المدارس أجنبياً غير وطني. أما إذا دعت الحاجة إلى معلم وطني فليكن مسيحياً من الدرجة الأولى.

لا تزال المدارس الكنسية على سياسة الاستغناء عن المدرس المسلم أما المدارس اليسوعية فلا يمكن أن يعمل فيها معلم مسلم[(١)].

إن أهداف هذه المدارس والكليات التي تشرف عليها الكنيسة والإرساليات في جميع البلاد، كانت دائماً تعتبر من الدرجة الأولى واسطة لتمرين القسس حتى أن الموضوعات العلمية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية[(٢)].

٤- محاربة الفكر والحضارة الإسلامية وطمس الهوية الإسلامية وقد كان الكاثوليك متحمسين لتدريس الطالب السوداني البسيط تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة مضفين القداسة على حروبها وتقاليدها وإنسانها(٣).

---

(١)

(٢) مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق ص٦٨

(٣) المرجع نفسه ص٦٧.

٥- إحياء التراث المحلي والقبلي ومزجه بالثقافة النصرانية بطريقة تؤثر عليه. من ذلك سياسة المناطق المقفولة التي قضت بعزل مناطق جبال النوبة والجنوب عن شمال السودان وحظر التعليم باللغة العربية والاعتماد على التعليم باللغات المحلية واللغة الإنجليزية. لكن حالياً تغيرت الأحوال.

٦- تعميق الشقة بين الشماليين والجنوبين تمهيداً لفصل الجنوب المسيحي كما يقولون عن الشمال المسلم.

ومن ذلك إلغاء مسئولية تخلف الجنوب على الشماليين وأنهم مسئولون عن ذلك وتذكير الجنوبيين بأن الشماليين اضطهدوا آباءهم وأجدادهم.

٧- دفع الطبقات العليا في المجتمع لتعليم أبناءهم إلى مدارس الكنيسة لاستفادة منهم كمورد مالي وسحب البساط من المدارس الإسلامية ومدارس الحكومة إضعاف روح الانتماء العربي والإسلامي والتقليل من شأن اللغة العربية والتربية الإسلامية ومن ثم إيجاد كوادر في المستقبل تتعاطف مع سياسة الكنيسة والفكر الغربي بصفة عامة.

ج- الأساليب التنصيرية في التعليم في السودان:

استطاعت الكنيسة أن تجد لها موطن قدم في أغلب مناطق السودان تحت حماية الدولة مما ساعدها على بناء منشآتها ورعايتها خاصة المدارس وقد تنوعت هذه المدارس حسب مناطق وجودها فكانت هناك ثلاثة أنواع من المدارس:

١- المدارس الثابتة وتكون في المدن والمناطق الحضرية.

٢- المدارس العشوائية وتكون في مناطق النزوح واللاجئين.

٣- مدارس الأحراش وهي في مناطق الأحراش في الجنوب.

وقد تركز جهد هذه المدارس بأنواعها على محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية، بجانب التركيز على اللغة الإنجليزية واللغات المحلية ونشر المسيحية لإيجاد كوادر تبشيرية وطنية لتعمل وسط النازحين وفي قيادة بعض الكنائس السودانية ولعل أسلوب محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية قد خف قليلاً في هذه الأيام نسبة للانصهار الذي أصبح لابد منه بعد أن نزح ملايين الجنوبيين إلى

الشمال واختلاطهم بالشماليين المسلمين. وأصبحت اللغة العربية هي لغة التخاطب بين القبائل المختلفة. وقد كان لتعريب الدراسة في المدارس الثانوية في أواخر الستينات وبداية السبعينات له الأثر الكبير في زيادة الاهتمام باللغة العربية وانزواء اللغة الإنجليزية على الرغم من أن بعض مدارس الكنيسة ما زالت تسعى لتقويتها وذلك بتدريس منهج خاص بها في الصفوف الدنيا في مرحلة الأساس كما في مدارس كمبوني على سبيل المثال التي تقوم بتدريس اكسفورد في الصفوف الثاني والثالث والرابع لكنها تلتزم بمنهج الدولة في الصفوف العليا. بجانب اضطرارها لتدريس باقي المواد باللغة العربية بعد أن ألزمتها وزارة التربية والتعليم بتدريس المنهج السوداني. وإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن السياسة الإستعمارية كانت مسرفة في محاربتها للغة العربية والمؤثرات الإسلامية خاصة في مناطق جنوب السودان وجبال النوبة ويعتبر (ماكمايكل) حاكم بحر الغزال أيام الإستعمار الثنائي هو الحاكم الذي كان أشد ضراوة في ذلك. فقد اتخذ سياسة تتمثل في الآتي:

١- تشجيع التجار المسيحيين من أغاريق وسوريين وتفضيلهم على الجلابة والتجار المسلمين الشماليين وقصر تجارة الجلابة على المدن والطرق المعروفة.

٢- بذل الجهد لجعل اللغة الإنجليزية لغة تخاطب.

٣- عكس مفهوم أن اللغة الإنجليزية أنها اللغة الرسمية وأنها لغة الحداثة وقد تمثل ذلك في خطابه للمفتشين الإنجليز في الجنوب السوداني قال فيه (تهدف الحكومة ما أمكن على تشجيع التجار المسيحيين من أغاريق وسوريين على الجلابة - التجار المسلمين - إن قصر تجارة الجلابة على المدن والطرق المطروقة أمر ضروري ويجب بذل كل جهد يجعل اللغة الإنجليزية لغة تخاطب، وباختصار فإنه وفي كل مكان أو ظرف علق في الأذهان أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية وأنها لغة الحداثة، فإنه يجب وبكل وسيلة على عكس هذا المفهوم في ممارسته، وأصدر قرارات لتوسيع سياسة قمع اللغة العربية يظهر فيها نفس الكنيسة وأنها اليد الخفية المحركة لذلك. حيث وجه بطريقة مباشرة بإبعاد كل المواطنين الشماليين من الولايات الجنوبية لتوسيع سياسة قمع اللغة العربية وتشجيع اللغات المحلية والقيم القبلية واللغة الإنجليزية ويجب القيام بكل

ما يمكن عمله مهماً كان ضئيلاً[(١)].

هذا المنهج ساعد على قيام سياسة المناطق المقفولة، التي وضعها الإستعمار بعد ذلك التي هللت لها الكنيسة بجميع طوائفها قد تركزت هذه السياسة على الناحية التعليمية بصفة خاصة وهذا ما يوضح مضي الكنيسة فيها لأنها هي المسيطرة على التعليم في هذه المناطق.

وتتمثل هذه السياسة في الآتي:

١- عزل تلك المناطق عن المؤثرات العربية والإسلامية وتطويرهم على نحو يتركز على معتقداتهم وثقافاتهم المحلية.

٢- حظر التعليم الشمالي السائد في الشمال وتبني التعليم المسيحي.

٣- إيكال مسئولية التعليم إلى الإرساليات المسيحية من مثال ذلك ما حدث في جبال النوبة حيث تم توقيع اتفاقية مع الفرع الأسترالي والنيوزلندي من إرسالية السودان المتحدة في سبتمبر ١٩١٩م ينص على:

أ - تقوم الإرساليات بفتح المدارس وتتولى إدارتها خاصة في المناطق الوثنية.

ب- توفر الإرساليات المعلمين.. الخ

ج- تقدم الحكومة معونات لهذه المدارس.

ولمحاربة اللغة العربية سعت الإرساليات في نشاط ملحوظ إلى إبعاد الناس عن اللغة العربية ومحاولة طمس ملامحها وإبدالها بأخرى لذا سعت إلى إيجاد بديلة تكون لغة تفاهم وتعليم بين الناس في هذه المناطق. فكانت أن طرحت فكرة تدريس المناهج باللغات المحلية في مدارسها. لكن هذه التجربة لم تنجح لعدة أسباب خاصة في جبال النوبة.

فقد قامت الحكومة بإنشاء مدارس (كتاب) في مناطق مختلفة وعجزت الكنيسة في توسيع رقعة نشاطها في عام ١٩٢١م[(٢)].

---

(١) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق ص٦٨.

(٢) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٦١.

واشترطت أن يدرس فيها التعليم الديني وكان أغلب تلاميذ هذه المدارس من النوبة والعرب والمستعربين بل كان أولياء أمور التلاميذ غير المسلمين ينظرون إلى التعليم الديني والقرآن بصفة خاصة أنه يحسن من اللغة العربية لأبنائهم. لذا نفذ هذا القرار. وفي محاولة لإنهاء هذه الظاهرة قررت الحكومة أن يكون لمدراء هذه المدارس السلطة في قبول أبناء المدن فقط أما من يأتون من الخارج عرباً كانوا أو نوبة يرفع أمرهم لمفتش التعليم بالمركز.

كما منع مفتشو المراكز من قبول أي تلميذ وثني في مدارس الكتاب. غير أن هذا الإجراء لم يتحقق ثم أغلقت الحكومة هذه المدارس عام ١٩٣١م[١].

كذلك فشل أسلوب إيجاد لغة بديلة محلية تناسب النوبة لأن ذلك أكثر تعقيداً. فقد كان واضحاً أن هناك عدة لغات نوباوية محلية لم تكن واحدة منها منتشرة للحد الذي يمكنها أن تتخذ لغة تعليم. وأمام هذا الفشل كان لابد من الرجوع للغة العربية وهو الذي لا تريده الكنيسة لعدة أسباب:

١- لأنها لغة الإسلام الحية.

٢- هي لغة الأدب العربي الملئ بالقصص الدينية والملاحم البطولية الإسلامية.

٣- يعلل بعض رجال الإدارة الإستعمارية بأن اللغة العربية والإسلام يطمسان الروح النوباوية ويذيبا الذاتية النبوباوية.

٤- إن كثير من المنصرين يرى أن تقطيع أوصال العرب المسلمين لا يمكن ما دام هناك لغة واحدة يتكلم بها العرب والمسلمون ويعبرون بها عن آرائهم[٢].

وأمام هذا التحدي الذي أوجدته اللغة العربية بعد أن أتضح لهم أن التدريس باللغة الإنجليزية لا يمكن أن تصبح أن تكون لغة تخاطب بين المجموعات النوباوية إلا بعد وقت طويل، ولأنها لن تكن مجدية للتخاطب بين المجموعات النوباوية والعربية لذا أصبح احتمال استعمال لغة نوباوية أو اللغة الإنجليزية في التعليم

---

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٦٢.

(٢) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٧٤.

أصبح أمراً مرفوضاً. وأن التدريس باللغة العربية هو الأفضل لأنها لغة التخاطب بين القبائل العربية والنوباوية. وهذا ما كانت تخشاه الحكومة والإرساليات النصرانية. لذا صدر في عام ١٩٣١م قرار حكومي بتدريس اللغة العربية بحروف رومانية في المدارس الأولية. وتدريس بقية العلوم للتلاميذ بلغتهم المحلية. كانت الحكومة الإستعمارية تأمل أن تكون هذه اللغة منافساً قوياً للغة العربية وأن تصبح لغة التخاطب بين المجموعات النوباوية ورأت الحكومة أن لها أربع محاسن:

١- أنها توفر على التلاميذ صعوبة تعلم حروف كتابة مختلفة إذ كانت اللغات المحلية تكتب بحروف رومانية.

٢- يمكن للمبشرين أن يدرسوا ويشرفوا على تدريسها حتى إن لم تكن لهم معرفة باللغة العربية.

٣- سيعجب النوبا أن تكون لهم لغة خاصة بهم وسيحاولون الاحتفاظ بها كلغة مميزة عن لغة العرب يطورونها على أساليب محلية.

٤- ستكون لغة التخاطب بين المجموعات النوباوية والعربية ولن تكون أداة لانتشار الإسلام لأنها ستحول بين النوبا وسهولة الاتصال بالأدب العربي كما ستكون غير ذات فائدة للعربي الذي لا يعرف الإنجليزي[١].

غير أن هذه التجربة أثبتت فشلها في التعليم وأتضح أن هذه الطريقة غير مجدية وكتب عنها أحد علماء اللغويات تقريراً في عام ١٩٣٢م وضح فيه الصعوبات.

وفي جنوب السودان كان أسلوب محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية واضحاً في السياسة الإستعمارية.

كما ظهرت سياسيات ماكمايكل التي وردت سابقاً. مما أدى لانفراد المبشرين القساوسة بالسيطرة على التعليم والخدمات الاجتماعية هناك - بجانب ما توفره لهم الحكومة من مساعدات مادية وأثر ذلك كان واضحاً. وإن ونجت باشا حاكم السودان عندما زار (واو) كان ضمن برامجه الوقوف على وضع

---

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق، ص٦٥.

الدراسة المخصصة لأبناء جنود الحامية العسكرية ومعظمهم من المسلمين لذا كان مدير التعليم (جيمس كري) في ذلك الوقت قد رفع إعانتها لأنه لا يعرف شيئاً عن مقرراتها كما كان يخشى أن تكون أداة لنشر الثقافة العربية في الجنوب، وعندما زارها ونجت باشا أصيب بالدهشة حينما وجد طلابها بما فيهم أبناء سلاطين الدينكا يتخاطبون وعلى الفور دعا الكتيبة الكاثوليكية ممثلة في المطران لاستلام المدرسة وبمجيء عام ١٩٠٥م أفلح المطران في ذلك الزمان في بسط هيمنة الكنيسة على المدرسة وطلابها المسلمين تمويلاً وإدارة ومقررات وأصبحت المدرسة تقوم على الإنجيل والحروف اللاتيني ومحاربة الإسلام وثقافته[1].

أما في مدارس الأحراش فقد كانت اللغة المستخدمة في التدريس هي اللغة الإنجليزية التي تدرس بها كل المواد. وقد سعت الكنيسة بكل الطرق لمحاربة اللغة العربية والحرف العربي في الجنوب بحيث نجد أن الإنجيل قد ترجم إلى اللغات المحلية استعمل فيها الحرف اللاتيني. كانت الحكومة مسرفة في محاربة المؤثرات العربية والإسلامية مما يوضح يد الكنيسة في ذلك. حتى أن الكنيسة أثرت أن يظل الجنوبيين عرايا على اتخاذهم أزياء عربية، وتصوير الشماليين المسلمين أنهم مسئولين عن تخلف الجنوب واستنزاف موارده الاقتصادية والبشرية. كما صورت الشماليين أمام إخوانهم الجنوبيين بأنهم تجار رقيق تعميقاً للشقة بينهم وبين أهل الشمال. وذلك بزرع روح الحقد والضغينة في نفوس الجنوبيين. وكان المبشرون يدرسون تحت الأشجار ويذكرون للطلاب أن هذه الشجرة هي التي كان يباع تحتها آباءكم ويعذبون من قبل الشماليين، هذه السياسة أتت أُكلها مستقبلاً في شعور الجنوبيين بالنظرة الدونية لهم من الشمال مما ولد الإحساس عندهم بالظلم والغبن فكان نتيجة ذلك أن قامت حركة التمرد في سنة ١٩٥٦م وحركة جون قرنق التي كان من أهم أهدافها فصل الجنوب عن الشمال وبدعم واضح من مجلس الكنائس العالمي وبعض المنظمات ذات النفوذ كمنظمة التضامن المسيحي التي تقودها البارونة كوكس، وبعض منظمات الإغاثة الغربية.

---

(١) حسن مكي، التنصير في السودان، ص٤٨، مرجع سابق.

أما في شمال السودان فقد كان الدور الأكبر هو الذي تقوم به الإرساليات في إنشاء المدارس الثابتة ورعاية الكنيسة للمدارس العشوائية خاصة في المناطق الطرفية من العاصمة المثلثة، فمثلاً في منطقة شرق النيل وحدها بلغت المدارس الكنسية (٢١٨) مائتي وثمانية عشر مدرسة كنسية بها ١٤,٢٠٠ تلميذ ترف عليها ٤٨ كنيسة(١).

ومن الملاحظ أن المدارس العشوائية تنتشر داخل الأحياء في العاصمة القومية، بطريقة شبه سرية تقوم على رعاية هذه المدارس الكنائس الكبرى. وتكون غالبا في بيوت مؤجرة أو مشتراة كسكن، ويتم التركيز فيها على تدريس أطفال الجنوبيين ويشرف عليهم غالباً أستاذ جنوبي شاب أو شابة يتم فيها التركيز على تدريس الديانة المسيحية وبعض الأناشيد الدينية باللغة العربية. ويوجد في بعض هذه المدارس العشوائية شاشة صغيرة لسينما متجولة تقدم أفلام حول شخصية المسيح والأفكار المسيحية وتقدم بعض الأفلام الترفيهية(٢).

وتلعب مدارس كمبوني دوراً كبيراً في دعم هذه المدارس مادياً ويؤم هذه المدارس بعض طلاب المدارس السودانية لتقوية اللغة الإنجليزية في الأمسيات مما يوجد لها دخل ثابت بجانب اشتراكات رمزية للطلاب من الجنوب. وتعتبر هذه المدارس هي المورد الرئيسي لمدارس كمبوني بالطلاب في المراحل العليا. ونسبة لازدياد هذه المدارس وازدياد الطلاب اضطرت مدارس كمبوني إلى إنشاء مدارس في الأحياء الطرفية لاستيعاب هذا العدد المتزايد من الطلاب كمدرسة كمبوني الصناعية بحي السجانة ومدرسة كمبوني الصناعية بحي مايو ومدرسة المنشئة لأبناء الفقراء من الخفراء والعمال، ومدرسة الجريف غرب وغيرها.

لذا تعتبر مدارس كمبوني من أهم وأخطر المدارس التي تقوم بتقديم خدمة كبيرة للتنصير في شمال السودان ولذلك لابد من الوقوف عندها لمعرفة تاريخها.

---

(١) سعيد دميلاوي، مقال في صحيفة ألوان العدد ١٧٧٦ بعنوان (يا أغنياء الأمة الإسلامية هذا ما يحدث في السودان) ص٥ السبت ٥ مايو ٢٠٠١م.

(٢) حسن مكي، أبعاد التبشير في العاصمة القومية، مرجع سابق، ص٤٤.

أسس هذه المدارس المطران (دانيال كمبوني) الذي ركز كل جهده للتنصير في أفريقيا والسودان وبار نشاطه الذي بلغ مداه في الخرطوم والأبيض والدلنج وجنوب السودان، وقد أسس بعض المؤسسات التنصيرية منها (جمعية راهبات السودان) وتوفى في السودان عام ١٨٨١م[١].

ومن بعده أسست مدارس عدة باسمه شملت بورتسودان وكوستي والمدن الكبرى في جنوب السودان، ومدارس كمبوني هذه تعتبر من المدارس النموذجية من حيث التأثيث والإمكانات نتيجة الدعم الذي يأتيها من المنظمات الكنسية الخارجية وما يدفعه الطلاب خاصة المسلمين الذين تفرض عليهم رسوماً باهظة وتبدأ المراحل الدراسية فيها من مرحلة الروضة أو ما يسمونه ZERO المناهج التي تدرس فيها مناهج وزارة التربية والتعليم السودانية إلى جانب منهج أكسفورد للغة الإنجليزية وهو يدرس في المرحلة الدنيا من مرحلة الأساس. مما يجعل تلاميذ هذه المدرسة أكثر تمييزاً في اللغة الإنجليزية ولهذه المدارس اهتمام بالنشاط الرياضي، أما النشاط الثقافي فلهم صحف حائطية وتوزع كذلك جريدتا (الإسلام والرسول) وعلى بقية المدارس الكنسية التابعة كمبوني[٢].

التعليم الكنسي سواءً كان في جنوب السودان أو شماله كان مركزاً على أبناء الجنوب وجبال النوبة بصفة خاصة وكان له آثار سالبة عليهم يمكن تلخيصها في ما يلي:

١- أن المواطن الجنوبي أو في جبال النوبة وجد نفسه ضحية عزلة عن مجتمعات الشمال وإحاطته بثقافة غربية وغريبة عنه وحرمته التكامل مع إخوانه في الشمال.

٢- إن هذا الجهد لم يبذل من أجله، وإنما كان الهدف تعزيز وضع الكنيسة فلم تبذل أية مجهود لوضع خطة تعليمية ومنهج موحد بين الجنوبيين أنفسهم مما أدى إلى تضعضع الحركة التعليمية وإعداد معلمين أكثر تمزقاً في خبراتهم

---

(١) نور الدين عوض الكريم، مرجع سابق، ص٥٥.

(٢) مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد الإسلامية، مرجع سابق، ص٦٧.

التعليمية ومعتقداتهم في مجتمعهم القبلي فأصبحت شخصية الدينكاوي الكاثوليكي المتعلم وسط الكاثوليك مخالفة لشخصية ابن قريته المتعلم في مدارس الإنجليكان.

٣- التربية الثقافية الجديدة قطعت الصلة بين المعلم وبيئته مما أدى إلى انفصام الفكر بين الصفوة الجنوبية فلم تجد ما تتوحد عليه غير العداء للشمال.

٤- لقد طغى على المنهج الخطاب التنصيري ولم يعد للتعليم صلة بالبيئة.

٥- أدى التعليم الإرسالي الكنسي إلى تخريج سنوياً أعداد لا تصلح إلا للعمل التبشيري وليس لها ولاء لمجتمعها ولا لقبيلتها ولا حتى كنيستها.

كان الهدف من التخريج من مدارس الكنيسة التخلق بأخلاق الأوروبيين وحياتهم وتقليدهم وحينما اكتشفوا أن التعليم الكنسي وإمكانيات البيئة المحدودة لا تمكنهم من طرق حياة الأوروبيين اتجه بعضهم للثورة والإلحاد ونهب كل ما تقع عليه أيديهم.

٦- لقد أدت أحقاد المبشرين على أهل السودان ومحاربة اللغة العربية أن وجدت طبقة من الجنوبيين تعتبر نفسها مبخوسة قدر التعليم وذلك في ظروف ما بعد الاستقلال، حيث ارتفع بالناس مقاييس تعليمهم وكفاءتهم وليس ثقافتهم الكنسية وهكذا وجدت الصفوة الجنوبية أن قدرها أن تكون احتياطي بشري وفكري لأي خروج على الدولة[١].

٧- أما في الشمال فقد أوجدت السياسة التعليمية الكنيسية جيلاً من الشباب مولعاً بالغرب واتجاهاته ومتقلداً بهم. خاصة أبناء الطبقات العليا في المجتمع التي تخرجت في المدارس الكنسية.

٨- استطاعت الكنيسة بأساليبها الماكرة التغلغل في أوساط المجتمعات المسلمة في الأحياء ولكنها فشلت فشلاً زريعاً في تنصير أبناء المسلمين رغم أنها تقدم أنواعاً كثيرة من المغريات مما أوجد بين المسلمين والكنيسة حالة من الترغيب والحذر.

---

(١) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق ص٥٨-٦٠.

٩- إغفال المسلمين بما يقومون من دعم الكنيسة ساعدها في تنفيذ برامجها في سهولة ويسر بأموال المسلمين الواردة من مؤسساتها التعليمية والصحية التي استغلتها للتنصير في المناطق المستهدفة.

هذه الدراسة على السودان كواحد من دول العالم الثالث التي كانت ولا تزال مسرحاً للتنصير وهي دراسة على سبيل المثال يمكن أن يقاس عليها.

الفصل السابع

التنصير والاستشراق

صحيح أن هناك طائفة تسمى المستشرقين وأخرى تسمى المنصرين ولكن ليس هناك فروق جوهرية بين الطائفتين، النشاط التنصيري والنشاط الاستشراقي متشابه إلى حد كبير، والفروق فروق سطحية فقط لتوزيع العمل بينهما. فمثلاً طائفة المنصرين تركز على المدرسة والعلاج الطبي ومن خلاله تحاول أن توصل كتابهم المقدس بزعمهم إلى المسلمين وأن الخلاص تم له من المرض بواسطة يسوع، وترى هذه الطائفة أن المدرسة وطريقة التعليم هما المنصر الأول، وقد تقدم الكلام عن أهمية المدرسة ودورها في حركة التنصير والمستشرقون يركزون على الجامعات والمعاهد العليا والبحث العلمي وهو ليس بعلمي عندما يدرس الإسلام والمسلمين وأحوالهم ودراسات الشرق الإسلامي بصفة عامة وسوف يعرف القارئ تفاصيل منهم المستشرقين في الدراسات الإسلامية في الفصل الخاص بالمستشرقين ضمن هذه الدراسة.

ويتفق كل من المنصرين والمستشرقين أن التعليم له أهمية خاصة لتزييف وعي المسلم بدينه وتمسكه به والتدريس عندهم له مراحل تتابع المسلم في مراحله المختلفة ولتشغلوا به تدريجياً عن المنهج الإسلامي إلى المنهج البديل المعادي للإسلام. ويتخذ هذا المنهج الثقافة وسيلة له. وعلى هذا كل من المنصرين والمستشرقين يتفقون على الوسائل كما يتفقون على الغاية تبرر الوسيلة.

وفي مرحلة الإعداد للمنصرين والمستشرقين نجد تشابهاً إذ أن هناك مؤهلات

ضرورية لابد من توفرها في كل مستشرق وكل منصر وهي مؤهلات مشتركة نذكر منها:

أولاً: الدراسة اللاهوتية والتاريخية المتعمقة لليهودية والنصرانية وللكتاب المقدس القديم والجديد إلى ما يشمل التوراة والإنجيل ولهذه الدراسة أهداف هي:

١- تعميق وعي المستشرق والمنصر بدينه لمواجهة الدين الآخر وهو الإسلام مواجهة عقائدية.

٢- محاولة دعم الزعم الذي يردده جميع المستشرقين والمنصرين وهو أن الإسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانية وأن القرآن مستمد من التوراة والإنجيل.

وهذه الدراسات تفسر لنا لماذا نجد كثيراً من المستشرقين فعلاً من القساوسة ورجال الكنيسة.

ثانياً: دراسة اللغة العربية ودراسة الإسلام ومصادره (القرآن والسنة) وجميع جوانبه تهدف هذه الدراسات إلى إثارة الشبهات والتشكيك في الإسلام.

يحكي الأستاذ إبراهيم خليل أحمد قسيساً وهداه الله إلى الإسلام، يقول إنه في فترة تدريبه على التنصير التحق بكلية اللاهوت الإنجيلية في مصر وهي كلية لتدريب المصريين تابعة لجامعة برتنستوت في أمريكا ولا تخضع لأي إشراف من قبل وزارة التربية والتعليم أو وزارة التعليم العالي في مصر وأساتذة هذه الجامعة من الأمريكان، يدرس في هذه الكلية الإسلام. والردود على الإسلام وذلك بدراسة كتب المستشرقين، ونجد المؤتمر التنصيري العالمي الذي انعقد في ولاية كولورادو عام ١٩٧٨م، من توصياته للمنصرين العاملين وسط المسلمين أوصاهم باستخدام مراجع معينة عن الإسلام وهذه معظمها مراجع كتبها مستشرقون، وحدد المؤتمر مؤهلات المنصر فيما يلي:

١- التمكن من اللغة العربية والقرآن الكريم والمصادر الإسلامية.

٢- التحلي بالصبر والحزم في النقاش مع المسلمين.

٣- التعاطف مع المسلم حتى يقوده إلى الحقيقة المطلقة التي هي في نظرهم المسيح وغيره حقائق نسبية لاسيما الإسلام.

٤- الابتعاد عن الجدل والطرق القديمة التي تثير المشاكل.

٥- أن تكون لديه روح الأمل.

يتفق المنصرون والمستشرقون جميعاً على أن هدفهم العام هو ردة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر، فهم يكتبون بزحزحة المسلم عن دينه لاسيما مع المثقفين وذلك عن زحزحتهم إلى أي شيء آخر، فكان يصبح المسلم علمانياً أو يصبح تقدمياً، أو من أنصار التغريب والحداثة أو يكون من دعاة القومية أو ينتمي إلى دعوة التقارب بين الأديان أو يصبح اشتراكياً أو شيوعياً وهذه كلها أفضل عند المنصرين والمستشرقين من أن يظل المسلم على دينه، ويفضلون كذلك عندما يرتد المسلم إلا يجاهر بالردة عن دينه وأن يحتفظ باسمه القديم. وذلك لأن المسلم بالاسم والمظهر هما خاصان بالمنافق وهذا أشد خطراً على الإسلام. إذن هناك ارتباط وثيق بين الاستشراق والتنصير ويزيده قوة التطبيق العملي لمحاربة الإسلام من المستشرقين والمنصرين[١].

والاستشراق لا يقوم إلا على معرفة اللغات الشرقية وهي وسيلة للتعرف على الحضارات نجد التنصير يشترك معه في هذا الغرض.

والدافع الديني الذي يحرك المنصرين هو الدافع الأول في نشأة الاستشراق.

المستشرقون نشأوا في أحضان الكنيسة إذن هم منصرين بالدرجة الأولى ويمكننا أن نقول كل مستشرق منصر. لقد كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير إن لم يكن هناك تماثل في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي ويمكننا القول بأن التحالف لا يزال مستمراً بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر[٢].

---

(١) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ) ص٥٠-٥٤ بتصرف.

(٢) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الطبعة الأولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ١٤٠٤هـ) ص٢٧، ٢٨.

الفصل الثامن
الآثار التي ترتبت على جهود التنصير في منطقة العالم الإسلامي

١- العلمانية:

لقد كان نصارى الشرق العربي أول من دعا إلى العلمانية نقلاً عن رصفائهم في الغرب.

يقول صاحب كتاب (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة) ليس غريباً أن يكون أول من دعا إلى العلمانية بشعارها الصريح هم نصارى الشرق فإن الحياة المطمئنة التي كفلها لهم المجتمع الإسلامي بل المحاباة الزائدة في كثير من الأحيان لم تكن تطفي نار الحقد المتأججة في صدورهم إذ كانوا يدركون أن هيمنة الشريعة الإسلامية هي العائق الأكبر بشفاء غيظهم ونفث أحقادهم فقد استماتوا في سبيل إنهاء هذه الهيمنة وإحلال الأنظمة اللادينية محلها انطلاقاً من ذلك وجد المخطط اليهودي الصليبي فيهم بغيته المنشودة لهدم الخلافة وبالتالي القضاء على الحكم الإسلامي بعزل الشريعة الإسلامية عن ميدان الحياة وتوجيه المجتمع. ولم يكن يخفى على هؤلاء ما ألحقته العلمانية بدينهم في أوربا بل أن ذلك الدافع إلى المناداة بها في الشرق لكي تقضي على الإسلام، صحيح انتشار العلمانية سوف يؤثر على النصرانية مهما بذلت الاحتياطات ولكن ما دامت تقضي على الإسلام فلا بأس على حد قول الشاعر (اقتلوني ومالكاً أو اقتلوا مالكاً معي) وجهود نصارى الشرق في هذا المضمار كثيرة لا

يتسع المجال إلى تفصيلها ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- الأعمال السياسية:

وقد كانت على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة في الغرب وشبكات الجاسوسية العالمية وكذلك كونت الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الإسلامية وتدعو إلى حكومة لا دينية وطنية أو قومية ومن هذه الجمعيات (جمعية بيروت) (جمعية نمر) (وجامعة الوطن العربي) (نجيب عازوري) (والجمعية القحطانية) (وجمعية العربية الفتاة ثم الحزب السوري (أنطوان سعادة) وأخيراً حزب البعث (ميشيل عفلق).

ب- الأعمال الفكرية:

كان هؤلاء أول من نشر الثقافة الغربية مستخدمين الوسائل الحديثة سيما الصحافة فأصدروا صحفاً كثيرة)[١].

ويكتب الأستاذ يوسف العظم مؤرخاً لأعظم الجرائد انتشاراً في العالم العربي وكيف كانت أم الصحف تبشر بالأفكار الغربية وتحمل لواء هدف التبشير حيث يقول (صدر العدد الأول من جريدة الأهرام، وكان ذلك على وجه التحديد في يوم السبت الخامس من شهر أغسطس (آب) في عام ١٨٧٦م، حيث اتخذت الصحيفة صورة أهرامات الجيزة شعاراً لها انطلاقاً من حضارة فرعونية خاصة بمصر لتتقوقع على نفسها بعيداً عن العالم الإسلامي، الذي ظل ولا يزال يعدها رائدة العمل العلمي والسياسي، لما وهبت من كفاءات مبكرة وما عرفت به من كثافة بشرية تصنع منها قوة عظيمة لو تحركت بوعي وعرفت درب العمل المنظم على هدى وبصيرة.

وإمعاناً في التضليل أبرزت جريدة الأهرام في صدر عددها الأول صورة لهلال يلوح في سماء الأهرامات ذراً للرماد في عيون القراء من المصريين وما أقلهم يومئذ أو قل ما أندرهم وسط الأمة الجاهلة المريضة الفقيرة البائسة.

---

(١) سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

وعلى الرغم من ذلك فإن جريدة الأهرام لم تستطع أن تخفي نزعتها الطائفية حتى في عددها الأول حين أعلن محررها الخواجة سليم أفندي تقلا أسماء موزعي الجريدة في الصفحة الرابعة من العدد الأول حيث وردت أسماء الموزعين في مختلف مدن القطر المصري وشتى أقطار البلاد العربية على النحو التالي:

في الإسكندرية	الخواجا حبيب غرزوزي
في الإسماعيلية	الخواجا موسى بطايني
في المحلة الكبرى	الخواجا حبيب بولاد
في طنطا	الخواجا دهان دهان
في كفر الزيات	الخواجا إسكندر غريب
في سمنور	الخواجا جرجس روم
في رشيد	الخواجا متري موسى
في بورسعيد	الخواجا ميخائيل وطنوس خوري
في يافا	الخواجا سليم أفندي كسار
في عكا وحيفا	الخواجا جبرائيل سعد
في صور	الخواجا ميخائيل فرح
في صيدا	الخواجا البير كنفاكو
في بيروت	الخواجا فرنسيس راهبة
في متصرفية لبنان	الخواجا ميخائيل انطويتوس
في دمشق الشام	الخواجا يوسف أفندي
في طرطوس	الخواجا يوسف سكر
في حلب	الخواجا جرجس الياس كبابة
في بغداد	الخواجا سليم أفندي فرج

وعلى الرغم من هذا فإن كلمة الخواجة ليست فيما أوردنا هنا من عندنا وإنما هي اللقب التبجيلي الذي يوحي بالتقدير والاحترام في أواسط غير المسلمين وقد أوردته جريدة الأهرام مضافاً إلى هذه الأسماء.. لكنها حقيقة تكشف صور التكاتف والتحيز بين فئة الخواجات العاملة في ديار الإسلام.

وبعد هذه القائمة من أسماء الخواجات الذي أصرت جريدة الأهرام على أن يكونوا وكلاءها دون سواهم في شتى أنحاء الوطن العربي، من العراق إلى سوريا إلى فلسطين إلى مختلف أنحاء القطر المصري، نحب أن نشير إلى نموذج مما أبرزته الأهرام من أخبار في صدر العدد الأول[(١)].

مما تقدم أتضح لنا أن النصارى وهم أداة مؤسسة التبشير عمل منذ زمن مبكر لتحويل ولاء المسلمين إلى الحضارة الغربية بواسطة التثقيف وقاموا بمجهودات ضخمة في مجال الفكر وخططوا لها في كل أنحاء العالم العربي ولو عدنا إلى العدد الأول من الأهرام وهي نموذج للصحافة آنذاك لنرى ما هو نصيب العالم الإسلامي والعربي نجدها لم تعط العالم الإسلامي نصيبه وإنما كان كلامها عن أخبار الأباطرة والملوك والأمراء والقادة والجنرالات في أوربا.

(ونشأ في أحضان هذا الإعلام وعلى يدي هذا الإعلام الذي خطط له النصارى جيل مسلم مسخ سخرت منه الغوغائية وعبث به التهريج فزور تاريخه وطمس على بصيرته فصار يقف إلى جانب الحبشة الحاقدة على الإسلام ضد إرتريا المسلمة ومع القبارصة اليونان ضد الأتراك ونايريري في تعصبه الأعمى ضد الذين ذبحهم من العرب والمسلمين في زنجبار. وعرف الجيل المسلم بعقيدته المهزوزة وإرادته المسلوبة وفكره المنحرف وعرف الكثير عن نهرو وتيتو ولومومبا وناغور في حين لا يعرف شيئاً عن أعلام الإسلام القدامى فما بالك بالمعاصرين من أمثال حسن البنا وسيد قطب وعز الدين القسام)[(٢)].

ولكن لابد من وقفة لمعرفة ما هي العلمانية التي دعا لها نصارى الشام في إطار التأثير على أفكار المسلمين (إن هذه الكلمة التي تنطق عادة بكسر العين وسكون حرف اللام ترجمة ركيكة قام بها بعض نصارى الشام لكلمة أوربية هي (secularism) بالإنجليزية ولها نظائر في لغات الغرب الأخرى. والنطق الصحيح

---

(١) يوسف العظم، رحلة الضياع، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ٤٥.

(٢) يوسف العظم، رحلة الضياع للإعلام العربي، مرجع سابق ص١٢.

لهذه الكلمة يكون بفتح العين واللام كما في الكتابة الصحيحة لها تكون بوضع (ألف) (وبعد العين) (العلمانية) لتدل على معناها وهو النزعة الدنيوية المهتمة بشئون هذا العالم الذي نعيش فيه وليس بأحوال أو اهتمامات العالم الآخر أو الغيب وهو العالم الذي ينصب عليه بحث الدين وتعاليمه كما يفهم الغربيون وهكذا فنحن منذ البداية أمام مصطلح مقصود أو غير مقصود ونحن أمام مصطلح منقول من البيئة الغربية الأوروبية وليس لها نظير في العربية أو الفكر الإسلامي وهو يحمل وراءه ثقل قرون من المفاهيم والممارسات الغربية في مجال الدين والحياة السياسية والاجتماعية فضلاً عن أنه يتعلق بدين غير الإسلام وهو المسيحية الغربية، والكلمة بهذه الصورة تكشف لنا أن الدعوة تقع بأسرها بالكامل في سياق حركة التغريب والأوروبية والإستعمار الثقافي التي يعاني منها عالم الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان والتي تعتمد على أسلوب تصوير مفاهيم وأفكار الغرب على أنها مطلقة عامة وعلى أنها الحق الذي توصلت إليه البشرية في تقدمها المطرد الواصل إلى ذروته في أوربا، ومن ثم يجري فرض هذه المفاهيم دون مناقشة لها وإحلال محل أي عقائد أو تصورات أخرى في البلاد المستعمرة. ويسير هذا الفرض في ظل هيمنة المستعمرين أو حلفائهم على نواحي السياسة أو التعليم والإعلام والفكر وفي غيبة التيارات الوطنية (الإسلامية في هذه الحالة) غيبية قسرية نتيجة القوانين الجائرة والاستبداد والإضعاف والاضطهاد المتعمدة وتشويه صورتها)[1].

٢- مظاهر الانحلال بالنسبة للفرد:

أ - مظاهر انحلال عقدي تتمثل في الخروج عن عقائد الإسلام ابتداءاً من رأس العقيدة وهو التوحيد.. باعتناق مذاهب ملحدة كالشيوعية وغيرها.

ب- انحلال فكري تمثل في الإعجاب بأفكار غربية أو شرقية مناقضة لقيم الإسلام.

---

(١) محمد يحيى، ورقة ثقافية في الرد على العلمانيين ص١١.

ج- انحلال خلقي لابد أن يتبع الانحلال العقدي والفكري[(١)].

٣- استيراد الأيديولوجية الغربية:

(أما نحن في المجتمعات المتفسخة المنهارة فقد استوردنا البدلة ونظام الزواج والزنى والسكر والقمار والربا.. حتى في العادات ومفكرين من هذا الطراز فنحن نحتفل بكريسماس الغرب لا بمولد النبي ﷺ ولا حتى بكريسماس الشرقيين!

ولأننا نستورد الأيديولوجية فقد عجزنا عن اقتباس العلم والصناعة لأن من يستورد الأيديولوجية يكتفي باستيراد السلع الاستهلاكية ويبني الفنادق التي ينزل فيها موردو الأفكار.. ويظن أنها دلائل التقدم، ويفتح الجامعات يدرس فيها تفوق عدوه وانهيار حضاراته فلا يخرِّج إلا متطلعين للعمل في الغرب أو لحساب الغرب.

ما من أمة في التاريخ استطاعت تحقيق حضارتها من خلال أيديولوجية خصمها وقد تكون ثورة الغرب هي أجمل أشكال التمرد ولكنها تغدو أقبح أشكال العبودية إذا ما قمنا باقتباسها لحضارتنا، أو حاولنا نخرج بواسطتها من تخلفنا.

اضربوا لنا مثلاً واحداً عن حضارة ظهرت من خلال اعتناق أيديولوجية خصمها)[(٢)].

والعلمانية مبدأ مستورد للعالم الإسلامي بل هو مؤامرة خطيرة - يقول الدكتور/ يوسف القرضاوي: (والعلمانية من ناحية أخرى، ضد أصالتنا وسيادتنا، لأنها مبدأ مستورد من خارج أرضنا، ومن قوم غير قومنا لهم تاريخ غير تاريخنا ومفاهيم غير مفاهيمنا وقوانين غير شريعتنا وأوضاع غير أوضاعنا.

إنهم احتاجوا إلى العلمانية لظروف خاصة بهم ونحن لا حاجة لنا إلى العلمانية، لأنها كانت حلاً لمشكلاتهم مع كنيستهم وهي عندنا تكون

---

(١) علي محمد جريشة، مطبوعات العالم الإسلامي مكة المكرمة، ص٧٧-٧٨.

(٢) محمد جلال كشك، النكسة والغزو الفكري، دار الكاتب العربي، بيروت، الطبعة الثانية جمادي الأول ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ص١٤٥.

مشكلة في ذاتها[١]. والعلمانية وهي بهذه الخطورة قادها إلى العالم الإسلامي التبشير والمبشرون.

٤- تقطيع أوصال الخلافة

برغم كل ما أحدثه التبشير من تخريب لم يتخل الغرب عن العنف تأييداً لهذا التخريب العقلي والقلبي.. بالسند العسكري والسياسي وإسهاماً بهذه الوسيلة في تحقيق نفس الغاية. واتفقت الدولتان العظيمتان في ذلك الحين على تقطيع أوصال دولة الخلافة وتوزيع أملاكها[٢].

إن هذه المؤسسات ذات الأهداف والوسائل والتي قدمت إلى العالم الإسلامي في زمن مبكر ودلفت إلى عقول وقلوب المسلمين إذ (أيقن أعداء الإسلام أنه لا سبيل إليه وعقيدته حية في قلوب المسلمين وكانت بداية التبشير وهذا ما صرح به (ملخص تاريخ التبشير لادوين بلس أشار إليه أ. ب شاتليه نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي تحت عنوان: (الغارة على العالم الإسلامي)[٣][٤].

إن مؤسسة التبشير لم تكن وحدها التي هجمت على العالم الإسلامي هذه الهجمة التبشيرية وإنما شاركها في ذلك مؤسسات أخرى لا تقل عنها خطورة وهي مؤسسات الإستعمار والاستشراق والتغريب. وفي كل المراحل هذه المؤسسات تارة تعمل منفردة وأخرى متحدة والهدف واحد وهو السيطرة الفكرية والمادية على العالم الإسلامي وقد حققت الكثير في هذا المضمار.

ولم تكن الأمة الإسلامية مستسلمة لهذه الهجمات على الرغم من أن المسلمين أصابهم الوهن آنذاك فقد شهدت الأرض الإسلامية جهاداً متواصلاً

---

(١) علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، شريف الزريق، دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص٣٥.

(٢) علي محمد جريشة، التخطيط للدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص٧٧-٧٨.

(٣) علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري، مرجع سابق ص٧٧-٧٨.

(٤) المرجع نفسه، ٧٧-٧٨.

وصراعاً عنيفاً قامت به الشعوب الإسلامية طرداً لهذه الهجمة استطاعت لحد كبير أن تحافظ على ما بقي من الروح غير أن هذا الموضوع الذي خصصناه للتبشير لا يتسع فيه المجال بطرح أنواع المقاومة وأين نجحت وأين أخفقت ولا يتسع لتقديم هذه المقاومة، حسبنا أننا نشير إلى كتاب هام عالج هذا الموضوع ويمكن الرجوع إليه، وهو كتاب تحت عنوان (الصراع بين العلمانية والإسلام في الشرق الأوسط) للكتاب السوداني أمين حسن عمر[(١)].

وأخيراً أود أن أوضح أن هذا البحث واحداً من مجموعة أوراق عن أعداء الأمة الإسلامية في العصر الحديث وهذه الأوراق توضح آثار الأعداء على الأمة الإسلامية وهي آثار ثقافية واجتماعية وسياسية، وفي هذا البحث قصدت أن أسلط الضوء على مواضيع أساسية وإستراتيجية في مجال التنصير وهي التعريف والنشأة والأهداف والوسائل والأعمال ومقارنة بين التنصير والاستشراق وأخيراً الآثار التي ترتبت على جهود التنصير في منطقة العالم الإسلامي وتركتها هذه الهجمة في البلاد الإسلامية.

والهدف من هذا البحث أخذ العبرة ووضع التخطيط الذي يكافئ هذا الهجوم وقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

---

(١) المرجع نفسه ٧٧-٧٨.

الباب الثالث

الاستشراق

يحتوي هذا الباب على سبعة فصول كما يلي:

- الفصل الأول: تعريف الاستشراق
- الفصل الثاني: نشأة الاستشراق
- الفصل الثالث: دوافع الاستشراق
- الفصل الرابع: أهداف الاستشراق
- الفصل الخامس: أعمال المستشرقين
- الفصل السادس: وسائل الاستشراق
- الفصل السابع: مناهج الاستشراق

الفصل الأول

تعريف الاستشراق

نستعرض بعض التعريفات للاستشراق حتى نقف على بعض الحقائق المتصلة بهذا الموضوع الهام الذي له تاريخ ودوافع وأهداف ووسائل ومناهج وأعمال.

يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق وأحواله وتاريخه ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي فلكل أمة مشخصاتها ودراسة الأشخاص والهيئات في شتى صورها وأنواعها[1].

الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الإستعمارية للشرق بشتى تاريخه وثقافته وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته وإمكانياته من منطلق التفوق العنصري والثقافي بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية[2].

ويرى د. محمود حمدي زقزوق أن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة

---

(١) عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه الإستعمار الفكري، الطبعة الأولى القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٩٥م ص١٣.

(٢) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص٦ بدون طبعة (لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ).

الشرق أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه[١].

وهناك من يرى أن الاستشراق عمل ثقافي ومن هؤلاء الكاتب المصري أنور الجندي إذ يقول: الاستشراق عمل ثقافي يحمل معنى دراسة الشرق وجغرافيته وتاريخه ونفسية أمته وتراثه وليس الكشف عن التراث المدفون والمخطوطات الفردية النادرة وتقديمها محققة مراجعة على مختلف النسخ مبوبة مفهرسة إلا غشاء شفاف يخفي الهدف والغاية التي في حقيقتها استكشاف الأرض المستعمرة وإعدادها للغزو والتبشير وسيطرة الإستعمار[٢].

ومن الكتاب من يرى أن الاستشراق قوة ضد الإسلام والمسلمين وهذه واحدة من الحقائق.

الفكر الاستشراقي يمثل قوة باغية من القوى المضادة للإسلام والمسلمين وينسحب هذا الفكر على كل فكر غربي أو شرقي غير إسلامي عرض لتراث الشرق الديني والحضاري وبخاصة الشرق الإسلامي بالدراسة والبحث[٣].

يقول الشيخ محمد الغزالي إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث العلمي وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام والافتراء عليه[٤].

ومن الباحثين من يرى أن مصطلح استشراق مصطلح غامض وفي غاية الإبهام لأن الشرق اصطلاح ابتدعته أوربا لكل أرض الشرق التي تقع وراء حدودها شرقاً إلى اليابان بيد أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر القرون في مفهومه العام

---

(١) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري الطبعة الثانية (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م) ص١٨.

(٢) أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب، بدون طبعة (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٨م) ص١٥٣.

(٣) محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، الطبعة الأولى (المنصورة: دار الوفاء للطبعة والنشر، ١٩٩٥م) ص.

(٤) محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين (الأهرام: ١٣٩٥هـ) ص

والغامض أيضاً على الشرق الأوسط وما في هذا الشرق من أديان (عدا النصرانية لأن الفكر الأوروبي لا يحب ربطها بالشرق) وثقافات وحضارات مختلفة والباحث في أي فرع من فروع المعرفة التي تتعلق بقريب أو بعيد بهذا الشرق يسمى (مستشرق) بالرغم من رفض الكثير من هؤلاء لهذا المصطلح[١].

لقد أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك[٢].

والاستشراق في حقيقة الأمر يشتمل على عناصر إيجابية وأخرى سلبية وعلينا أن نعترف للمستشرقين بما لهم من إيجابيات ومن ناحية أخرى فإن من حقنا بل من واجبنا أن ننبه إلى ما وقعوا فيه من أخطاء وما اشتملت عليه دراسات العديد منهم من أباطيل فيما يتعلق بالقرآن الكريم ونبينا محمد ﷺ[٣].

(١) قاسم السمرائي، الاستشراق بين الموضوعية والاقتصادية/ الطبعة الأولى (الرياض: دار الرفاعي للنشر والطبع والتوزيع، ١٩٨٣م) ص١٠٧-١٠٨.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، الطبعة الثانية (دمشق دار القلم، ١٩٨٠م) ص٨٣.

(٣) محمود حمدي زقزوق، الإسلام في مرآة الفكر العربي، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار الفكر الغربي، ١٩٩٤م) ص١٧.

الفصل الثاني

نشأة الاستشراق

ليس من شك في أن الانتشار السريع للإسلام في الشرق والغرب لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصراني إلى هذا الدين ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته ومن بين العلماء النصارى الذين أظهروا في وقت مبكر اهتماماً بدراسة الإسلام لا من أجل اعتناقه وإنما من أجل حماية أخوانهم النصارى منه، كان العالم النصراني يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩م) ومن بين مؤلفاته في هذا الصدد لإخوانه في الدين النصراني كتابه (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات النصارى في جدل المسلمين) وبعض الباحثين ذهب إلى القول بأن البدايات الأولى ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي بينما يرى رودي بارت وهو مستشرق ألماني أن بداية الدراسات الإسلامية العربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وما ذهب إليه رودي بارت سبق وأن عبر عنه كتاب المستشرق جوستاف روجاد تاريخ الاستشراق في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر الذي صدر في نهاية الستينات من القرن الماضي[(١)].

إن الدارس لتاريخ الاستشراق يلاحظ أنه بدأ أولى خطواته في رعاية الكنيسة وأن الجيل الأول من المستشرقين كان من الرهبان والقساوسة وما زال بعضهم

---

(١) محمود حمدي زقزوق، الإسلامي في مرآة الفكر الغربي، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار الفكر الغربي، ١٩٩٤م) ص٢٠

حتى الآن من رجال اللاهوت وأن روح التعصب والأفكار الكنسية والنظرة إلى الإسلام نظرة غير موضوعية.

قادت الفكر الاستشراقي عبر تاريخه الطويل حتى العصر الحاضر. على أن الاستشراق مع هذا مر بعدة مراحل أو فترات تاريخية يمكن تقسيمها على النحو التالي:

المرحلة الأولى: تبدأ هذه المرحلة بفتح الأندلس وازدهار الحياة العلمية فيها وكذلك جزر البحر المتوسط وجنوب إيطاليا وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء الحروب الصليبية.

المرحلة الثانية: وتبدأ هذه المرحلة بعد الحروب الصليبية وتمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً.

المرحلة الثالثة: وقد بدأت في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي على وجه التقريب واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

المرحلة الرابعة: وبدأت بعد الحرب العالمية الثانية وما زالت مستمرة حتى الآن وكل مرحلة من هذه المراحل لها خصائصها[1].

يتطرق كاتب آخر لنشأة الاستشراق ويقول: من المسائل التاريخية الشائكة تحديد المرحلة الزمنية لنشأة الاستشراق ويؤرخ بعض الباحثين لذلك بطغيان الأفكار الإستعمارية على العالم العربي والإسلامي ويعدونه مدخلاً للقوات العسكرية وحملاتهم الحربية. قبيل القرن التاسع عشر. بمعنى أن التغريب الفكري لم يسبق الغزو العسكري وحسب وإنما كان المظهر الفكري الذي سهل نفوذه من جهة والتبرير لأعماله والتسويغ لمفاسده من جهة ثانية. ولكن بعض المشتغلين بآداب اللغة العربية يرون أن الاستشراق بدأ من القرن السابع عشر فظهر أول كتاب في قواعد اللغة العربية لأربانيوس ليدن ١٠٢٢هـ -١٦١٣م وطبع (المجموع المبارك) في التاريخ لابن العميد سنة ١٦٢٥م مع ترجمة لاتينية وطبع

---

(١) محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، مرجع سابق ص١٩-٢٠.

حينذاك وأن أقدم المستشرقين المستغربين (يوكوك) الإنجليزي المتوفى ١١٠٣هـ -١٦٩١م تلقى العلم في أكسفورد ورحل إلى المشرق وأقام في سوريا مدة ومن آثاره طبع كتاب (مختصر الدول) لابن العبري المتوفي سنة ١٠٧٤ - ١٦٦٣م مع ترجمة لاتينية وترجم (حي بن يقظان) إلى اللاتينية وكتاب (نظم الجواهر) لسعيد ابن البطريق طبع في أكسفورد سنة ١٠٧٠هـ -١٦٥٩م وفي دار الكتب المصرية نسخ منه وخلفه مستشرق شهير في أواخر القرن السابع عشر هو (دربلو) الذي وضع في تاريخ الشرق وآدابه معجماً سماه (المكتبة الشرقية) في عدة مجلدات وهي عبارة عن دائرة معارف شرقية باللغة العربية والفرنسية مرتبة حسب حروف الهجاء، تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وخرافاتهم وآدابهم ونظمهم وسائر أحوالهم الاجتماعية وعاداتهم وغيرها، طبع ثانية سنة ١٧٨٣م. ويرى الباحثون المختصون أن الاستشراق أقدم من ذلك بكثير فقد يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات مروية قبل ذلك.. (وكان أن سبق بعض ملوك أوروبا باباواتها وأخذوا العربية من علماء الأندلس وصقلية وتعلم أمراء الصليب وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام - أيام - غزواتهم الطويلة ولما قام البابوات بإنشاء الرهبنة لبث الدعوة الدينية في الشرق بدأ لهم أن يعلموا الرهبان لغاته ولاسيما العربية وبعض اللغات السامية والسريانية.. فقضى مجمع فينا ٧١١هـ-١٣١١م برئاسة الباب آكلتس الخامس أن يؤسس في باريس واكسفورد وبولون كراس.. دروس العربية والعبرانية ليتسنى لهم تدريس الطب في الكتب العربية، وفي سنة ٦٥٢هـ ١٢٥٤م أنشئت أول مدرسة عربية في (اشبيلية) من أرض الأندلس.

يقول بارت مستشرق ألماني إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ولم يتردد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح فإنه يستطيع أن يقول أن بدايته في القرن الثاني عشر، ففي عام ١١٤٣م تمت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب (فيزابيليس) وكان ذلك في أسبانيا ونشأ أول قاموس لاتيني عربي في القرن نفسه وفي القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموندس لالوس جهوداً كبيرة لإنشاء كرسي لتدريب اللغة وكان تعليم العربية

علي عبد عربي. ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني. ويتابع بعضهم القول في نشأة الاستشراق فيقول ولما كان القرن السادس عشر هو مسرح الإصلاح الديني في الغرب كانت نهايته بداية اتصال الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي اتصالاً اقتصادياً سواء في كشف موارده والثروة فيه أو في استغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادل تجاري، أو في أية صورة أخرى، حتى وصل منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى ما يصل إليه نفوذ قوى على ضعيف. لهذا فمنذ أن باشر النفوذ الغربي سلطته في رقعة الشرق الإسلامي من بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذ يعمل على تخلف المسلمين، وعلى التنفيس عن الحقد الصليبي. الاستشراق حركة أو اتجاهاً ثقافياً عالمياً فإنه يصعب تحديد بدايته، فهو كتيار فكري يشبه الأمواج التي لا تعرف الأولى فيها من الثانية ويمكن القول إن الاستشراق بدأ مبكراً قبل القرن الثالث عشر الميلادي ثم توسع واكتملت وسائله في القرن السادس عشر، ولكنه بلغ عنفوانه وقوته في أواخر القرن التاسع عشر، ثم تراجع عن شدته وحدته في العقد الخامس من القرن العشرين، وما يزال الاستشراق يعمل إلى اليوم وفي المستقبل بعنف وتطرف أقل ولكن بالتزييف والتشكيك نفسه(١).

ومن الباحثين من يرى أن الاستشراق إنما قام لمقاومة التوسع العربي والإسلامي. لقد نشأ الاستشراق لمقاومة الامتداد والتوسع العربي والإسلامي، هذا الامتداد الذي عبر إلى أوروبا وسيطر على أسبانيا واجتاح جزءاً من جنوب فرنسا حتى مدينة بواتيه أو بلاط الشهداء ونفذ إلى جزيرة صقلية وبدأ يسيطر على جنوب إيطاليا معقل المسيحية وكان نتيجة ذلك أن تألف مؤتمر فينا عام ١٣١١م الذي ترأسه الباب كليمان الخامس وتقرر فيه تأسيس مدارس خاصة في برلين وبولون واكسفورد تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لتخرج وعاظ يستطيعون تنصير المسلمين أو تشكيكهم في عقائدهم(٢).

(١) نذير حمدان، في الغزو الفكري (الطائف: مكتبة الصديق، بدون تاريخ) ص١٩١-١٩٤.
(٢) أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب، مرجع سابق ص١٥٣.

ومن المؤرخين من يرجع الاستشراق إلى صدر الإسلام حيث أن كثير من الذين كتبوا عن الاستشراق يرجعون أسباب نشوئه إلى عوامل مختلفة منها احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة ومن ثم غزو تبوك ومن يومها وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية وهناك من يرجع الاستشراق في بدايته بدراسة العلوم الإسلامية مأخوذاً بالنتائج العلمية التي حققها المسلمون ولكنه استشراقاً عفوياً لا يضمر أي قصد سوى الاستفادة من حضارة الشرق باعتباره نموذجاً جديداً للحضارات(١).

ولذا يرى نفس الكاتب أن حركة الاستشراق بدأت منذ العصور الإسلامية الأولى حينما وصل الإسلام إلى الأندلس وأخذ نوره يضئ ظلام القلوب والعقول من هذه البقعة التي كانت غارقة في الجهل والظلمة والتخلف، فلما تفتحت عيون أهل هذه البلاد على هذا الدين وعلى المثل الكريمة التي تمثل دين الإسلام فيما يدعون إليه في مجال العلم والعقيدة واكتسح كل ما سبقه من حضارات وراع الغرب أن يكون في منأى عن تلك الصورة المشرقة فأخذ يستسقى من مناهلها، وأصبح العرب حملة مشاعل من الشرق إلى الغرب وصاروا أساتذة للأوروبيين وصارت الجامعات الإسلامية في أسبانيا تعلم الكثير من الطلبة الأوروبيين في أحضان أروقتها ليدرسوا كل أنواع العلم ووجد الأوروبيون في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ الموجود لديهم، حيث كان لها من المرونة والواقعية ما يجعلها تتناسب ورغبات الشعوب على اختلاف أجناسها وثقافاتها ولم يكتف الأوروبيون بتلقي علومهم في الجامعات الإسلامية فقد أسسوا عدة جامعات ومعاهد وكراسي لدراسة الحضارة الشرقية في بلادهم وأصبح المسيحيون في أوروبا يستقون من حضارة المسلمين شتى أنواع العلوم والمعارف والفنون ودفعهم ذلك لتعلم لغة العرب ليقتبسوا من حضارتهم وعلومهم التي ظهرت في الشرق الإسلامي فحاولوا أن يسبغوا ثقافتهم بالصبغة الشرقية الإسلامية ومن ثم عرفوا بالمستشرقين.

نصل من وراء هذا إلى أن الاستشراق قد بدأ أول ما بدأ بدراسة العلوم الإسلامية

---

(١) قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية الاقتصادية، مرجع سابق ص١٩.

مأخوذاً بالنتائج العلمية التي حققها المسلمون ولكنه كان استشراقاً عفوياً لا يعتمد على أي قصد سوى الاستفادة من حضارات الشرق باعتبارها نموذجاً جديداً للحضارات.. واهتمت الدول الأوروبية بإرسال بعثات إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات نتيجة ذيوع شهرة الأندلس وحضارتها الإسلامية الزاهرة. كما بعث الملك فيليب النافارى إلى الأمير الأموي بالأندلس هشام الأول ١٧٢-١٨٠هـ يسأله السماح له بإيفاد هيئة لاستطلاع الأندلس، ودراسة نظمها وشرائعها والثقافات المختلفة فيها حتى يتمكن من نقل هذه الصورة إلى بلاده[(١)].

ومن الكتاب من يرجع تاريخ الاستشراق إلى ما بعد فترة الإصلاح الديني في أوروبا. يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلق الضوء الكافي على الموضوع وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد، ويكاد المؤرخون يجمعون على ان الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة حيوية بعد فترة الإصلاح الديني كما شهد بذلك التاريخ في هولندا والدينمارك وغيرهما[(٢)].

يؤيد وجهة النظر هذه عمر جودة الخطيب يقول إن علماء الاستشراق يجمعون على انتشاره في أوروبا ظهر بصيغة جديدة بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوروبي (عهد الإصلاح الديني) ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم بأعداد هائلة، نوادر المخطوطات الدينية تنتقل إلى مكتبات أوروبا وبلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد وما زال هذا العدد يزداد[(٣)].

---

(١) عبد الكريم علي زيد، افتراءات فيليب حتى وكارل، مرجع سابق ص١٧-١٨.

(٢) محمد البهي، الفكر الإسلامي المعاصر وصلته بالإستعمار الغربي، الطبعة السادسة (مكة: الفيصلية، ١٩٧٣م) ص٥١٢.

(٣) عمر جودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م) ص١٨٧-١٨٨.

أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك. وقد بدأ الاستشراق هذا منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا العريضة، وكان المسلمون قد احتلوا عرش السيادة الدولية وملأوا سمع الزمان وبصره وقلبه وسائر مشاعره. وأخذت أوروبا الغارقة في الجهل والتخلف الحضاري يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم الذي بلغوه، وأخذ بعض رجال الكنيسة الأوربيون يدرسون علوم هؤلاء الفاتحين ولغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا الفتح الإسلامي ولعلهم يكتسبون من علوم المسلمين ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم ويفتح لهم أبواب الارتقاء فكان الاستشراق طلباً لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأوضاعهم وبحثاً عنها[(١)].

ومن الملاحظ أن الاستشراق بدأ بعد مؤتمر فينا الذي دعت له البابوية سنة ١٣١١م وذلك بعد أن طرد المسلمون الصليبيين من بلاد الشام نهائياً بعد سقوط عكا آخر معاقلهم في سنة ١٢٩٠م[(٢)].

استعرضت فيما تقدم وجهات نظر مختلفة حول نشأة الاستشراق منهم من يرد نشأتها إلى صدر الإسلام ومنهم من يردها إلى العصور الوسطى وعصر الإصلاح الديني في أوروبا وهي دراسة موسعة قصدت منها أن يلم القارئ بنشأة الحركة الاستشراقية التي اكتسحت العالم الإسلامي والعالم الشرقي بصفة عامة وقد حاولت أن أرد كل وجهات النظر إلى كاتبيها حتى يستطيع القارئ أن يرجع إلى المراجع إذا أراد المزيد من الدراسة والتتبع.

---

(١) عبد الرحمن حسن، أجنحة المكر الثلاثة ص٨٣، الطبعة الثانية (دمشق: دار القلم ١٩٨٠م).

(٢) عبد الكريم علي باز، افتراءات فيليب وكار بروكلمان على التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ص١٨.

الفصل الثالث

دوافع الاستشراق

من خلال دراسة أعمال المستشرقين وما حققوه من أهداف يمكن أن نحدد دوافعهم. لقد كتب الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه أجنحة المكر الثلاثة ملخصاً لدوافع الاستشراق وهي تتمثل فيما يلي:

١- الدافع الديني:

لقد بدأ في حضن الكنيسة وبدأ بالرهبان ثم استمر ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت، وهؤلاء يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحديث بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية بعد في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية وحين قامت جمعيات التبشير ووضعت من أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية أو إلى اللادينية والإلحاد الكامل

كانت دوافع الاستشراق لدى المستشرقين وأنصارهم ومؤيديهم هي دوافع التبشير نفسها، وتتلخص بسلخ المسلمين عن دينهم ومحاولة إدخالهم في النصرانية واتخذوا لتحقيق ذلك وسائل منها تنفير المسلمين عن دينهم وحملهم على كراهيته بتشويهه والتشكيك في أسسه وتوجيه المطاعن له، وبفعل نظير ذلك في التاريخ الإسلامي وحضارة المسلمين وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث ومنها تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام واستدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة وما فيها من مغريات للنفوس وأسرات للشهوات وباهرات للنظر.

٢- الدافع الإستعماري:

لم ييأس الصليبيون بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد العرب وسائر بلاد المسلمين، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان بغية أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموها ولم تم لهم الاستيلاء الفكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق أضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم وكان لهم في ذلك وسائل كثيرة، تسللوا بها إلى نفوس أبناء المسلمين وأفكارهم منها التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية والغرض من ذلك أن يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب يستمدون منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ والعقائد والعادات والتقاليد وأنواع السلوك، ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً. ومنها إحياء مفاهيم جديدة أو إحياء مفاهيم جاهلية ماتت منذ تمكن الإسلام في قلوب المسلمين كالقوميات الفرعونية والفنيقية والآشورية والعربية والكردية والتركية والفارسية ونحو ذلك ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة، التي تجمعها رابطة وحدة الدين الذي يهيمن على جميع مشاعر الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر.

٣- الدافع الاقتصادي:

من الدوافع التي حرضت كثير من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم يغزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً يهدفون فيه إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة والاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان وإماتت الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية.

٤- الدافع السياسي:

قبل الإستعمار وبعد تحرر البلاد الإسلامية منه رأت الدوائر الإستعمارية حاجتها السياسية تقتضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها من لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة في بلاد المسلمين، منها الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم وبث الاتجاهات السياسية التي تريدها الدول الإستعمارية فيهم، ومنها الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية في البلاد. وكم بث هؤلاء في بلاد المسلمين من أفكار وكم دسوا من دسائس وكم استخدموا أجراء لدس وإثارة الفتن وإقامة ثورات وانقلابات عسكرية إلى غير ذلك من أعمال سياسية عادت على المسلمين والإسلام بأضرار فادحة.

٥- الدافع العلمي:

من المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع من حب العلم والإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في الإسلام والتراث الإسلامي، لأنهم لم يكونوا يتعمدون بتفكير واع أن يدسوا أو يحرفوا فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل منهم من اهتدى بدراسته للإسلام وآمن برسالته. على أن هؤلاء لا يجدون إلا حين يكون لهم من

الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقي رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الباحثين لذلك فهي لا تدر عليهم مكاسب ومغانم وطبيعي أن يندر وجود هذه الفئة في أوساط الحركة الاستشراقية[1].

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، الطبعة الثانية (دمشق: دار القلم، ١٩٨٠م) ص٩١-٩٤.

الفصل الرابع
أهداف الاستشراق

تتلخص أهداف الاستشراق وأخطرها في الأمة الإسلامية تحويل المسلمين عن دينهم وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى وبثها إلى وحدات صغرى متقاطعة متنافرة ومتدابرة يقاتل بعضها بعضاً ويجافي بعضاً بعضاً[(1)] واقع الحال شاهد على ما فعله الاستشراق في العالم الإسلامي إذ تعددت أسماء دول العالم الإسلامي وتعددت وحداته السياسية وقد كان دولة واحدة من طنجا غرباً إلى جاكرتا شرقاً. تقدر الأبحاث والكتب التي كتبها المستشرقون عن الإسلام في الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بنحو ٦٠٠٠٠ ستين ألف كتاب فلم كل الاهتمام لم كل هذا العناء؟ ستون ألف بحث وكتاب في تاريخ الإسلام وعقائده ومذاهبه وفقهه وسيرة نبيه.. الخ لم كل هذا؟ إن الاستشراق يرمي من وراء ذلك إلى غايتين:

١- حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد في سبيله كما كان من المسيحيين في الشام ومصر والشمال الأفريقي وأسبانيا من قبل حين دخل الإسلام هذه الأصقاع فدخل أهلها في دين الله أفواجاً، وصاروا من دعاة هذا الدين الحنيف وحماته والمنافحين عنه. بل أعجب من ذلك أن دخلوا في العربية دخولاً غريباً وصار لسانهم لسانها، بل أعجب من

---

(١) المرجع نفسه ص٩٤.

ذلك أيضاً أن أخرج من أصلابهم كثرة كاثرة من العلماء الكبار الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. كانت هذه غاية الاستشراق منذ نشأته محاولة لتبشيع صورة الإسلام وأهله حتى لا يتتابع من بقي من رعايا الكنيسة على الدخول في الإسلام مثلما فعل أضرابهم من أهل الشام ومصر والشمال الأفريقي والأندلس.

٢- الغاية الثانية للاستشراق هي معرفة الشرق ودراسة، أرضه ومياهه وطقسه، وجباله وأنهاره وزروعه وثماره وأهله ورجاله وعلمه وعلمائه ودينه، وعقائده وعاداته وتقاليده ولغاته.. كل ذلك لكي يعرف كيف يصل إلى الشرق. فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة، لم تستطيع الصليبية المقهورة أن تحاول - مجرد محاولة - اختراقها لعدة قرون وكانت المناوشات والاحتكاكات على الثغور والأطراف تحسم دائماً لصالح الإسلام والمسلمين ولما حاولت الصليبية الغاشمة اختراق ديار المسلمين في مطلع القرن السادس الهجري رجعت بعد نحو قرنين ٤٨٩-٦٩٠هـ من الزمان مقهورة مدحورة. "لكنها ما فتئت تدبر وتغدر وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام لما استعصى عليها اختراقها وكان الاستشراق هو رائدها الذي يرتاد لها الطريق.

كان المستشرقون جند المسيحية الشمالية الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة والغنى والصيت الذائع وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختبئة وراء أكداس من الكتب، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب المحض الذي في قلب أوروبا والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام(١).

ولقد اعترف المستشرقون أنفسهم بأن هذه أهدافهم يقول الأمير كايتاني وهو إيطالي الجنسية وهو الذي جهز على نفقته الخاصة ثلاث قوافل لترتاد مناطق الفتح الإسلامي وترسمها جغرافياً وطبوغرافياً وجمع كل الدوريات والأخبار عن

---

(١) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٧٣-٧٤.

حركة الفتح في اللغات القديمة.. واستخلص تاريخ الفتح في تسعة مجلدات ضخمة بعنوان (حوليات الإسلام) بلغ بها سنة أربعين هجرية قال هذا الأمير الذي استهلك كل ثروته الطائلة في هذه الأبحاث حتى أفلس تماماً، قال في مقدمة كتابه - حوليات الإسلام - هذه أنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض ما يزالون حتى اليوم يؤمنون بمحمد ويدينون به نبياً ورسولاً.

فهو بهذا يعلن عن هدفه بوضوح وصراحة (أن يفهم سر المصيبة الإسلامية) أي سر الإسلام ومصدر قوته. ويكتب المستشرق (باول شمتز) كتاباً يتناول فيه عناصر القوة الكامنة في العالم الإسلامي والإسلام. اسم الكتاب وقد ترجم إلى العربية تحت عنوان (الإسلام قوة الغد العالمية) يعلن الكاتب عن هدفه وهو تبصير أوروبا الغافلة عن هذه القوة التي هي (صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق، الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه فهل يسمع أحد؟ هل من يجيب؟ والكتاب كله تحكمه هذه الروح روح الحقد والتأليب على الإسلام. نفس الكلام المتقدم يكرره المستشرق - البير شاميدور - في كتابه حمراء غرناطة بعد أن تحدث عن عظمة الآثار الإسلامية في غرناطة (إن هذا العربي الذكي الشجاع الذي استطاع أن يجمع العالم في مائة عام كما استطاع أن يفتح نصف العالم أيضاً في مائة عام قد ترك لنا في حمراء غرناطة آثار علمه وفنه.. إن هذا العربي الذي نام نوماً عميقاً مئات السنين، قد استيقظ وأخذ ينادي العالم (هاأنذا أعود إلى الحياة) فمن يدري قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالعرب فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية) ثم يقول لست أدعي النبوة، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. ثم ينادي أبيدوا أشباح العرب في الحمراء أبيدوها قبل أن تبعث.

والقوم بمثل هذا الكلام المتقدم يكشفون عن أهدافهم تجاه العالم الإسلامي والعربي. ويوضح ذلك قول (روجيه جارودي) ذلك الفيلسوف الفرنسي الذي كان زعيم المذهب الوجودي والذي كان مرشحاً لزعامة الحزب الشيوعي

قال (لم يكن الاستشراق حركة نزيهة منذ البداية إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية.

ومن المستشرقين من كان له أهداف علمية خالصة بنية الاستفادة من جوانب الإسلام المشرقة وهذه لا يقصد منها إلا البحث العلمي والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم وهذا الصنف قليل جداً، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الخطأ والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والدينية التي تفرق بين البيئة التاريخية التي يدرسونها وبين البيئة الخاصة التي يعيشونها.

وهذه الفئة هي أسلم الفئات وأقلها خطراً، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يبين لهم ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في قلب البيئة التي يدرسها فيأتي منطبقاً مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتاً من أصحاب الأهداف الأخرى، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي والانسياق وراء العاطفة والرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وهذا يعتبر من أدق وأوثق مراجع المستشرقين في تاريخ التسامح الديني في الإسلام. يطعن المستشرقون المتعصبون - خاصة المبشرين منهم - بأن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها ومن هؤلاء أيضاً كما تقدم من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه مثل المستشرق الفرنسي (رينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم (ناصر الدين رينيه) وكتب كتاباً اسمه (أشعة خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله[١].

---

(١) عبد الكريم علي باز، افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، ص٢٣-٢٤.

المستشرقون هم أدمغة الحملات الحديثة وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي ظهروا في حلبة الصراع في فترة كان المسلمون فيها يعانون من الإفلاس الحضاري والخواء الروحي وفقدان الذات مما جعل الفرصة سانحة لأولئك الأحبار والرهبان جنود الصليبية الموتورون كي يثأرون لهزائمهم الماضية وينفثوا أحقادهم الدفينة واقتضت خطة وجودهم في عصر يعبد العلم ويضفي عليه قداسة الوحي أن يخلعوا عن كواهلهم مسوح الرهبان والأحبار وسلاح الميدان وأن يرتدوا لباس العلم ومسوح المعرفة ثم جندوا آلاف المخطوطات ومئات المؤسسات الثقافية المختلفة لمعركة استئصال الإسلام وعكفوا في صوامع البحث يديرون الصراع المرير بخبث ودهاء. وما كان يغيب عن بالهم أن القضاء على الأشلاء الباقية من الكيان الإسلامي الضخم وسد كل الطرقات التي تهيئ لبعض الحياة فيها لا تتم إلا بسلب الأمة ذاكرتها متمثلة في تراثها العظيم وفي الوقت نفسه شن حرب نفسية شرسة لإبادة ما يزال عالقاً في أذهان المسلمين من عقائد الإسلام ومفهوماته وإن لم تكن الإبادة التامة فلتكن الزعزعة والتفتيت.

الفصل الخامس

أعمال المستشرقين

كان للمستشرقين أعمالاً وجهوداً وذلك لتحقيق أهدافهم وغاياتهم وعليه يمكننا أن نستعرض هذه الأعمال كما عرضها د. سفر بن عبد الله الرحمن الحوالي في كتابه العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة.

١- الطعن في حقيقة القرآن وحقيقة الإسلام وحقيقة النبوة: فقد قالوا عن الإسلام أنه تطوير محرف لليهودية والنصرانية أو هو جزء من مجموعة الأديان الشرقية تولد من الاحتكاك بين الوثنية العربية بأديان فارس والهند. وأن القرآن من وضع محمد ﷺ أو من إملاء راهب نسطوري تعلم على يديه محمد مدة طويلة في الشام أو هو نتف من نسخ التوراة والإنجيل المهجورة وآراء المتحنثين من العرب كورقة بن نوفل مع اقتباسات من الحكمة الشعرية لبعض المتأملين الروحانيين كأمية بن الصلت.. الخ ثم قالوا أن القرآن بعد وفاة محمد ﷺ كان موزعاً بين الصحابة في العظام والجلود وجزء محفوظ في الصدور حفظاً غير تام ولا متناسق وبعد سبعين سنة - أي بعد أن تبعثرت العظام والجلود ورمت ومات الحفاظ - وجد المسلمون أن الضرورة تقتضي جمع القرآن فاجتمعوا (كما يجتمع رجال اللاهوت) وأحضر كل منهم ما كان في حوزته منه واتفقوا على تنظيمه وتبويبه لكنهم تشاجروا في مواضيع كثيرة وأخيراً فرضت السلطة الحاكمة نسخة معينة وأحرقت كل النسخ المخالفة بدون مبرر ونتيجة لذلك جاءت النسخة المعتمدة غير متحدة الموضوع ولا متناسقة السياق بالإضافة إلى كونها غير مرتبة، فالسور التي

وضعها - أو جمعها أو ... محمد في أول ادعائه وضعت في آخرها بينما وضعت الأخيرة في أولها.. الخ ثم يقولون أن اليسار الإسلامي - الشيعة والرافضة - ظل يحتفظ بنسخ أخرى تبلغ أضعاف النسخة المتداولة التي كان يعتقد أن قسماً كبيراً منها قد فقد بسبب شاة تسللت إلى موضعها فأكلت الجزء المتعرض للخلافة من بعد محمد. أما نبوة محمد ﷺ فقد قالوا عن تلقي الوحي أنه نوبات من الصرع والهستريا أو نوع من العبقرية الشعرية في أحسن تقدير، أو أن محمداً لم يكن إلا اللسان المعبر عن المذهب الذي كان يعتقده الراهب بحيرا، وكان يمليه عليه في الصحراء العربية ويكتبه ثم يدعي أنه وحي من الله، وقد قالوا عن رسول الله ﷺ نفسه أنه كان مجهول النسب ولذلك دعي ابن عبد الله كعادة العرب فيمن يجهلون أباه، وأن اسمه الأصلي قثم فلما عبده العرب سموه محمداً لتقديس وأنه كان (حاشاه ﷺ) رجلاً شهوانياً ويعاقر الخمرة بل تطرق بعض المستشرقين الشيوعيين فقالوا أنه (سيدنا محمد ﷺ) أنه شخصية خيالية.

أما الطعن في السنة فقالوا أن محمداً في حياته كان يعد كل ما يتكلم به قرآناً. وبعد موته نشب نزاع سياسي بين المسلمين احتاجت الأطراف المتنازعة إلى تأييد آرائها وإذا لم تجد ما تؤيد به من القرآن نسبت كل فرقة إلى محمد أقوالاً كثيرة لصالحها. ومن مجموع هذه الأقوال كتب علماء المسلمين بعد ثلاثة قرون - أي بعد أن يكون كل شيء قد ضاع واختلط - كتباً سميت كتب الحديث والسنة وألزموا المسلمين - باستثناء اليسار طبعاً - وسموا أتباعها أهل السنة تمييزاً لهم عن اليساريين - ثم يعمدون إلى النقد المفصل للسنة فيطعنون في كبار الصحابة حفاظ السنة كأبي هريرة والزهري ويقولون أن بعض الشخصيات كعروة بن الزبير الذي يروي عن خالته عائشة رضي الله عنها شخصية خيالية. وغيرها من الطعون التي تحملها كتبهم ومؤلفاتهم الفجة غير الموضوعية ولا علمية.

٢- القول بأن الإسلام استنفد أغراضه: وهي دعوة تأتي في صور شتى منها وصف الإسلام بأنه دعوة أخلاقية جاءت لإنقاذ المجتمع العربي من عاداته السيئة كعبادة الحجارة ووأد البنات والسلب والنهب وشرب الخمر.. الخ وتارة يوصفون بأنه حركة اجتماعية تهدف إلى تغيير البنية الاجتماعية والقبلية والاستبدال بها

تركيباً اجتماعياً قومياً متحضراً للعرب مرة يقال - هو خاص بالمستشرقين الشيوعيين - أن الإسلام ثورة غير ناضجة ضد الطبقة التي كانت تسود المجتمع المكي تولدت من الصراع بين الطبقة الكادحة مثل محمد وبلال وصهيب والطبقة الرأسمالية أمثال الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف. وأقوال مؤداها اعتبار الإسلام ظاهرة معينة في فترة زمنية محدودة يجب أن تدرس وينظر إليها كما لو كان قطعة من الأحافير القديمة لا علاقة لها مطلقاً بالواقع المعاصر.

٣- القول بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية أو على أحسن الأحوال دين بالمفهوم الغربي الضيق فلا دخل له بأمور الحكم والحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي.. الخ وقضية الخلافة بدعة لا أساس لها في الإسلام ومحمد إنما جاء ليؤسس ديناً ولم يكن يهدف إلى تكوين دولة.. وعندما خرجت جيوش الإسلام الأولى لم يكن هدفها إلا السيطرة على المستعمرات الرومانية الخصبة وإكراه أهلها على الإسلام ولكن العرب الفاتحين أعجبوا بالتنظيمات السياسية والإدارية التي كانت لدى الروم فاقتبسوها منهم ثم ادخلوها في صلب عقيدتهم بغرض التلبيس على العوام وضمان استمرار نفوذهم. ومنذ ذلك الحين ظهرت البدعة القائلة أن الإسلام دين ودولة في آن واحد.

٤- القول بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني.وهي دعوى مركبة على الدعوى السابقة هدفها إسقاط توحيد الألوهية من جهة شأن الأخذ من القوانين الوضعية من جهة أخرى فما دام الفقه القديم مستسقى من أصول أوروبية فما المانع اليوم من الاقتباس من القوانين الأوروبية كالقانون الفرنسي أو السويسري.. الخ

٥- الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتلائم مع الحضارة. واضح أن هذا الادعاء يقوم على استغلال الشعور بالنقص والإحساس بالتخلف الذي وخز الأمة الإسلامية عند احتكاكها بالحضارة الأوروبية. فقالوا إن الإسلام دين قبلي صحراوي وشعائره وتشريعاته لا تنسجم مع الحياة العصرية المتمدنة، وكيف يصح أن يعيش الإنسان على شريعة الصحراء والجمال، بل أن هذه الشريعة نفسها هي سبب التخلف وداء الشرق العضال.

٦- الدعوة إلى نبذ اللغة العربية وهجر حروفها وأساليبها وهي دعوى موازية للدعوى السابقة وتحتج بالحجة نفسها - عدم ملاءمتها للحضارة - وغرضها مسخ الأمة وقطع صلتها بدينها نهائياً ومن هذه الدعوى تفرع القول بأن النحو العربي غير علمي وافتعال التضاد بين قواعد النحو واللغة وبين أساليب القرآن بقصد هدم الاثنين معاً. والزعم بأن الشعر الجاهلي وكثيراً من شعر صدر الإسلام منحول لأن اللغة والتفسير يستمدان الشواهد منه.

٧- إثارة ما يسمى (قضية تحرير المرأة) وهي دعوة ركز عليها أولئك لعلهم بنتائجها المتعددة التي منها الطعن في الشريعة ذاتها لأنها سبب احتقار المرأة بزعمهم ونشر الإباحية والانحلال في المجتمع الإسلامي والقضاء على الأسرة الذي يؤدي إلى تجهيل النشء بدينه ويتيح لهم الفرصة لتربية أبناء المسلمين كما يشاؤون فقالوا إن الإسلام يحتقر المرأة لذاتها ولا يجعل لها قيمة معنوية سوى الاستمتاع المجرد وأنه يبيح بيع وشراء وسبي النساء وأنه يوجب على المرأة أن تعيش وتموت جاهلة مهملة بما يفترض عليها من حجاب، ويعد حقها في الترفية والاستمتاع عاراً شنيعاً في حين تتاح للرجل كل وسائل اللذة بالتسري وغيره... ومزاعم أخرى كثيرة كان الواقع السيئ يمدهم بأدلتها ويسهل عليهم إثارتها.

٨- التهوين من شأن الحضارة الإسلامية وتشويه تاريخها. يزعم المستشرقون أن أعظم مآثر المسلمين الحضارية هي نقل التراث اليوناني - نقله فقط وحفظه من الضياع - وأن روائعهم العمرانية مقتبسة من الفن البيزنطي... الخ أما تشويه التاريخ الإسلامي فلم يدعوا وسيلة لذلك إلا سلكوها حتى سلبوه كل فضائله وحصروه في الناحية السياسية ليصبح سلسلة من المشاحنات والمؤامرات والدسائس ثم كرسوا الحديث عن الحكام في موضوعات الحريم والجواري والشعراء وعمدوا إلى عظمائه في الحرب والسلم فوصفوهم بالجمود والتزمت ومعاداة التحضر واتخذوا من الخزعبلات المدسوسة في التراث مصادر لتشويه سيرتهم ومن هنا بذلوا جهودهم لترجمة ونشر تلك الخزعبلات ومنح الدرجات العليا للباحثين فيها فكانت ثمرة ذلك كله أن مفهوم الحضارة الإسلامية لا يتجاوز عند غالبية المثقفين لا يتجاوز معنى كلمة (فولكلور).

٩- بحث الحركات الهدامة والطوائف الضالة وتضخيم أدوارها. وهذا جزء من تشويه تاريخ الإسلام إلا انه استأثر باهتمام بالغ منه لأنه يحقق أغراضاً كثيرة في آن واحد فقد حرصوا على تجديد الغزو الفكري البائد الذي نظمته الطوائف والفرق المنحرفة كالباطنية بفروعها المتعددة من إسماعيلية وقرامطة وبابكية والعبيدين المسميين الفاطميين والزنج أصحاب الثورة المعروفة والدروز والمتصوفون وفرقهم مع العناية الخاصة بالشخصيات الضالة كالحلاج وعبد الله بن سبأ وعبد الله بن ميمون القداح والحاكم العبيدي.. الخ هذا غير الفرق التي أحدثت للغرض نفسه كالقاديانية والبابية وفروعها.

١٠- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها. تخصص عدد من المستشرقين في هذا المضمار فعكفوا على دراسة اللغات البائدة والتنقيب على آثار الغابرين، ولفقوا من رفات هش ما أسموه التاريخ الحضاري للعرب ثم مروا على آثار تلك الحضارات إلى العصر الحاضر فبدأ الفتح الإسلامي وحضارته نشازاً في هذه السلسلة أو في أحسن الأحوال عاملاً من بين عوامل عدة، ومن أمثلة ذلك بعث الفرعونية في مصر والآشورية في الهلال الخصيب والحميرية في اليمن واختلقوا القومية الطورانية لحساب الجمعيات السرية التركية ونجم عن ذلك نتائج خطيرة منها تحسين سمعة الجاهلية وتمجيد طواغيتها الغابرين وبث الثغرات الانفصالية وقطع صلة الأمة بماضيها الحقيقي أو على الأقل إشغالها عنه وتهيئة النفوس لتقبل إمكان قيام الحياة المتحضرة بدون الإسلام كما عاشت تلك الحضارات قبله.

١١- وضع منهج لا ديني للبحث العلمي. ولو لم يكن ثمرة جهودهم إلا هذه لكفي، فإن جامعات العالم الإسلامي المعاصرة تدرس التراث الإسلامي وفق ذلك المنهج الذي يتشح بالموضوعية والحياد العلمي وهو أبعد ما يكون عنهما، ومن أوضح وأقرب الأمثلة على ذلك ما نلحظه في كتابات كثير من الباحثين المسلمين من إصرار على استعمال عبارة قال القرآن عند إيراد الآيات احترازاً من قول قال الله. وإطلاق لفظة (محمد) تماماً كما يستعملها المستشرقون بدون ذكر الرسالة أو الصلاة عليه ﷺ.

وأعمال المستشرقون متقدمة الذكر تسير وفق خطة مدروسة فهي تتغير تبعاً

لمقتضيات التغيير بعد تقييم نتائج المرحلة السابقة. ولذا فلا غرابة أن تختفي من كتبهم الأساليب الاستفزازية والطعن المكشوف إذ يبدو أن خطة (احتواء الفكر الإسلامي) هي المعمول بها الآن وأياً كانت النتائج فإن ما اضطلع به هؤلاء من مهمة تدمير المقومات الإسلامية وتمهيد الأرضية الفكرية التي تقوم عليها الحياة اللادينية في الشرق قد أتى أكله في كثير من الميادين[(١)].

زعم بعض المستشرقون والمتأثرون بكتاباتهم من العرب أن مرحلة الحقد كانت ناشئة عن شعور بالحقد على المسلمين ناشئ عن الشعور بالنقص فلما أمسك الغرب بزمام القوة بردت نار الحقد وهذا غير صحيح لعدة اعتبارات وبراهين:

١- استمرار بقاء كثير من المؤسسات التبشيرية الإستعمارية بين ظهرانينا كمدارس الإرساليات والجامعات الأمريكية بالقاهرة وبيروت واستنبول.

٢- إن المستشرقين في كل البلاد الإستعمارية تقريباً يتبعون وزارة الخارجية ولا يزالون كذلك مثل (ميتشيل) الذي أصدر في السبعينات كتابه (الأخوان المسلمون) مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست علمية فـ (انتوني إيدن) رئيس وزراء إنجلترا السابق الذي شغل من قبل منصب وزير الخارجية وأسهم فيما بعد في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م لم يكن يتخذ قراراً سياسياً يتصل بالشرق الأوسط إلا بعد الرجوع إلى المستشرقين من أساتذة الجامعات وخاصة جامعة اكسفورد وكلية العلوم الشرقية من أمثال (مرجليوث) كما أن المستشرقين من اليهود لا يزالون يعملون على تحقيق أهداف الصهيونية العالمية كما أشار (يوري ايفانوف) اليهودي الماركسي في كتاباته يقول (بيجن) أمام ممثلي الجيش الإسرائيلي في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٨م أنتم أيها الإسرائيليون يجب ألا تكونوا رؤوفين عندما تقتلوا عدوكم، عليكم أن لا تشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية (الإسلامية) التي

---

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ص٥٤٤-٥٤٩.

ستبنى علي أنقاضها حضارتنا. وليس ببعيد تلك المؤامرات اليهودية الأمريكية التي عقدت في الإسكندرية وبعض العواصم الغربية. واشترك فيها بعض الشيوعيون المصريين بهدف أو تحت مظلة الدراسات النفسية المطلوبة من أجل وجود حالة طبيعية بين العرب وإسرائيل في أواخر السبعينات ثم أوائل الثمانينات.

٣- وقد أشار الدكتور علي حسن الخربوطي إلى أن الاستشراق والإستعمار قد يلتقيان أحياناً في الطريق الواحد إذا دعت الحاجة أو حتمت الضرورة السياسية ذلك.

٤- لا تزال المجلات الاستشراقية والمؤلفات والبحوث ودوائر المعارف التي يحررها المستشرقون تقذف بالأكاذيب والمغالطات والشبهات على الإسلام وأهله، ويستعينون بتلاميذهم في بث المغريات، بل ويحيون العصبيات العنصرية لتمزيق الشرق الإسلامي بين فرعونية في مصر وبربرية في شمال أفريقيا وكردية في كل من العراق وإيران.. الخ

٥- ولا يزال بعض المستشرقون المعاصرين يعترفون بذلك يقول (برنارد لويس): (لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة وراء الحواش المرصوصة في كتابات البعض الآخر). ويقول (نورمان رانيل) على الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام فهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما يتوهمون[١].

لقد أقبل اليهود على الدراسات الاستشراقية لأسباب دينية وسياسية. أما الأسباب الدينية فإنها تتمثل في محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه وذلك بإدعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول. أما الأسباب السياسية فإنها تتصل بخدمة الصهيونية العالمية فكرة أولاً ثم

(١) عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه الإستعمار الفكري، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٥) ص١٧٣-١٧٤.

دولة ثانياً وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، فدخلوا تحت رداء العلم كما وجدوا في الصهيونية باباً يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين[١].

في سنة ١٨٩٧م عقد المؤتمر الصهيوني الأول كما هو معلوم، حيث أقر المؤتمرون في مدينة بال بسويسرا ما يمكن أن يعد دستوراً لتحقيق مشروع الدولة اليهودية الذي أعده ثيودور هرتزل وقد انبثق عن المؤتمر أن تنشأ منظمات متخصصة في السياسة والاقتصاد لتحويل هذا البرنامج النظري إلى واقع تطبيقي[٢] ودخل حيز التنفيذ في عام ١٩٠٧م عندما صدر وعد بلفور الشهير الذي يعبر عنه الفلسطينيون بقولهم (من لا يملك أعطى لمن لا يستحق) واستمرت إسرائيل تتوسع وتمتلك وتحقق الأهداف بأقل الخسائر في سبيل تحقيق حلمهم في دولة من الفرات إلى النيل.

---

(١) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الحضارية للصراع الحضاري/ الطبعة الثانية (قطر: مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م) ص٤٩-٥٠.

(٢) عبد العزيز بن مصطفى كامل حمى سنة ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى (الرياض: دار السليم للنشر ١٤٢٠هـ) ص٤٧-٤٨.

الفصل السادس

وسائل المستشرقين

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم وسيلة لأحكام الكيد للإسلام والمسلمين إلا سلكوها وفيما يلي وسائلهم:

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها واعتبار بعض الحوادث الفردية الإنسانية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد ونحو ذلك من تضليلات محرومة من المستوى الأدنى للأمانة العلمية.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلدانهم.

٣- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداء للإسلام يستطيعون أن يحركوا الأيدي الخفية لاستدعائهم إلى الجامعات العربية والإسلامية، يدرسون فيها ما تيسر لهم دسه من أفكار.

٥- نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الإسلامية وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم.

٦- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣م حتى الآن.

٧- إنشاء الموسوعة الإسلامية وقد أصدروها بعدة لغات وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام. ودس فيها السم بالدسم وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به. ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين المسلمين إذ يعتبرونها حجة فيما تورده من معارف[(١)].

إن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتنصير والإستعمار والعمالة الثقافية ويغذي عملية الصراع الفكري ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الإستعمارية على الشرق الإسلامي الذي يمد المنصرين والمستعمرين وأدوات الغزو الفكري بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره والقضاء على شخصية الحضارة التاريخية. لقد تطورت الوسائل وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ويكفي أن نشير إلى أن مراكز البحوث والدراسات سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات في الجامعات العلمية. وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانيات المادية أو المبتكرات العلمية والاختصاصات الدراسية تمثل الصور الأحدث في تطور الاستشراق، حيث يمكن أصحاب القرار من الإطلاع والرصد لما يجري في العالم يومياً.

ففي القارة الأمريكية وحدها حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامي، وظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم الإسلامي ومن ثم دراسته وتحليله مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ومتابعة العقائدية ثم مناقشته مع صانعي القرار. لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية وتحدد وسائل التنفيذ[(٢)].

لقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية في فرض شكليتها وآليتها على

---

(١) عبد الرحمن حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق - الإستعمار، مرجع سابق ص٩٨-٩٩.

(٢) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي - عبد العظيم محمود الديب، الطبعة الاولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الإسلامية، ١٤١١هـ) ص٨-٩.

التحقيق والتقويم والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي وعن طريق الاستشراق والمستشرقين بادرت إلى التحقيق والطبع والنشر لمجموعة من أكبر وأهم المصادر التراثية وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد، إلا أنها في النهاية وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافي[١].

لقد ظلت كتابات المستشرقين عن الإسلام المصدر الذي يستقي منه الأوروبيون معلوماتهم عن الإسلام. ويمكننا أن نقول أن الاستشراق يمثل الخلفية لقضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي فقد كان للاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام وفي تشكيل مواقف الغرب، إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة[٢].

إن تاريخ العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية عرف فترات حوار وتفاعل وفترات صدام وتطاحن والغزو الحديث للأمة الإسلامية جاء بالسيف والمحراث أو بعبارة أخرى جاء بالمدافع والنهب الاقتصادي ثم تلاه غزو فكري ارتكز على الثالوث المعروف الإستعمار والتنصير والاستشراق لأن غزو العقل يضمن له تأييد تبعيته له حتى بعد انتهاء الاحتلال العسكري وهكذا نصبح نحن نتبنى النموذج الغربي ونتخلى عن المرجعية الإسلامية في مشروعنا النهضوي في الحكم والإرادة والتشريع[٣].

لقد كان لأفكار المستشرقين وأعمالهم ووسائلهم صدى في العالم الإسلامي ولاسيما مصر.

يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي ورجع كثير من الجامعيين (يعني من أوروبا بعد البعثات) متشبعين بروح الغرب يتنفسون برئة الغرب ويفكرون بعقله

---

(١) المرجع نفسه ص١٥.

(٢) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الطبعة الأولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ١٤٠٤هـ) ص١٤.

(٣) الإسلام والغرب، مجموعة من الكتاب، الطبعة الأولى (الكويت، مجلة العربي، بدون تاريخ) ص١١٧.

ويرددون في بلدهم صدى أساتذتهم المستشرقين وينشرون أفكارهم ونظرياتهم في إيمان عميق وحماسة زائدة فلا يقرأ إنسان لعالم مستشرق في الغرب بحثاً ولا يعرف له نظرية إلا ويجد أديباً أو مؤلفاً يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص ويشرحها ويدعو إليها في كل لباقة وبلاغة مثل بشرية القرآن وفصل الدين عن السياسة وإن الإسلام دين لا دولة والدعوة إلى العلمانية والشك في قيمة الحديث العلمية وإنكار مكانته وحجيته ومكانة السنة في الإسلام والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل والدعوة إلى السفور وكون الفقه الإسلامي مقتبساً من القانون الروماني ومتأثراً به في روحه وسبكه والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام وتمجيد الفن الفرعوني والتغني بحضارته وأدبه وأمجاده والدعوة إلى العامية والتأليف فيها واقتباس الحروف اللاتينية والتقنين المدني الغربي على أساس القانون المدني الغربي والدعوة إلى القومية العربية والاشتراكية المادية والشيوعية الماركسية أحياناً[1].

من خلال إنتاج المستشرقين من كتب وأفكار يستقي الإنسان الغربي معلوماته عن الإسلام وكذلك من كتابات المختصين في هذا المجال من فلاسفة وأدباء وهم كذلك يبنون معلوماتهم على ما ينتجه المستشرقون. إنتاج المستشرقين المقدم من خلال وسائلهم يعد من الغزو الثقافي والغزو الثقافي عبارة عن السيطرة على العقل والقلب والوجدان ويرى العديد من الدارسين أن التحديات الثقافية التي تواجه الأمة أشد خطراً وبلاء من التحديات العسكرية من حيث:

١- إن الغزو الثقافي يتميز بالشمول والامتداد والدوام وهو غزو لا يحده ميدان فيشمل شعب الحياة كلها الفرد والأسرة والمجتمع ويتسلل منه خلال التعليم والإعلام والنوادي والتنظيمات أما الحرب العسكرية فإن أمرها ينتهي بمجرد تحقيق الانتصار العسكري وتحقيق الغلبة على المهزوم.

٢- إن الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف إستعمارية دون الرغبة من

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الطبعة الأولى (لبنان، دار الندوة للتوزيع ١٩٦٥م) ص١٣٠-١٣١.

الشعوب المستعمرة أما الغزو الثقافي فقد ينطلي بنعومة ويتسلل بخفاء دون إدراك من الأمة المهزومة ثقافياً فتسير إلى غازيها عن طواعية وإلى جازرها عن رضا واقتناع وحب ولا تحاول التمرد أو الخلاص.

٣- إن استسلام الأمة المستهدفة فكرياً وثقافياً لهذه التحديات والمؤثرات قد يصل إلى درجة انقلاب المعايير والمفاهيم والقيم فتتشكل لديها أنماطاً جديدة في السلوك والأخلاق والأذواق تجعل المهزوم يفخر بتبعيته للغازي ثقافياً وفكرياً بدلاً من أن ينهض لمقاومته ورده ودماره[١].

لقد ترك المستشرقون آثارهم واضحة في ميدان التفكير، نجد المستشرقين وعلماء الغرب الذين كرسوا حياتهم على دراسة العلوم الإسلامية ويملكون إعجاب الأوساط العلمية في الشرق والغرب وإجلالها وتقديرها، ويقام لآرائهم ونظرياتهم في البحوث في الشرق وزن كبير آثاروا في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه ممن تثقفوا في مراكز الغرب الكبرى أو درسوا الإسلام بلغات الغرب شبهات حول الإسلام ونبي الإسلام والمصادر الإسلامية وأحدثوا في نفوسهم يائساً عن مستقبل الإسلام ومقتاً على حاضره وسوء ظن بماضيه، كما كان لهم سهماً كبيراً في الحث على نصرة (إصلاح الديانة) وإصلاح القانون الإسلامي[٢].

من خلال وسائلهم وجد في مصر كتاب وأدباء دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية واتخاذها مثلاً أعلى في الحضارة والاجتماع وكانت مصر ببقائها تحت الاحتلال الغربي مدة طويلة وبحكم قربها من أوروبا وبفقد الدعوات الدينية التجديدية المؤسسة على النقد العلمي، تزداد انصياعاً بالحضارة الغربية كل يوم، وتتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً حتى كادت تصبح في الطبقة المثقفة والارستقراطية صورة من الحياة الغربية واستطاع الدكتور طه حسين في سنة

(١) محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م) ص٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق ص١٩٣.

١٩٣٢م أن يصور بلده تصويراً غربياً ويقول في كتابه المشهور (مستقبل الثقافة في مصر) حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوروبية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا المثل الأعلى للمصري في حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية.

وحياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة، نظام الحكم عندنا أوروبي خالص عن الأوروبيين نقلاً غير تحرج ولا تردد وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية، التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، ووضعنا مناهجه على النحو الأوروبي الخالص ما في ذلك شك ولا نزاع. نحن نكون أبنائنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة. كان هذا من نتائج تغلغل الأفكار والثقافة الغربية في الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي وسيطرتها على التفكير والمشاعر[1].

---

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق ص١٣٣-١٣٤.

الفصل السابع
مناهج المستشرقين

الانحراف العلمي هو طابع الكثير من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام فالكثير من النظريات والآراء التي يقولون بها مبنية على افتراضات لا أساس لها وتخمينات لا سند لها[1].

ونسبة لأهمية التاريخ وأثره في الأمة اتجه المستشرقون إلى التاريخ حتى جاءت معظم أعمالهم في مجال التاريخ ونعني التاريخ بمعناه العام التاريخ السياسي والتاريخ الحضاري والاجتماعي وتاريخ الفرق والمذاهب والفكر والفن والعلم وتاريخ الرجال والطبقات ومعاجم البلدان وفي اهتمام المستشرقين بالتاريخ وتوظيفهم له واعتمادهم عليه لتحقيق مآربهم اتخذوا مناهج تؤدي بهم إلى ما يريدون[2].

فهم في منهجهم يعتمدون على العقل وحده بل على المنهج التجريبي الذي لا يرى سوى الحواس مصدراً وحيداً للمعرفة[3].

والاستشراق في دراسته للإسلام لا يصدر عن فكر حر منصف وإنما يندفع

(١) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٧٨-٨٩.

(٢) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى) قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ١٤١١هـ) ص٥٨.

(٣) المرجع نفسه ص٣٤٤.

أساساً من الحقد والكراهية والحكم السابق على الإسلام أنه من صنع محمد ﷺ وأصحابه وأنه دين غير صالح لمجابهة أمور الحياة[١].

يعتمد جمهور المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الشريعة الإسلامية على منهج غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوقة فما أدت إليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي ينبغي له اعتمادها والأخذ بها. إلا أن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لأثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية ومن ثم يقعون في مفارقات عجيبة، لو لا الهوى والغرض والمرض لرأبوا بأنفسهم عنها، وكثيراً ما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، ويقيسون المسلم الذي يؤمن بالله ويخشاه على الذين لا تردعهم روادع دين ولا خلق قويم ويعتبرون أن كل سلوك المسلمين أفراداً وجماعات لابد أن يفسر بالأغراض الشخصية والنوازع النفسية الدنيوية، وأن أي دافع ديني أخروي يبتغي به وجه الله لا وجود له عندهم إلى غير ذلك من موازين ساقطة في نظر أي باحث علمي يخلص للحقيقة ويحترم منطقه وعلمه[٢].

وأصبح منهج الاستشراق هو السائد في دول الغرب وعندما يتم إيفاد طلبة من البلدان الإسلامية إلى الخارج للحصول على مؤهلات جامعية عليا كالماجستير والدكتوراه في العلوم العربية كان المستشرقون ومنهم اليهود - يشرفون عليهم ويوجهونهم في أبحاثهم وكانوا يفرضون عليهم الموضوعات، ويأبون أن يدرس الطالب كما يريد وكانوا أيضاً لا يسمحون لأي طالب بالخروج عن الآراء الاستشراقية وبل يرفضون أن يهاجم الطالب هذه الآراء أو يناقشها أو يكشف عن زيفها وبطلانها، وترتب على هذا أن تبنت طائفة من المثقفين المسلمين آراء

(١) الإسلام والفكر الغربي، أحمد عبد الحميد الشاعر، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الطباعة المحمدية ١٩٨٦م) ص٣٤٢.

(٢) عبد الرحمن حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة، مرجع سابق ص٩٩-١٠٠.

المستشرقين، أصبحوا حماة لها يزودون عنها ويدعون إليها، ولاسيما في مجال التدريس الجامعي، مما ينجم عنه ما يمكن أن يسمى بالاستشراق العربي، وهو بلا ريب أخطر من الاستشراق الغربي[١] والاستشراق في دراسته للإسلام لا يصدر عن فكر حر منصف وإنما يندفع أساساً من الحقد والكراهية والحكم السابق على الإسلام أنه من صنع محمد ﷺ وأصحابه وأنه دين غير صالح لمجابهة أمور الحياة[٢].

لقد ركز المستشرقون دراستهم على التاريخ الإسلامي وذلك لأهمية التاريخ تشمل دراستهم التاريخ الإسلامي بمعناه العام أي كل تحركات المجتمع في كافة المجالات، وكانت لهم مناهج تناولوا بها التاريخ الإسلامي ذلك أن التاريخ الإسلامي الذي اهتم به المستشرقون هو تاريخ المجتمع الإسلامي كله. وقد أورد الدكتور عبد العظيم محمود الديب في كتابه المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي دراسة عن منهجهم لدراسة التاريخ الإسلامي وأورد ملامح هذا المنهج من حيث الشكل ومن حيث الشروط والالتزام بالقواعد كما يلي:

١- المنهج من حيث الشكل الخارجي.

٢- المنهج من حيث الشروط والالتزام بالقواعد.

وفي النقطتين تفصيل يوضح كيف استخدم المستشرقون مناهجهم الخاطئة في النيل من الإسلام ومن التاريخ الإسلامي لتحقيق أغراضهم في محاولة التشويه والتشكيك في كل التراث الإسلامي. وهناك ملامح لمنهج المستشرقين من حيث الشكل الخارجي وهي:

أ- الاهتمام بالفرق والصراع بينها وعوامل نشأتها ومحاولة إثارة أخبارها ووضعها في بؤرة شعور المسلم ولدى الأمة الإسلامية، وتلك مكيدة كادها أسلاف لهم من قبل، حين جلس زيال اليهودي يحكي أخبار، يوم بعث بعاث حتى أوقد نار العداوة بين الأوس والخزرج من جديد وكادت تكون فتنة لولا أن تداركها النبي ﷺ.

---

(١) محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، مرجع سابق ص٥٣.

(٢) أحمد عبد الحميد الشاعر، الإسلام والفكر الغربي، مرجع سابق ص٣٤٤.

ب- العناية بتاريخ الزندقة والزنادقة وإبرازهم في صورة أصحاب الفكر الحر وقادة الفكر وأن يقللوا ويزهدوا في تاريخ أبطال الإسلام الحقيقيين.

ج- القفز وراء التاريخ الإسلامي والاهتمام بالتاريخ القديم لأقاليم دار الإسلام إحياء للفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ونحوها إثارة للنعرات الإقليمية وتمزيقاً لجسد الأمة الإسلامية. وقد بذلوا جهوداً مضنية في سبيل البحث والتنقيب والدراسة والإشادة بهذه الحضارات البائدة والتنويه بشأنها وإغراء كل إقليم بماضيه القديم.

د- تمزيق تاريخ الأمة الإسلامية، طولاً وعرضاً بتقسيمه طولاً إلى تواريخ أسر، الأموية والعباسية والمماليك.. الخ وعرضاً إلى تواريخ أقاليم لإثارة عوامل الفرقة ومظاهر الاختلاف ومؤكداً إياها ومذكراً بالصراعات والخصومات على حين الأصل في التاريخ الإسلامي أن يدرس - إذا أردنا دراسة علمية منهجية صحيحة - على أنه صراع بين المسيحية الشمالية المعتدية التي جاء الإسلام ووجدها مسيطرة على الشام ومصر والشمال الأفريقي واندحرت تحمل ذل الهزيمة ونار الحقد والثأر في قلبها ثم جهاد الإسلام لفتح الأندلس ومحاولات فتح القسطنطينية والدخول إلى قلب أوروبا، ولذا نشأت أجيال لا تعرف التاريخ الإسلامي إلا من خلال دراسة المستشرقين وتقديم سيئ لأنصع صفحات التاريخ الإسلامي بأسوأ طرح عرفه التاريخ الإسلامي وأصبح الجيل الإسلامي يمقت التاريخ الإسلامي ويتخيله ساحة مظلمة سيطر عليها الجهل والطغيان والقتل والظلم الاجتماعي(١).

هـ- اختزال تاريخ الإسلام والمسلمين: كتب كثيرة في تاريخ العالم أو تاريخ الحضارة الإنسانية تم تأليفها فكان مؤلفوها من الغربيين يختزلون تاريخ الإسلام والمسلمين اختزالاً يوحي بقيمته ومكانته في نفوسهم، بل يوحي بانحراف منهجهم وسوء قصدهم. أما منهجهم من استكمال شروطه والالتزام بالقواعد تتضح سماته والمآخذ عليه من ما يلي على وجه الاختصار:

---

(١) عماد الدين خليل، فصول في المنهج والتحليل ص١٩٧.

أ- الخضوع للأهواء وعدم التجرد ذلك لأن شرط المنهج الأول وأساسه التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها وإذا لم يكن ذلك فهذا ليس علماً وليس بحثاً.

ب- عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة: من شروط المنهج إدراك اللغة والإحاطة بأسرارها وكذلك الثقافة وتاريخها وعقائدها... الخ وهذا لم يتوفر للمستشرق.

ج- التعسف في التفسير والاستنتاج: حيث يميل المستشرق بالنص مع هواه حتى ولو فهمه والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابات المستشرقين.

د- التفسير بالإسقاط: وهو إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ. يعمدوا إلى تفسير هذه الأحداث على ضوء خبراتهم وتجاربهم ومشاعرهم.

هـ- منهج العكس: وهو منهج بين الفساد وهو ما يسمى بالمنهج المقلوب حيث يضع الباحث النتائج مقدماً ثم يسوق البحث حسب هواه ليقوده إلى هذه النتائج يقول أحد المستشرقين الذين أسلموا: إن منهج العكس هو ذلك المنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيلغيها معتمداً إلى عكسها.

و- التشكيك في الدليل القاطع والتعامي عنه: عندما يكون الدليل قائماً على الرأي أو الحكم الذي لا يوافق هوى المستشرق تجده يتعامى عنه ويتجاهله ويشكك فيه، حتى لو كان صحيحاً بين الصحة.

ز- التحريف والتزييف والإدعاء: ومن ذلك أن يعمد الكاتب إلى حذف كلمة من عبارة يستشهد بها أو يزيد كلمة أو يغير كلمة أو ينفي وجود نص موجود...الخ

ح- إصدار أحكام قاطعة بغير دليل أصلاً: ولهم مهارة فائقة في هذا المجال حيث يصدرون أحكاماً بصورة قاطعة لا تردد فيها ولا احتمال وفي جمل قصيرة وموجزة بدون حشو أو تطويل يوحون بذلك للقارئ أن المسألة مفروغ منها.

ط- الاختلاق والتمويه: مفهوم هذا أن الكاتب يشير إلى مصادر أخذ عنها

ورجع إليها وهي أساساً غير موجودة ولهم في ذلك أساليب وتمويهات[1].

منهج المستشرقين لتناول التاريخ الإسلامي العام منهج منحرف وفاسد وتكفي الأدلة التي تقدمت على فساد هذا المنهج وعدم موضوعيته من حيث الشكل وترتيب المواضيع الإسلامية ومن حيث أنه منهج غير ملتزم ولا قواعد له وهذا هو الأغلب في كتابات المستشرقين إذا استثنينا بعض الكتاب من المستشرقين الذين درسوا التراث الإسلامي دراسة علمية من أجل المعرفة العلمية والتعرف على الإسلام وهؤلاء أقلة.

(١) انظر عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ص٥٩-١٢٠ بتصرف.

الباب الرابع

الإستعمار

يحتوي هذا الباب على ستة فصول كما يلي:

- الفصل الأول: تعريف الإستعمار
- الفصل الثاني: العالم الإسلامي والإستعمار
- الفصل الثالث: من أفكار الإستعمار
  - أ - العلمانية
  - ب- الديمقراطية
- الفصل الرابع: الصلة بين الإستعمار والتنصير والاستشراق
- الفصل الخامس: آثار الإستعمار على المجتمعات الإسلامية
- الفصل السادس: العالم الإسلامي في مواجهة مخططات الإستعمار

الفصل الأول

تعريف الإستعمار

الإستعمار ظاهرة قديمة واكبت الحضارات القديمة والإمبراطوريات، وفي الغرب ظهر الإستعمار بظهور الدولة القومية الحديثة كما ظهر في عصر الارتياد والاستكشاف، ويقتصر الآن معنى الإستعمار على هذا اللون من الإمبراطوريات، فبرزت سيادة أوروبا بالاستحواذ على مستعمرات تقطنها شعوب استذلت بالقوة واغتصبت أراضي أهلها الوطنية.

الإستعمار يعني مد النفوذ السياسي لدولة ما إلى دولة أخرى هو ما اتفق عليه الباحثون واختلفوا فيما بعد ذلك. فقال فريق أن هذا النفوذ لابد أن يصحبه احتلال عسكري وقد يكون النفوذ السياسي سابقاً لهذا الاحتلال العسكري أو لاحقاً. ويذكر آخرون أن الإستعمار لا يحمل هذا الاسم إلا إذا توفرت ثلاثة شروط هي امتداد النفوذ، الاحتلال العسكري، الهجرة الجماعية(١).

ونستطيع أن نعرف الإستعمار بأنه قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية على شعوب وأقاليم أجنبية عنها. غير راغبة في التبعية المفروضة عليها... ويصحب السيطرة الإستعمارية قيام الدولة المستعمرة باستغلال هذه الشعوب. وفي معنى آخر هو الرغبة الجامحة في امتلاك البلاد غير الأوروبية واستيطان البيض فيها أو بسط النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي بقوة السلاح

---

(١) في الغزو الفكري، نزير حمدان (الطائف: مكتبة الصديق) ص٢٦٨

في بعضها... وكلمة إستعمار من الكلمات التي سادت في القرن التاسع عشر وما يعادلها اليوم فهي كلمة الإمبريالية[١].

والإستعمار أنواع ١- إستعمار سكني، ٢- إستعمار لإيجاد مراسي بحرية. فمثلاً إيطاليا تبغي إستعمار الحبشة ليسكنها ملايين الإيطاليين ويعملون فيها. كما يعملون في بلادهم التي أصبحت تضيق بهم وأكثر الإستعمار الإنجليزي للاستغلال والمواصلات والمراكز الحربية لتوريد الفحم للبواخر غير أن بريطانيا استعمرت أستراليا وكندا ونيوزلندة لإسكان المهاجرين الإنجليز الذين أصبحوا سكانها. لقد أقام الأسبان والبرتغاليون إمبراطوريات تجارية، أما البريطانيون والفرنسيون فشيدوا إمبراطوريات استيطان وكان الدافع الأكبر لهذه الحركة انتشار المذهب التجاري في بدء النهضة الحديثة لتوسيع نطاق التجارة واحتكار حاصلات المستعمرات واستغلال مواردها الطبيعية. واتجهت روسيا نحو الشرق والولايات المتحدة اتجهت نحو الجهات الغربية ولم تدخل ألمانيا وإيطاليا واليابان الإستعمار إلا في القرن التاسع عشر[٢].

كما يعني الإستعمار امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى على أن يصحب هذا النفوذ ضياع للشخصية المعنوية للدولة التي امتد إليها النفوذ واستغلال للأراضي والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ[٣].

يمكننا أن نأخذ أهداف الإستعمار من إستعمار أفريقيا كنموذج لأهداف ودوافع الإستعمار في البلدان الأخرى ذلك أن الاختلاف من قارة إلى أخرى يظل من حيث الأهداف ضئيلاً.

لقد تكالب الإستعمار على القارة الأفريقية وهي القارة التي لم تقع في قبضة الإستعمار قبل ١٨٨٠م.

---

(١) أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث، الطبعة الأولى (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١م) ص١٠٧

(٢) نزير حمدان، في الغزو الفكري، مرجع سابق ص٢٦٣

(٣) المرجع نفسه ص٢٦٩

وفي الفترة من ١٨٨٠م - ١٩١٤م شمل الإستعمار كل القارة ما عدا الحبشة وكانت لهذا الإستعمار دوافع وأهداف وهي دوافع عامة ولكن جعلها الدكتور محمد إبراهيم دياب في كتابه - لمحات من تاريخ أفريقيا الحديث - كأنها خاصة بقارة أفريقيا لكن في تقديرنا أنها دوافع وأهداف عامة نورد هذه الدوافع والأهداف عن الكاتب المتقدم والكتاب.

أولاً: الدافع الديني:

انتهى الصراع بين المسلمين والإمارات المسيحية في شبه جزيرة ايبريا (الأندلس) أسبانيا، بخروج المسلمين منها نهائياً سنة ١٤٩٢م فأصبحت الأندلس بالنسبة للمسلمين الفردوس المفقود وبعد الانتصار المسيحي اتجهت القوات الأسبانية والبرتغالية إلى الساحل الأفريقي المقابل حيث سقطت بعض المدن الإسلامية الساحلية في أيدي الأسبان وحملت الأندلس لواء حركة دينية جديدة بهدف تطويق القوى الإسلامية والاتصال بملك الحبشة المسيحي للاشتراك في حركة تطويق الدولة الإسلامية والقضاء على مصدر قوتها الذي يتمثل في تجارة الشرق والسيطرة على شرايين الملاحة المؤدية إلى مصادر هذه التجارة. والدليل على أن الدافع الديني وراء الحركات الإستعمارية المبكرة في ذلك الوقت أن البابوية باركت تلك الحركات، بل بادرت بالتدخل لفض النزاع الأسباني البرتغالي وأدركت القوى الإسلامية الهدف من وراء هذا النشاط الإستعماري ومن ثم تصدت مصر المملوكية للعمل ضد الإستعمار البرتغالي وضد البرتغال ونشاطها ولكن هزمت البرتغال الأساطير المصرية في معركة ديو البحرية سن ١٥٠٩م واستأنفت الدولة العثمانية بعد دخول المشرق والمغرب الإسلامي الجهاد ضد البرتغال وأسبانيا وفرسان القديس والعامل الديني لم يكن إلا ستاراً أو تغطية لإقامة المستعمرات الأوروبية في أفريقيا وفي غيرها وكان الهدف منه هو اتخاذه وسيلة لتبرير الإستعمار وقد ثبت على مر الأيام أن الأمر لم يخرج من قناع يغطي به الإستعمار وجهه القبيح القميء.

ثانياً: الدوافع الاقتصادية:

كانت الثورة الصناعية تمضي بخطى سريعة نحو الازدهار الأمر الذي جعل الحاجة إلى المستعمرات ملحة جداً. وفي هذا يقول هويسن الاقتصادي البريطاني (إن الإستعمار كان يعزي إلى قوة اقتصادية جديدة كانت تعمل في معظم الدول الصناعية في أواسط أوروبا وغربها... وأن الدافع الحقيقي دائماً كان الجشع إلى المواد الخام الرخيصة والأسواق ومجال الاستثمار. ويواصل حديثه حيث يصل إلى أن هناك رأسمال فائض بحاجة إلى استثمار وقد تراكم هذا الفائض نتيجة للادخار الكثير إذن الإستعمار كان لحد كبير نتيجة لضرورة اقتصادية ذلك لأن التصنيع في الدول الكبرى وعلى الخصوص في كل من بريطانيا وألمانيا بعد وحدتها قد نتجت عنه مشاكل نذكر منها:

أ - ضرورة وجود أسواق لبيع الفائض من الإنتاج وذلك لأن الإنتاج بعد استعمال الآلات الحديثة أصبح إنتاجاً غزيراً أكثر من حاجة المنتجة.

ب- أدت الثورة الصناعية إلى تركيز الصناعات في المدن مما أدى بدوره إلى هجرة القرويين للمدن تاركين المزارع مما نتج عنه نقص في المواد الغذائية لسكان المدن الصناعية الذين ازداد عددهم.

ج- أحست الدول الصناعية بحاجتها الملحة إلى المواد الخام التي يوجد معظمها خارج أوروبا.

كانت هناك صعوبة في بيع المصنوعات في السبعينات من القرن التاسع عشر مما دعاها إلى إيجاد أسواق محتكرة لها لا ينافسها فيها أحد وكذلك إيجاد عملاء تجاريين في الخارج. لقد وجدت الدول الأوروبية حل مشكلاتها هذه في أفريقيا وآسيا حيث الأسواق المستهلكة لفائض الإنتاج والمواد الخام من مطاط وبترول وذهب وقطن وحديد وغيره ومواد غذائية. وكان أصحاب رأس المال يطالبون حكوماتهم في إلحاح شديد بامتلاك المستعمرات.

وقد أشار أحد المؤرخون إلى أن دوافع الإستعمار الأوروبي منذ عام ١٨٨٠م لم تكن هي الحصول على المواد الخام والأسواق فقط بل ترجع إلى ارتفاع الرسوم

الجمركية المستمر بين الدول الأوروبية بعضها البعض، حيث قامت بعض الدول على تدعيم اقتصادها بوضع الحواجز والقيود على بضائع غيرها لتشجيع إنتاجها المحلي بزيادة دخل الدولة.

ثالثاً: دوافع إستراتيجية:

التضامن بين انجلترا وفرنسا في أواخر القرن الثامن عشر في مستعمرات الدنيا الجديدة ومشكلات البحر المتوسط وتقسيم الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض) بين الدول الأوروبية كل هذا جعل بعض الأماكن مراكز هامة من الناحية الإستراتيجية فالجزائر هي أول إستعمار لأفريقيا في العصر الحديث من قبل دولة أوروبية ولعل الدافع الاستراتيجي من أهم الدوافع التي دفعت فرنسا في احتلالها لعام١٨٣٠م. فسواحل الجزائر تواجه الساحل الفرنسي على البحر المتوسط. وإنجلترا عدو لفرنسا ولها نفوذ في تركيا ومنطقة شرق البحر المتوسط ومصر وبالطبع تذرعت فرنسا بسبب آخر صوري ولم تشر للدافع الحقيقي الكائن وراء شعور فرنسا بأهمية موقع الجزائر وأهمية احتلالها لها في صراعها مع انجلترا. ويقال هذا عن أماكن أخرى في شرق القارة وغربها، بل وفي داخل القارة.. والمتتبع للسياسة البريطانية في حوض نهر النيل يلمس أثر الناحية الإستراتيجية في كل صفحة من صفحات هذه السياسة.

رابعاً: دوافع إنسانية:

اعتقد بعض الأوروبيين أن من واجبهم أن يأخذوا بأيدي الأفريقيين البدائيين والآسيويين المتخلفين وأن يغيروا نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى يسايروا ركب المدنية الحديثة. وذهب البعض إلى القول بأن الإستعمار ما دام بالمدينة وقوانينها. فعلى الأوروبيين أن يضحوا براحتهم لنشر هذه النعم بين المحكومين.. وقد أطلق على هذه الفكرة مسئولية أو عبء الرجل الأبيض ولكن لورد اوليفر عضو مجلس اللوردات البريطاني كان صريحاً وواقعياً حين قال (ليس ثمة أمة استعمرت بلداً من أجل الإنسانية وحب الخير لأهله).

خامساً: الأوضاع الداخلية لدول أوروبا:

كانت عوامل قوة لتخرج إلى ميدان الإستعمار، كما كانت عوامل نفسية صاحبت الأوضاع الداخلية السيئة آنذاك ومن العوامل النفسية حب الاقتناء وإظهار القوة.

سادساً: تكوين المستعمرات السكنية:

صرحت بهذا الهدف كل من فرنسا وألمانيا إذ تعد المستعمرات كمصرف للزائد من السكان وتحدث الكتاب عن نوعين من المستعمرات، المستعمرات السكنية بغرض الإقامة الدائمة والمستعمرات الاستغلالية للأغراض الاستثمارية[١].

(١) انظر أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث، الطبعة الأولى (الرياض: دار المريخ ١٩٨١م) ص١٠٩- ١١٤

الفصل الثاني

العالم الإسلامي والإستعمار

كان احتلال بريطانيا لمصر بداية التكالب على قارة أفريقيا (ذات الأغلبية الإسلامية) ذلك لأن هذا الإستعمار والاحتلال دفع الدول الأوروبية نحو القارة في محاولة لبسط نفوذها على بعض المناطق الإستراتيجية حفاظاً على توازن القوى. لقد كان احتلال مصر مقدمة لمرحلة التكالب وفاتحة عهد جديد في التاريخ القارة الأفريقية وإيذاناً بموجة إستعمارية أدخلت القارة في حسابات القوى الكبرى، ولم تتوقف عمليات التوسع الأوروبي وعمليات الإستعمار إلا بعد تقسيم القارة إلى تلك الوحدات القومية التي تعيش القارة في ظلها حتى يومنا هذا[١].

لقد كان الصدام بين المسلمين والمسيحية ظاهرة بارزة في تاريخ أفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر ولم يتوقف الصدام حتى قيام الحرب العالمية الأولى، ومن هنا تظهر قيمة الكفاح الأفريقي المسلح وتتضح الجهود التي بذلها الأفارقة وقواد الجهاد الإسلامي في مقاومة هذه الهجمة الإستعمارية على كل أرجاء القارة وخصوصاً في أفريقيا جنوب الصحراء بين زعماء المسلمين وقوى الدول الأوروبية التي كانت تسعى لوضع أسس الاحتلال الفعلي موضع التنفيذ[٢].

وفي قارة آسيا تم للإنجليز الاستيلاء على الهند سياسياً وانتقلت سلطة الحكم

---

(١) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والإستعمار الأوروبي لأفريقيا (الكويت: المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م) ص١٧

(٢) المرجع نفسه ص٢٨

رسمياً من شركة الهند الشرقية (التي أسست في ٢١ ديسمبر ١٦٠٠م والتي انضمت إلى شركة أخرى جديدة في سنة ١٦٨٩م إلى التاج البريطاني) وزالت بذلك إحدى الدول الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس الميلادي وهي دولة المغول في الهند أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمور لنك) مؤسس هذه الإمبراطورية الإسلامية في آسيا الوسطى. أما الدولتان الأخريان إذ ذاك فهما الدولة الصفوية في إيران ودولة الأتراك العثمانية في آسيا الصغرى وشرقي أوروبا. كما تم في السنة نفسها وهي ١٨٥٧م استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء بعد أن ابتدأوا غزوها سنة ١٨٣٠م. ومن قبل هاتين الدولتين الإستعماريتين انجلترا وفرنسا احتلت هولندا في بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية عن طريقة شركة الهند الهولندية التي تأسست ١٦٠٢م. ذلك بعد ما ضاع استغلال البرتغال بإعلان ملك أسبانيا ضمها إلى بلاده في سنة ١٥٨٠م تلك الدولة التي عبدت الطريق الإستعماري الغربي المسيحي في وسط آسيا وشرقها في الهند وفي اندونيسيا سنة ١٥١١م والتي حصل ملكها من البابا إسكندر على صك رسمي بأن البرتغال سيدة بحار العرب والعجم والهند والحبشة، تقسيم واضح لبلاد المسلمين على دول الغرب الإستعماري وتمهيداً لاحتلال العالم الإسلامي، فبعد قرنين ونصف أي منذ بادية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمكن الإستعمار الغربي المسيحي من السيطرة سيطرة كاملة على المسلمين في وسط آسيا وشرقيها واتخذ نقطة ارتكاز لتمدده من أفريقيا، كما تمكن من مد نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي ومركزه الرسمي في منطقة الشرق الأدنى وبذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين، فوهنت هذه التجمعات الإسلامية الأخرى بين الطرفين. فوهنت هذه التجمعات وانحل عقدها وسقط بعضها أثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي وما جاءت الحرب الأولى وانقضى أجلها حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر[١].

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، الطبعة الحادية عشر (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٥م) ص٢٣ -٢٤.

لقد حاول الإستعمار أن يحتل العالم الإسلامي وقدمت جيوش الاحتلال العسكري إلى العالم الإسلامي تقودها عقليات البربرية الصليبية فهي تتمتع بوافر كبير من الدهاء والحقد والخبث وهي تعرف سلفاً لها مهمة أعظم من مهمة أجدادها، وإن نجاح هذه المهمة يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة، وقد قطفت أولى ثمرات الخطة عندما استطاعت أن تحارب جيوش الدولة الإسلامية العثمانية بأناس ساروا في ركاب القائد ألنبي حتى فتح القدس واستولى عليها وهي أول حرب صليبية في التاريخ يكون قوامها مغفلون منتسبون إلى الإسلام وبمقتضى اتفاقية (سايكس بيكو) توزعت عساكر الصليبيين الجدد العالم الإسلامي عدا أجزاء قليلة وابتدأت دوائر الإستعمار تنفيذ مخططها المرسوم من جهود تتمثل فيما يلي:

١- القضاء على الحركات الجهادية كحركة المهدي في السودان وحركة محمد عبد الله الحسن في الصومال وعمر المختار في الجزائر وعبد الكريم الخطابي في المغرب العربي وإسماعيل الشهيد في الهند أما في العصر الحديث فقد أعدم الإمام حسن البنا القائد المعروف وذلك بعد أن عجزت المخططات عن احتواء دعوته. ثم ضربت الحركة التي قادها حسن البنا بطريق مباشر وغير مباشر.

٢- إلغاء المحاكم الشرعية وإحلال القوانين الوضعية محلها. لا تكاد الجيوش الخاصة بالاحتلال تضع أقدامها على أرض إسلامية حتى تبادر بهذا العمل لأنهم يدركون نتائجه البالغة، وأول قطر بدأ بإلغاء الشريعة هو الهند وحتى سنة ١٧٩١م كانت الشريعة هي القانون العام فيها ولكن الإنجليز تدرجوا في إلغائها حتى تم ذلك في أواسط القرن الماضي، يلي ذلك الجزائر التي بدأ إلغاء الشريعة فيها عقب الاحتلال ١٨٣٠م. وفي مصر التي أدخل إسماعيل (عميل فرنسا) القانون الفرنسي فيها ولم تأت ١٨٨٣م حتى كان نصيب الشريعة الإسلامية لا يتجاوز الأحوال الشخصية إلا قليلاً. ثم تونس أما بلاد العراق والشام فقد تأخرت بسبب تبعيتها للقضاء العثماني الذي يعتمد على مجلة الأحكام العدلية ولم تلغ الشريعة إلا بعد إلغاء الخلافة وثبوت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها.

٣- القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية أدرك المستعمرون أن

أعظم وسيلة لإبعاد المسلمين عن دينهم هو أن يكونوا جهلاء به واتعظوا بمصير (كليبر) الحاكم الفرنسي لمصر أيام الاحتلال الفرنسي لمصر أيام احتلال نابليون وقد قتل (كليبر) على يد الطالب الأزهري سليمان الحلبي، وبما ذاقوه من مقاومة في الهند والمغرب تزعمها علماء الشريعة وطلابهم، فوضعوا المخططات الماكرة لتقليص التعليم الديني تدريجياً وإحلال التعليم اللاديني محله وأشهر هذه المخططات كانت مخططات كرومر ودنلوب في مصر الذي أنتج سياسة بعيدة المدى دقيقة الخطى في القضاء على الأزهر ومعاهدة وكتاتيب القرآن ووضع نموذجاً خبيثاً للدس على الإسلام وتشويه تاريخه خلال المنهج التعليمي ولا أدل على ذلك من نجاح هذه الخطة من بقاء آثارها في مصر والدول العربية والإسلامية عامة. وفي العراق وضع المستر (كوك) خطة مماثلة حولت العلماء إلى موظفين بمديرية الأوقاف بحجة تنظيم الأوقاف إدارياً ومنهجياً، وتم القضاء على التعليم الديني الذي كان يعيش على أموال الأوقاف بل أقفلت الجوامع التي كان القرآن يحفظ فيها. وفي المغرب كان الفرنسيون يحولون الجوامع والزوايا إلى اصطبلات للخيول ومخازن للأسلحة بعد طرد طلابها. في الوقت الذي كان فيه التعليم اللا ديني يدعم بكل وسيلة. وبلغ هذا العمل قمته بالجامعات والكليات التي بنيت في اسلامبول والقاهرة وبيروت ولاهور وغيرها لا دينية صرفة.

٤- استخدام الطوائف غير الإسلامية وإحياؤها وهذه الخطوة من أخبث الخطوات وأعمقها دلالة فحيثما حل المستعمرون يقومون ينبش العقائد الميتة أو تنظيم الطوائف غير الإسلامية ويمهدون لها السبل لتولي المناصب المهمة مستثمرين حقدهم على المسلمين بالزعم بأن الفتح الإسلامي كان إستعماراً لهم وأن المسلمين متعصبون ضدهم... الخ. ففي بلاد الشام تعهدت فرنسا بدعم النصارى وسلمتهم الوظائف العليا ونظمت فلولهم في جمعيات ومؤسسات عسكرية ومدنية، وعند إنشاء الجامعة السورية - مثلاً - عينت لها مديراً نصرانياً هو قسطنطين زريق أما الطوائف الباطنية فقد استطاعت بواسطة المستشرقين أن تبعث عقائدها وتنشر كتبها وسمى الفرنسيون النصيريين وطائفة النصيرية (علويين) واصطنعوهم عملاء لهم وحرضوهم على الالتحاق بالجيش حتى يحتلوا قيادته العليا وأخيراً

استطاعوا أن يتحكموا في الأكثرية المسلمة وأن ينظموا فرقاً عسكرية حديثة بهم.

وفي مصر أقيمت القضية نفسها (قضية التعصب على قدم وساق وتحت ستار اللا تعصب واللا طائفية) مكن للأقباط من بناء الكنائس والمدارس بكثرة وتولي المناصب الوزارية في الحكومة برعاية الإنجليز. وفي معظم دول أفريقيا خرج الإستعمار منها مخلفاً وراءه حكومة نصرانية تحكم شعوباً تصل نسبة المسلمين والإسلام في بعضها ٩٩٪.

أما الهند فقد تحول المسلمون فيها بعد الإستعمار من قوة حاكمة إلى أقلية ضعيفة ينهشها الإنجليز والهندوس والسيخ والبوذيون من كل جانب وهذا إلى غير الطوائف التي أحدثها الإستعمار لهدم العقيدة الإسلامية كالبابية والبهائية والقاديانية التي تتضح عمالتها له بمرور الأيام.

٥- اصطناع العملاء من أبناء المسلمين. وقد قدم المبشر زويمر هذه النصيحة في واحد من المؤتمرات (تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة واحد من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها) وليس أدل على ذلك من أن القوى التي حكمت العالم الإسلامي بعد رحيل الإستعمار لم تكن الحركات الجهادية التي جابهت الإستعمار والمستعمرين بل كانت أحزاباً وقوى مشبوهة تشهد أعمالها وآثارها بأنها جنت على الأمة الإسلامية ما لم يجنيه الأعداء السافرون مما يعطي الدليل الواضح على أن تنفيذ المخطط اليهودي وكل إليهم مع اختلاف في الأدوار وتنوع في الإخراج.

٦- تنفيذ توصيات المستشرقين والمبشرين والإشراف على إنجاح مهامهم وتذليل العقبات التي تعترض جهودهم. هذا غير الهدف الظاهر للإستعمار وهو إذلال العالم الإسلامي وتسخير أبنائه وثرواته لأطماع المستعمرين.

لقد بذل الإستعمار كل جهوده لإشاعة الفساد في المجتمع الإسلامي العظيم وزرع الشكوك في العقول الإسلامية وقتل الطموح في النفوس المسلمة وبث الفرقة والشقاق في الصف الإسلامي، حتى تعاونت كل أجهزة الإستعمار من دعائية وسياسية وفكرية واقتصادية لتحقيق أهداف الإستعمار في الدول الإسلامية التي منها:

١- شن الافتراءات على الإسلام وتشويه حقائقه تحت ستار العلم والبحث العلمي المجرد وزرع الشك في الجيل المسلم في صلاحية دينه لهذا العصر وزعمهم بأن الإسلام لا يتفق مع العلم وأكبر من قام بهذا الافتراء المستشرقون المتعصبون من قلم المخابرات في دول الإستعمار وهم جميعاً ما ندر منهم يدرسون الإسلام ليتصيدوا نواقصه بزعمهم ويكشفوا على تثبيت ما يتمكن به الإستعمار في ديار المسلمين وهذه وظائف كل من اشتغل بالاستشراق وعلوم الإسلام وتاريخ الإسلام يحاول الإستعمار أن يغلب الحقائق الإسلامية رأساً على عقب.

٢- تفكيك عرى الوحدة بين المسلمين تلك الوحدة الطبيعية الربانية التي أقامها الله بين المسلمين وجعل الحج والاجتماع حول البيت الحرام من أبرز مظاهرها ومن أقوى دعائمها وكانت أقوى العوامل في دحر الأعداء منذ الحروب الصليبية وقد عمل الإستعمار على بث الشعارات التي فرقت بين المسلمين ومزقت صفوفهم كالنعرة القومية مثلاً فقد حرضوا الأتراك بالقومية الطورانية ليضعفوا شأن الخلافة الإسلامية وهي آخر خلافة تجمع عليها الإستعمار من كل مكان وبهذه النعرة وتفريق شمل المسلمين يسهل على المستعمر القضاء عليها، كما بثوا في الفارسيين القومية الفارسية وفي المصريين القومية الفرعونية وفي السوريين القومية الفنيقية أو القومية السورية والقومية البربرية في المغرب المسلم حتى باكستان التي لم تتقدم ولم تقوم إلا بالإسلام يبثون فيها القومية الباكستانية بهذه القوميات كادوا يهدمون بناء الإسلام، وعمل الإستعمار على إنشاء قومية أفريقية ليقطع الصلة بين مسلمي أفريقيا وبين مسلمي العالم الإسلامي ثم بعد ذلك يسهل عليه إدخالهم في النصرانية وذلك بعد فشل جهود التنصير.

٣- لابد أن يغزو الإستعمار أذهان الشباب غزواً فكرياً بأشكال عديدة ومختلفة وكان أن غزا أذهان الشباب بالمبادئ التي تهدم الإسلام كالشيوعية والرأسمالية والاشتراكية، وقد اتفق المستعمرون مهما اختلفت سياستهم أن الإسلام لا يصلح أن يبقى في الوجود لأنه خطر على مصالح جميع المستعمرين.

ومن أهدافهم إشاعة الانحلال الخلقي في الشباب والفتيات فهم يزينون لهم الخروج على الآداب الإسلامية والأخلاق الربانية بحجة أنها رجعية وتخلف ويزينون

لهم الانحراف والانصراف إلى العبث واللهو والانحلال وفقدان المثل الأعلى وضياع الشخصية بحجة أن ذلك كله تقدم وتمدن وأنه علامة الرقي والحضارة والإستعمار يشجع ويمجد الأدب الإباحي والأدباء والشعراء الإباحيين والمغنيين والخليعين وغيرهم بكل أسباب القوة ويشيع مؤلفاتهم ويلقي عليها الأضواء حتى يجعلهم للشباب المثل الأعلى[1].

---

(١) محمد محمود الصواف، المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام، الطبعة الأولى (مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ١٦٥م) ص١٣٤-١٣٩

الفصل الثالث

من أفكار الإستعمار

(أ) ورقة عن العلمانية

المغالطة والتضليل هما مدخل الدعوة العلمانية إلى طرح أفكارها، والفهم والتنوير وكشف الخلفيات هي سبيل الرد عليها. أولى مغالطات العلمانية في ذلك الاسم الذي اشتهرت به والذي يوحي خطأ بنسبتها إلى العلم الذي أصبح من قوى هذا القرن (القرن العشرين) الكبرى والمنشودة بأي ثمن إن هذه الكلمة التي تنطق عادة بكسر حرف العين وسكون حرف اللام ترجمة ركيكة قام بها بعض نصارى الشام لكلمة SECULARISM بالإنجليزية ولها نظائر في لغات الغرب الأخرى، والنطق الصحيح لهذه الكلمة يكون بفتح العين وسكون اللام والكتابة الصحيحة هكذا (العالمنية)(١) والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي اللادينية أو الدنيوية لا بمعنى ما يقابل الآخرة فحسب بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.(٢)

لقد أوردت دائرة المعارف البريطانية المعنى (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها،

---

(١) محمد يحيى، ورقة ثقافية في الرد على العلمانيين، الطبعة الأولى (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥م) صـ١١

(٢) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية، الطبعة بدون (القاهرة: دار العلماء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م) صـ٢١

وذلك لأن الناس في العصور الوسطى كان لديهم رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر وفي مقاومة هذه الرغبة بدأت العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات البشرية والثقافية وبإمكانية تحقيق مطامعهم في هذه الدنيا القريبة. وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية يقول قاموس العالم الجديد: لوبستر شرحاً للمادة نفسها:

١- الروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ونحو ذلك ، على الخصوص: نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة.

٢- الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة وخاصة التربية العامة.

وفي معجم أكسفورد شرحاً لكلمة (SECULAR).

١- دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً مثل التربية اللادينية الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

وفي المعجم الدولي الثالث مادة SECULARISM اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلاً، السياسة اللادينية البحتة في الحكومة.

وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين.

يقول المستشرق (أربري): في كتابه الدين في الشرق الأوسط عن الكلمة نفسها، أن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال للادينية واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة في

الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو إدارية محددة والنموذج الرئيس لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية).

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة (فصل الدين عن الدولة) وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل (فصل الدين عن الحياة) لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو إقامة (الحياة على غير الدين) سواء بالنسبة للأمة أو الفرد ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود: فبعضها تمسح به، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية وتسمى منهجها (العلمانية المعتدلة) non religious أي مجتمعات غير دينية ولكنها غير معادية للدين وذلك في مقابل ما يسمى (بالعلمانية المتطرفة) anti religious أي المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

ولكن بالنسبة للإسلام لا فرق بين العلمانية فكل ما ليس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين فالإسلام واللادينية لا يجتمعان ولا واسطة بينهما.[١]

نحن أمام مصطلح منقول عن البيئة الغربية الأوروبية وليس له نظير في العربية أو الفكر الإسلامي وهو يحمل وراءه ثقل قرون من المفاهيم والممارسات الغربية في مجال الدين والحياة السياسية والاجتماعية فضلاً عن أنه يتعلق بدين غير الإسلام وهو المسيحية الغربية. والكلمة بهذه الصورة تكشف لنا عن أن الدعوة بأسرها تتبع بالكامل في سياق حركة التغريب والأروبة والإستعمار الثقافي التي يعاني منها عالم الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان والتي تصور مفاهيم وأفكار الغرب على أنها مطلقة عامة وعلى أنها الحق الذي توصلت إليه البشرية في تقدمها المضطرد الواصل إلى ذروته في أوروبا، ومن ثم يجري فرض هذه المفاهيم دون مناقشة لها وإحلالها محل أي عقائد أو تصورات أخرى في البلاد

---

(١) المرجع نفسه ص٢٣-٢٤

المستعمرة وذلك في غيبة التيارات الإسلامية أو عزلها.[(١)]

هناك أسباب للعلمانية في أوروبا نذكر منها على وجه الاختصار:

أولاً: الطغيان الكنسي:

أ- الطغيان الديني:

عززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بحقوق لا يملكها إلا الله، مثل حق الغفران وحق الحرمان وحق النحلة، ولم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية (صكوك الغفران، وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحاً مخيفاً للأفراد والشعوب).

٢- الطغيان السياسي:

كان ملوك أوروبا يضيقون زرعاً بتدخل الكنيسة المتعنت في كل شؤونهم، ذلك التدخل الذي لا يجدون له مبرراً على الإطلاع وفي نظرهم لم يكن لرجال الدين عليهم إلا القداسة ومع ذلك فهم أيضاً مقدسون، إن لم يكن بأنفسهم بنسبهم يقول فيشر (تاريخ أوروبا العصور الوسطى) وكانت الأسر الحاكمة في أوروبا تستمد بقائها من صلتها بالنسبة بأحد القديسية فيرثون منه قداسته ولا يبالي الشعب بعد ذلك بتصرفاتهم لأنهم مقدسون، وأن أمثله لهذا الطغيان كثيرة ومتعددة من قبل حكام ذلك الزمان.

٣- الطغيان المالي:

وقد تمثل الطغيان المالي في:

أ- الأملاك الإقطاعية: أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأرض، حتى أصبحت جزءاً من النظام الإقطاعي، وكان هذا الوضع يسئ لكل مسيحي متمسك بدينه وكانت سخرية تلوكها الألسن عند الخارجين على الدين ومصدراً للجدل والعنف بين الأباطرة والبابوات.

(١) محمد يحيى، ورقة في الرد على العلمانيين، مرجع سابق ص١١- ١٢.

٢- الأوقاف: كان لكل كنيسة أوقاف تدعى أنها تصرف منها على مكان الأديرة وبناء الكنائس وتجهيز الحروب الصليبية.

٣- العشور: فرضت الكنيسة على أبنائها عشور (ضرائب) وكانت تدعي إن هذا حق.

٤- ضريبة السنة الأولى: وهي بدعة فرضها البابا حنا الثاني والعشرون جديدة هي (ضريبة السنة الأولى) وهي مجموعة الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية أو الإقطاعية تدفع للكنيسة.

٥- الهبات والعطايا: تقدم هدايا من الأثرياء للكنيسة للتملق والرياء والبعض بدافع الإحسان، وهناك مراسم مقدسة ومهرجانات تدر الأموال الهائلة على الكنيسة.

٦- العمل المجاني: السخرة: كان للكنيسة رقيق وإن بعض رجال الدين يملكون الآلاف من الأرقاء الذين يعملون في إقطاعيات الكنيسة بدون أجر، وتضجر بعض رجال الدين الصغار وبعض الملوك من هذا.

ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

حقيقة كان بين الكنيسة والعلم وليس بين الدين والعلم ذلك لأن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة والكنيسة ارتكبت خطأين فادحين:

١- تحريف حقائق الوحي الإلهي وخلطها بكلام البشر.

٢- فرض الوصايا الطاغية على ما ليس داخلاً في دائرة اختصاصها.

حاولت الكنيسة أن تحتكر العلم وتهيمن على الفكر البشري وثارت ثائرة رجال الكنيسة على الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين) ويعرضون عن التعليم المقدسة وأعلنت حالة الطوارئ ضدهم وشكلت لهم محاكم التفتيش حتى تذيقهم النكال وأصبحت هناك معركة وأصبحت كذلك هناك انتفاضات ضد الكنيسة، وكان النزاع على أوجه خاصة عند ظهور النظريات العلمية وذلك في القرن السابع عشر وظهرت النزعة لتقديس العقل وأنه مستقل بالمعرفة بعيداً عن الوحي، وجعل دعاة المذهب العقلي دائرة للعقل ودائرة للوحي.

ثالثاً: الثورة الفرنسية:

تمخضت الثورة عن نتائج بالغة الأهمية فقد ولدت أول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب، وليس باسم اللّه وعلى حرية التدين بدلاً عن الكثلكة وعلى الحرية الشخصية بدلاً عن التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة، قال توماس جفرسن إن القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية وهو دائماً حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر. وصبت الجماهير جم غضبها على الكنيسة وتصرخ خلف ميرابو اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

رابعاً: القوى الشيطانية الخفية:

المقصود بها اليهود الذين نجحوا في تحويل الثورة الفرنسية من ثورة على مظالم الدين إلى ثورة على الدين نفسه وجعلوا لفظة الدين عند الشعوب الأوروبية مرادفة للظلم والتخلف والاستبداد.

نظرية التطور

قبل هذه النظرية نجد أن الإيمان المسيحي والأخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة وقد كان لهذه النظرية آثار.

١- انهيار العقيدة الدينية.
٢- نفي فكرة الغاية والقصد.
٣- حيوانية الإنسان وماديته.
٤- فكرة التطور المطلق.

هذه مجمل أسباب العلمانية وهي أسباب متعلقة بأوروبا لا علاقة لها بالشرق الإسلامي على الإطلاق.

كان الغرب الرأسمالي في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة والتربة الخصبة التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تقيم نظامها على الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي

حدث من ظهور الفكر العلماني، والتقيد به. بما يتضمنه من إلحاد وإبعاد الدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ومعاداة أهله. ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المبدل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم في الوقت نفسه تعارض مع حقائق العلم الثابتة، ولم تكتف الكنيسة - الممثلة للدين عندهم - بما عملته أيدي قسيسها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام والتقيد به وحاكمت إليه العلماء المكتشفين والمخترعين وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية الناقضة للدين المبدل، فاتهمتهم بالزندقة والإلحاد وقتلت من قتلت وحرقت من حرقت وسجنت من سجنت. ومن جانب آخر فإن الكنيسة - الممثلة للدين عند النصارى - أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين وأسبغت عليهم هالات التقديس والعصمة وسوغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم، زاعمة أن هذا الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به.

ومن هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك إلا الخروج على ذلك الدين الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين والتمرد عليه وإبعاده وطرده من كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والأخلاقية وغيرها. وليتهم خرجوا من هذا الدين المحرف إلى الإسلام. ولكنهم أعلنوها حرباً على الدين عامة لقد غطى الفهم العلماني الحياة الأوروبية في كافة المجالات الحياة التي منها علمانية الحكم وعلمانية الاقتصاد وعلمانية العلم وعلمانية الاجتماع والأخلاق وعمانية الأدب والفن.

لقد كان لوجود العلمانية في العالم الإسلامي كذلك أسباب نذكر منها:

أولا: انحراف الأمة الإسلامية

في القرون الأخيرة انحطت الأمة الإسلامية وانحرفت عن فهم الإسلام نفسه وانحسر مفهومه وتصوره في معاني ضيقة ومدلولات محدودة وهو نتيجة وسبب في

آن واحد. نتيجة الوهن الذي أصاب الأمة (حب الدنيا وكراهية الموت) وهو سبب ما تلاه من أحداث جسام ومخاطر عديدة، نذكر منها الركود العلمي والضعف المادي والمعنوي. هذا جعل الأمة الإسلامية لقمة سائغة للكفار. وإذا كانت العلمانية ظهرت في أوروبا نتيجة لتحرير الدين النصراني فقد ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة انحراف المسلمين والانحراف كان له مظاهر عديدة.

ثانيا: التخطيط اليهودي الصليبي

ولنضرب مثلاً على ذلك بأول عمل قام به الإنجليز في الهند هو إلغاء الشريعة الإسلامية وأول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة وإحلال القانون الفرنسي محلها وأول عمل قام به أذناب المخطط اليهودي في تركيا هو إلغاء الشريعة الإسلامية ثم إعلان تركيا دولة لا دينية علمانية، وهي رمز الخلافة ودوحة الإسلام آنذاك.

وتحول الصراع الغربي العلماني مع الشرق الإسلامي من حرب المسلمين إلى حرب العقيدة الإسلامية وأصبح ميدان الحرب بدلاً من الأرض الأدمغة. وبدأ الغرب الرأسمالي العلماني لإخراج الأمة من الإسلام وخطط لذلك بقية إخراج الأمة الإسلامية من دينها وتعريتها من مقوماتها ووجودها وحملها على العلمانية وانتظمت لذلك جيوش الغزو في ثلاثة أجنحة:

١- قوى الاحتلال المباشر

٢- المستشرقون

٣- المبشرون.

سماها عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) الإستعمار، الاستشراق، التبشير.

كان أول من دعا إلى العلمانية بشعارها الصريح وتحت أسماء أخرى كالقومية والوطنية هم نصارى الشرق. وهؤلاء لم يكن يخفي عليهم ما ألحقته العلمانية بدينهم في أوروبا ويمكن يكون هذا دافعاً أن تقضي على الإسلام كذلك وكان لهم جهود كثيرة في هذا المجال.

العلمانية مبدأ مستورد للعالم الإسلامي بل هو مؤامرة خطيرة، العلمانية ضد أصالتنا وسيادتنا لأنها مبدأ مستورد من خارج أرضنا ومن قوم غير قومنا لهم تاريخ غير تاريخنا ومفهوم غير مفاهيمنا وقوانين غير شريعتنا وأوضاع غير أوضاعنا. أنهم احتاجوا إلى العلمانية لظروف خاصة بهم ونحن لا حاجة لنا إلى العلمانية لأنها كانت حلاً لمشكلاتهم مع كنيستهم وهي عندنا تكون مشكلاً في ذاتها. لقد تنحى الدين عن الحياة في أوروبا بعد هزة عنيفة أصابته يرجع ذلك أسباب في المسيحية نفسها وأخرى إلى سلوك رجال الدين كما تقدم وأرادوا أن ينقلوا ذلك إلى بلاد المسلمين.

لقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم وهي ثمار خبيثة للعلمانية نذكر منها:

١- رفض الحكم بما أنزل الله وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة.
٢- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه.
٣- إفساد التعليم.
٤- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة وهم المسلمون وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد.
٥- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية.
٦- محاربة الدعوة الإسلامية.
٧- مطاردة الدعاة إلى الله.
٨- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية.
٩- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله.
١٠- الدعوة إلى القومية أو الوطنية.

ولتحقيق هذا لهم وسائل عديدة نذكر منها على سبيل الاختصار. ولاسيما في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه:

١- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع.
٢- القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية.
٣- تجزئ الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية.

٤- تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله بأنهم طبقة منحرفة خلقياً.
٥- الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية واختلاف العلماء وتضخيم ذلك.
٦- إنشاء المدارس والمراكز الثقافية الأجنبية.

سؤال لابد أن يثار هل للعلمانية في العالم الإسلامي مبرر؟

على ضوء ما تقدم نقول العلمانية لا مبرر لها أن تستورد إلى العالم الإسلامي إذ أن العالم الإسلامي كان ولا يزال خلو من الأسباب والملابسات التي أدت إلى ظهور العلمانية في أوروبا ومجتمعات الغرب. فهي ليست من صميم الإسلام ولا هي من إنتاج المنتسبين إليه. أصبحت العلمانية في معظم بلدان الإسلام واقعاً فعلى المسلمين أن يغيروا هذا الواقع الأليم الذي يكاد يجرف الأمة الإسلامية كلها بعيداً عن الإسلام. لا خروج للمسلمين من هذا الواقع المرير إلا بالعلم والعمل وفي هذا تفصيل:

١- العمل على أسلمة المناهج.
٢- تنقية المواد العلمية من الكفريات والضلالات المدسوسة بها.
٣- أن ينتهز المعلم الفرصة كلما سنحت له لتوضيح مفهوم من مفاهيم الإسلام.

في هذه الورقة بعنوان العلمانية حاولت أن أسلط الأضواء على مبدأ خطير غزا حياة المسلمين على مستوى الأفراد والدول حيث وضحت معناها وبينت أن في المعنى مغالطة خرجت منها بالمعنى الصحيح المضاد للأديان وضحت كيف ظهرت هذه العلمانية في أوروبا أي الأسباب التي دعت لها وقدومها إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك ومن هم قادتها إلى العالم الإسلامي والآثار التي تركتها على المجتمع المسلم وذكرت وسائل العلمانية في تحريف الدين الإسلامي.

ووضح من الدراسة أن العالم الإسلامي ليس في حاجة إلى استيراد العلمانية ثم أوضحت ما هو واجب المسلمين تجاه هذا الواقع المرير والغزو العلماني المعاصر.

(ب) الديمقراطية

من الأفكار التي وفدت إلى العالم الإسلامي مع الإستعمار الأوروبي الغربي النصراني فكرة الديمقراطية، وهي تعبر عن نظام الحكم المنبثق عن الفلسفة العلمانية التي تقدم الكلام عنها. ولابد أن نلقي الضوء على هذا المصطلح.

فالديمقراطية Democracy مشتقة من لفظين يونانيين De mos (الشعب) وKratos (سلطة) ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين[١]. يقول محمد أحمد علي مفتي "الديمقراطية حكم الشعب ويمكن تعريف الديمقراطية إلى عدة أقسام:

١ـ التعريف المعياري الكلاسيكي:

ويبنى على قاعدة (الخير العام) والإرادة العامة التي تدفع الأفراد نحو المشاركة الشعبية في الحكم وذلك يعني أن الديمقراطية القائمة على المشاركة الشعبية والتي تعني حكم الشعب إنما تبنى على قاعدتين الإرادة العامة التي تجعل الأمة صاحبة السيادة ومصدر السلطان، "الخير العام" الذي يعني أن إقامة مجتمع ديمقراطي يهدف ويؤدي إلى تحقيق الخير العام والسلام الاجتماعي العام[٢].

٢ـ التعريف الإجرائي للديمقراطية:

وهذا ينادي بأن الديمقراطية لا تعدو كونها طريقة معينة لاتخاذ القرارات ومن ثم فهي ليست فلسفة معينة للحياة لأنها تحوي فلسفة سياسية محددة يبنى

---

(١) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، الطبعة الخامسة (بيروت: دار الشروق، ١٩٩١م) ص١٧٨.

(٢) محمد أحمد علي المفتي، نقض الجزور الفكرية للديمقراطية الغربية، الطبعة الأولى (الرياض: المنتدى الإسلامي، ٢٠٠٢م) ص١٣

عليها نظام ومن هذا المنطلق يرى بعضهم أن الديمقراطية يمكن أن تطلق على أي نسق سياسي واجتماعي واقتصادي كالديمقراطية الرأسمالية والديمقراطية الاشتراكية رغم التباين بين النظام الاشتراكي والرأسمالي[١].

٣ـ التعريف الأيديولوجي:

أدى تبنى النظرة الإجرائية للديمقراطية إلى إغفال كون الديمقراطية الغربية تقوم على قيم اجتماعية محددة فالديمقراطية نظام قائم على نظرة معينة للكون والحياة والإنسان وهي تحمل بعداً "عقدياً" وترتبط بمفهومات محددة ومعتقدات مشتركة بين الجماعة. والديمقراطية بهذا المعنى تمثل نسقاً فلسفياً أو قاعدة تبنى عليها النظرة إلى المجتمع، تستمد هذه النظرة جذورها وأفكارها من المدرسة الليبرالية التي يعد من أبرز مفكريها جون لوك وجون استيوارت ميل وآدم سمث وديفيد هيوم، ورغم اختلاف وجهات النظر بين هؤلاء المفكرين الغربيين فإن هناك عدداً من الأمور المشتركة بينهم منها النظرة (الفردية) للإنسان والتي تجعل الفرد وحدة مستقلة قائمة بذاتها تتصل بغيرها لتحقيق مصالحها الذاتية ومن ثم يمثل غاية البناء الاجتماعي[٢].

أول من مارس الديمقراطية هم الإغريق في مدينتي أثينا وأسبارطة، حيث كانت تقوم في كل من المدينتين حكومة (يطلق عليها اصطلاحاً اسم حكومة المدينة، أي الحكومة التي تقوم في مدينة واحدة منفردة) وكان أفراد الشعب من الرجال في كل المدينتين يشاركون في حكم المدينة فيجتمعون في هيئة جمعية عمومية فيتشاورون في كل أمور الحكم فينتخبون الحاكم ويصدرون القوانين ويشرفون على تنفيذها ويضعون العقوبات على المخالفين.

وكان حكم الشعب مطبقاً بصورة مباشرة في كل المدينتين وكانت التسمية منطبقة على الواقع انطباقاً كاملاً. ولكن هذه الصورة من الديمقراطية

(١) المرجع نفسه ص١٥.

(٢) محمد أحمد علي مفتي، ص٢١.

انتهت بانتهاء حكومة المدينة في كل من أثينا وأسبارطة وإن ظلت محفوظة في ذاكرة أوروبا ككثير من الأفكار والقيم والمبادئ الإغريقية التي بقيت كامنة في الفترة التي غلبت فيها على أوروبا مثل هذه الأفكار، ثم عادت إلى الظهور بعد قيام (النهضة) على التراث الإغريقي الممتزج بالتراث الروماني الذي يطلقون عليه في اصطلاحهم Greco - Roman.

وقد ظل الإقطاع يحكم أوروبا أكثر من ألف عام في ظل الإمبراطورية الرومانية والقانون الروماني. ولم تغير المسيحية شيئاً من سماته في هذه الناحية لأن الكنيسة لم تحاول تطبيق شريعة الله. وتركت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تجري ما كانت عليه، في ظل الإمبراطورية الرومانية دون تعديل يذكر. وحين نازعت الملوك والأباطرة سلطانهم لم يكن ذلك من أجل إلزامهم بالخضوع لهواها هي وبسلطانها الشخصي. وفي ظل الإقطاع لم يكن للشعب وجود إلا بوصفه قطعاً آدمية لاصقة بالطين. لا كرامة لها ولا حقوق.

كان هناك ملوك مستبدون يحكمون بمقتضى "الحق الإلهي المقدس" باعتبارهم "ظل الله في الأرض" فكلامهم أمر وأمرهم مقدس وماعن لهم من أهوائهم فهي الأوامر واجبة التنفيذ.

ويعاونهم في تثبيت سلطانهم وتوكيده في الأرض أمراء الإقطاعيات الواقعة في ملكهم مقابل إطلاق يد هؤلاء الأمراء (الذين يسمون بالنبلاء أو الأشراف) في إقطاعياتهم يتصرفون فيها كيف شاءوا دون مراجعة ولا رقابة تضبط تصرفاتهم لأن الذين يعيشون على أرض الإقطاعية هم أما عبيد وأما في حكم العبيد وسلطان الشريف عليهم سلطان مطلق بحكم القانون فهو بالنسبة لهم يمثل السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية جميعاً في آن واحد[(١)].

وعليه فإن الديمقراطية طراز معين للعيش يتفق مع الإحساس الدائم بالرغبة في التغيير التي تحرك الأغلبية وتدفعهم نحو تحويل أوضاعهم الاجتماعية تتناسب

(١) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، مرجع سابق ص١٧٩.

مع التغييرات الحياتية المتعددة، فالديمقراطي هو ذلك الإنسان القادر على تعديل أوضاع حياته وأفكاره ومبادئه وقيمه وفقاً للمتغيرات الاجتماعية لا تبنى على قواعد ثابتة، بل هي نتاج لتفاعل الأفراد وخبراتهم واتفاقهم ولذلك فيما يراه ممثلاً للحق والعدل فهو الحق والعدل، فالإطار الذهني الديمقراطي يبني على الثقة المتناهية في (العقل) الذي يمكن الإنسان من الحياة في إطار المجتمع (التعددي) بتقبله لنمط حياة الآخرين مما يعكس قدراً كبيراً من العقلانية، أضيف إلى ذلك أن (التعددية) تضفي على الديمقراطية الرأسمالية طابعاً خاصاً يجعلها تختلف كلية عن المجتمعات التقليدية والاشتراكية التي يفر المجتمع فيها منظوراً جماعياً للخير العام.

هذا في حين يمتاز المجتمع التعددي بعدم وجود منظور جماعي واحد للخير والفضيلة. ولذلك فوجود منظور أخلاقي واحد للقيم في المجتمع يتعارض مع الفكر التعددي، ومن ثم فأولئك الذين يرغبون في رؤية قيم عقائدية أو أخلاقية واحدة تسود في المجتمع لابد أن ينتهي بهم المطاف إلى معارضة التعددية، وبناء عليه فالمجتمع الديمقراطي غير ملزم بتبني منظور للوحدة الاجتماعية وحين يسود أو يسعى أي منظور عقائدي أخلاقي تعرض رؤيته على المجتمع فإنه يصبح من المتعذر بناء مجتمع ديمقراطي وذلك لأن الديمقراطية تبنى على المنظور العلماني التعددي للمجتمع[(١)].

الديمقراطية نظام علماني قائم على سيادة الأمة أي حق الأمة في تبني القوانين المنظمة للحياة استناداً إلى أن الأمة هي مصدر السلطات.

فالديمقراطية منبثقة من المبدأ الرأسمالي القائم على فصل الدين عن الدولة وهي تعني كما هو معروف حق الشعب في اختيار النظام الذي يطبق عليه ورفض النظام الذي لا يريد، وحتى استئجار حاكم لتطبيق النظام الذي اختارته الأمة فالنظام الديمقراطي والقوانين المطبقة تعبر عن الإرادة العامة في الدولة، ومن ثم

---

(١) محمد أحمد علي مفتي، نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، مرجع سابق، ص٢١ -٢٢.

فلابد أن تصدر من الشعب صاحب السيادة ومصدر السلطات[١].

من الدراسة المتقدمة يتضح أن الديمقراطية هي الشكل السياسي لإدارة الدولة في ظل العلمانية ومعروف أن العلمانية ضد الدين. وكل من العلمانية والديمقراطية من أفكار الإستعمار الغربي التي وفدت إلى العالم الإسلامي. وكان لها أثر كبير على الحياة ولاسيما الحياة السياسية وقد كان لكل من العلمانية والديمقراطية أضرار لا تخفى على العالم الإسلامي بل الأخذ بالديمقراطية والتشبس بها ومحاولة تطبيقها في بلاد المسلمين أدى إلى إقرار طريقة للحكم وقواعده ذات مرجعية على غير الشريعة الإسلامية ومن ثم العمل على عزل المسلمين عن الأحكام الشرعية للمعالجة للظاهرة السياسية وإلى صرف أنظار المسلمين عن دراسة نظام الحكم الشرعي أي (نظام الخلافة) دراسة تفصيلية تساعد على بيانه ثم ترشيحه كنظام للحياة في نفوس المسلمين تمهيداً لتطبيقه في الواقع[٢].

(١) محمد أحمد مفتي، نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، ص٣١، مرجع سابق

(٢) المرجع نفسه ص٩

الفصل الرابع

الصلة بين الإستعمار والتنصير والاستشراق

إن الذي يدرس الإستعمار والتنصير والاستشراق لا يحتاج إلى كبير عناء في فهم مهمة هذه الأسماء إذ يتضح له من أول وهلة أن هذه المنظومة تتطابق أفكارها وأصولها ومقاصدها وأهدافها ودرجت أن تتوزع الأدوار فيما بينها ولاسيما عندما يكون عملها في المنطقة الإسلامية والمواجهة مع الإسلام.

وهي ذات أفكار ماكرة حتى أن العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ألف فيها كتاباً جامعاً يوضح كيدها ومكرها ضد الإسلام والمسلمين تحت عنوان (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها - التبشير - الاستشراق - الإستعمار) ويمكن للقارئ أن يرجع لهذا الكتاب الجامع الذي وضح بجلاء كيف عملت هذه المنظومة كيدها في الأمة الإسلامية بصفة عامة والأمة الواقعة في المنطقة العربية بصفة خاصة[1].

لدى البحث العميق والتحري الدقيق تقصياً للحقائق، نلاحظ أن كثيراً من الأفكار المشوهة عن الإسلام وتاريخ المسلمين والمضادة لهما، المنتشرة في صفوف الأجيال الحديثة من أبناء المسلمين، والمنتشرة في معظم البلاد غير الإسلامية ليست إلا أثراً مباشراً وغير مباشر من آثار دسائس المنصرين والمستشرقين

---

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق - الإستعمار - الطبعة الأولى (دمشق، دار القلم ١٩٨٠م) ص٥

والمستعمرين ضد الإسلام ومن ورائهم كيد يهودي يعمل لمصلحته ويستغل جهود كل مفسد، وقد وفد هؤلاء إلى البلاد الإسلامية وفي حقائبهم العلمية أو الدعائية أو الدبلوماسية تعليمات مكتوبة وغير مكتوبة تحملهم مهمات متعددة وأكب فريق منهم على دراسة المعارف الخاصة بالمسلمين دون أن يغدوا إلى بلاد الإسلام والمسلمين **ونستطيع أن نستبين من نتائج أعمالهم المهمات التالية:**

المهمة الأولى:

هدم الإسلام في عقائده وعباداته وأخلاقه، ولكن هذه المهمة التي يحملونها في محافظ أيديهم وحفائظ نفوسهم وقلوبهم وأفكارهم يضعون عليها أول الأمر أقنعة مبهرجة براقة، تخدع الناظرين وتستميل قلوبهم ونفوسهم وأفكارهم لتوقعهم في الشرك، حتى إذا ظفروا بصيدهم شدوا عليهم وثائق الأسر المعنوي الشامل للأسر الفكري والقلبي والنفسي.

واثر الأسر الفكري يكون بربط أفكار أبناء المسلمين وبناتهم بمجموعة من المعارف المزيفة التي يلبسونها أثواب الحقائق المسلمة ضمن حشو من المعارف المادية الحقة، والمسلمة منطقياً والمؤيدة بالشواهد، والواقع تحت الأسر الفكري يجد نفسه مشدوداً فكرياً بأسباب خفية إلى موقع الغزاة.

وأثر الأسر القلبي يكون لتوليد عواطف الميل أو الرضى أو الحب لما يأتي به هؤلاء الغزاة من كل أمر مضاد لرسالة الإسلام وتاريخ المسلمين.

وأثر الأسر النفسي يكون بربط الأهواء والشهوات والغرائز النفسية بأسباب الفتنة المادية التي ينشرها الغزاة بينهم.

المهمة الثانية:

تجزئة المسلمين أينما كانوا من الأرض حتى يمسوا أشتاتاً متباعدة متنافرة متقاطعة مبددة، لا تجمعهم جامعة، ولا تؤلف بين جماعتهم أواصر دينية أو تاريخية مصلحية.

المهمة الثالثة:

تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والتاريخية الغابرة بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء والتزوير للحقائق وذلك بقية حقن هذا الجيل من أحفاد المسلمين بالشعور والنقص والتخلف، كما يكون أطوع للسوق في أيدي الغزاة إلى ركب أعداء الإسلام الذين يتابعون كل أثر إسلامي بالهدم والتزوير ومحاولات الإبادة وبغية حقن الشعوب الأخرى بالكراهية للمسلمين والنفور منهم لاسيما الشعوب التي كانت تجد فيهم صورة رائعة من صور العدل، وصورة عظيمة من صور القوة الكبرى والمعرفة المقدسة المتنامية المتكاثرة التي لا تقنع بأي مرحلة بلغتها من مراحل البحث والمتابعة لأن الإسلام قد وضع لها زمرة من أسس وحوافز المتابعة الذاتية الدائمة.

المهمة الرابعة:

خداع الشعوب الإسلامية تربط كل صورة من صور التقدم الحضاري والمدني بخطة هدم وتجزئة المسلمين التي يزينوها لهم وبربط كل صورة من صور التخلف الحضاري والمدني بالاستمساك بالإسلام وبالمفاهيم والمعارف التي يحملها علماء المسلمين وخداع الشعوب الأخرى التي كان بينها وبين المسلمين مشاركات وطنية داخل البلاد الإسلامية في تعاطف متبادل وتعاون كريم، وذلك بإلغاء مسئولية تخلفها على المسلمين وبث الكراهية والبغضاء في قلوبها عليهم بغية إيجاد الطوابير التي تجند لحرب المسلمين داخل بلادهم وانطلقت كتائب هذا الجيش الثلاثي المؤلف من كتائب المبشرين والمستشرقين والمستعمرين بوسائلها المتنوعة غازية على نطاق واسع كل بلد من بلاد المسلمين، في غارة تاريخية طويلة الأمد محكمة الكيد، لم يعرف التاريخ لها نظيراً، فلم تدع بلداً من بلاد المسلمين إلا ودخلته ولم تترك ميداناً من ميادينهم إلا أجرت خيولها فيه، ولا قمة من قممهم إلا حاولت أن تعتلي صهوتها ولا حصناً من حصونهم إلا أنفذت إلى داخله رهطاً من المخربين المفسدين، إلا أن جوهر الإسلام الحق استطاع أن يحافظ على نقائه، في روائع نصوصه، وفي طوائف من المسلمين قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم مهما كثر الخبث وانتشر الفساد في الأرض، وهؤلاء بذور النماء التي تهيئ لها الموجات

التاريخية فرصة التكاثر السريع مهما اجتثت أعداء الإسلام من أفرادها في كل عصر[١].

لقد مضى الاستشراق والغزو الإستعماري في طريق واحد، المستعمر يغزو البلاد والمستشرقين يغزون الفكر والتراث الإسلامي، ونجد الإستعمار يحتاج الدعائم الفكرية والروحية التي تمهد له الطريق وتثبت له حكمه، ودلائل ذلك كثيرة نعطي منها يعطي الملامح لكيلا تكون هناك شبهة في أن الإستعمار الغربي والتبشير والاستشراق جيش غزاة الغرب النصراني للشرق الإسلامي لقد تمت علاقة قوية بين الإستعمار والتبشير (التنصير) والاستشراق[٢].

لقد ظلت الصلة بين الإستعمار والاستشراق والتبشير (التنصير) قائمة ولم تنقطع رغم زعم بعض المستشرقين والمتأثرين بكتاباتهم من العرب أن مرحلة الحقد كانت ناشئة من شعور بالحقد على المسلمين ناشئ عن الشعور بالنقص، فلما أمسك الغرب بزمام القوة بردت نار الحقد وأصبحت دراسات أكاديمية وهذا غير صحيح لعدة اعتبارات وبراهين:

١- استمرار بقاء كثير من المؤسسات التبشيرية الإستعمارية بين ظهرانينا كمدارس الإرساليات والجامعات الأمريكية بالقاهرة وبيروت واستانبول.

٢- إن المستشرقين في كل البلاد الإسلامية تقريباً يتبعون وزارة الخارجية ولا يزالون كذلك مثل (ميتشل) الذي أصدر في السبعينات كتابه (الأخوان المسلمون) مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست علمية ف (انتوني ايدن) رئيس وزراء إنجلترا السابق الذي شغل من قبل منصب وزير الخارجية وأسهم فيما بعد في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م لم يكن يتخذ قراراً سياسياً يتصل بالشرق الأوسط إلا بعد الرجوع إلى المستشرقين من أساتذة جامعة (أكسفورد) وكلية العلوم الشرقية من أمثال (مرجليوث) كما أن

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - أجنحة المكر الثلاثة - مرجع سابق ص١٧ -١٩.

(٢) عبد المتعال الجبري، الاستشراق وجه الإستعمار الفكري، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٥م) ص٨٧.

المستشرقين اليهود لا يزالون يعملون لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية فقد أشار (يوري ايفانوف) اليهودي الماركسي في كتاباته يقول بيجن، أمام ممثلي الجيش الإسرائيلي في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٨م (أنتم أيها الإسرائيليون يجب ألا تكونوا رؤوفين عندما تقتلون عدوكم، عليكم أن لا تشفقوا عليه ما دمنا لم نقضي بعد على الحضارة العربية (الإسلامية) التي سنبنى على أنقاضها حضارتنا وليس ببعيد تلك المؤتمرات اليهودية الأمريكية التي عقدت في الإسكندرية وبعض العواصم الغربية واشترك فيها بعض الشيوعيين المصريين بهدف أو تحت مظلة الدراسات النفسية المطلوبة من أجل وجود حالة طبيعية بين العرب وإسرائيل في أواخر السبعينات ثم أوائل الثمانينات.

٣- إن الإستعمار والاستشراق قد يلتقيا أحياناً في طريق واحد إذا دعت الحاجة أو حتمت الظروف والضرورات السياسية ذلك، وأن المستشرقين ركزوا مؤخراً على الدول الأفريقية والآسيوية غير العربية، ووجدوا فيها مجالاً جديداً يصولون فيه ويجولون، بسبب ظروفها المحلية وارتباط بعضها بالدول الإستعمارية بروابط سياسية وذلك بعد أن بارت كتاباتهم في البلاد العربية بسبب يقظة أبنائها لدسائسهم وسطحية ما يكتبون وعدم موضوعيته.

٤- لا تزال هناك المجلات الاستشراقية والمؤلفات والبحوث ودوائر المعارف التي يحررها المستشرقون تقذف بالأكاذيب والمغالطات والشبهات على الإسلام وأهله، ويستعينون بتلاميذهم في بث هذه المقترحات بل ويحيون العصبيات العنصرية لتمزيق الشرق الإسلامي بين فرعونية مصر، وبربرية في شمال أفريقيا وكردية في كل من العراق وإيران... الخ.

٥- لا يزال بعض المستشرقين المعاصرين يعترفون بما نقول فمثلاً يقول (برنارد لويس) (لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومنتشرة وراء الحواشي المرصوصة في كتابات البعض الآخر ويقول المستشرق (نورمان دانيل) على الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن

الإسلام فإنهم لن يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما يتوهمون[١].

يوضح للدارس أن الاستشراق والتنصير هما طلائع الإستعمار وهداته وحداته، لقد كان للمد الإستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر. وقد أفاد الإستعمار من التراث الاستشراقي من ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تقرير موقف الاستشراق، وتواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مضمونه مع مرحلة التوسع الأوروبي في الشرق، وقد شهد القرن التاسع عشر استيلاء المستعمرين الغربيين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، استطاع الإستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين.

وهكذا نشأت رابطة رسمية وثيقة الصلة بين الاستشراق والإستعمار وانساق وراء هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وأضعاف شأن الإسلام وقيمه وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون بالخجل والمرارة[٢].

وعن علاقة الاستشراق بالإستعمار ينبغي أن نشير إلى حقيقة هامة وهي أن الإستعمار الغربي بالنسبة للمسلمين ليس مجرد إستعمار اقتصادي أو سياسي أو عنصري وإنما هو بالدرجة الأولى والأخيرة هو الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين ويكفي أن نشير إلى أن المستعمرين للعالم الإسلامي لم ينسوا قط أنهم صليبيون جاءوا لغزو المسلمين وحكمهم حتى قال (ألنبي) القائد البريطاني قولته المشهورة عندما دخل القدس سنة ١٩١٨م (الآن انتهت الحروب الصليبية) ومن ثم فلا عجب أن يرتبط الثالوث المكون من الاستشراق والإستعمار والتنصير ارتباطاً عضوياً وثيقاً يظهر في التحالف بين هذه الثلاثة جميعاً على حرب الإسلام

---

(١) عبد المتعال الجبري، الاستشراق وجه الإستعمار الفكري، مرجع سابق ص٧٣ -٧٤.

(٢) محمود حمدي زقزوق/ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - الطبعة الأولى - (الدوحة - رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الإسلامية ١٤٠٤هـ) ص ص٤٣-٤٤

والمسلمين وبدافع واحد هو مجرد وجود الإسلام ووجود المسلمين.

لقد كانت بريطانيا كدولة إستعمارية تعتبر دائماً أن من أهم مصالحها في العالم الإسلامي هي المصالح الدينية وبخاصة تلك المصالح المتمثلة في مؤسسات التنصير وإرسالياته ونشاطاته التي كانت تستظل دائماً بحمايتها وتشجيعها في جميع البلاد الإسلامية التي وقعت فريسة للإستعمار البريطاني خاصة في مصر والسودان والأقطار الإسلامية الناطقة باللغة الإنجليزية.

وكذلك موقف فرنسا في المغرب العربي وسوريا ولبنان والبلاد الإسلامية، الناطقة باللغة الفرنسية وهو نفس الموقف الذي تقفه الولايات المتحدة الأمريكية الآن في الشرق الأوسط بمؤسساتها التنصيرية من مدارس وكليات ومستشفيات ومطابع ودور نشر التي لا زالت تمارس نشاطاتها وتقوم بدورها كما رسمته سياسة الغزو الفكري الصليبي المدعمة بحكومتها(١).

والمعروف أن التنصير حركة دينية سياسية إستعمارية بدأت هذه الحركة أثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف أحكام السيطرة على هذه الشعوب(٢).

والاستشراق تيار فكري ودراسات للشرق الإسلامي تشمل الحضارات والديانات والآداب واللغات والثقافات وهذه الدراسات أسهمت في كيف يتصور الغربيون الإسلام واستفاد كل من الإستعمار والتنصير كما هو معروف من دراسات الاستشراق وثمة تلازم وتعاون واضح بين هذه المنظومة المكونة من التنصير والإستعمار والاستشراق(٣).

والاستشراق نفسه وليد التنصير، ولأن عمل المنصرين والمستشرقين قد

---

(١) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، الطبعة الثانية (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ) ص٤٨-٤٩.

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية، الرياض، مطبعة سفير، ١٩٨٩م) ص٥٩.

(٣) نفس المرجع ص٣٣.

يكونا عملاً واحداً في مواضيع كثيرة أهمها وحدة المنهج الدراسي للغات والأمم الشرقية والنظرة إلى الإسلام وإثارة الشكوك والشبهات حوله، وعند الحديث عن الاستشراق والتنصير سنجد منصرين تركوا حقول التنصير ليتخصصوا في الدراسات الاستشراقية كما نجد المستشرقين يلجأون إلى الإرساليات التنصيرية ليستفيدوا من دراساتها[١].

كلما توسع الإستعمار وثبتت أقدامه كلما زاد اعتماده على الاستشراق كمؤسسة تابعة له، تسانده في إدارة الشرق الإسلامي وتسهل له إخضاعه وقد سبق الاحتلال البريطاني والفرنسي للبلاد الإسلامية بدراسات واسعة ومخططة[٢].

ومن المعروف أن هناك طائفتين، طائفة تسمى المنصرين وطائفة تسمى المستشرقين والنظرة السطحية قد توحي بأن هناك فروقاً جوهرية بين الطائفتين وأن هذه الظروف تضعف افتراض وجود علاقة بينهما والواقع غير ذلك.

والنشاطات الاستشراقية والتنصيرية والإستعمارية متشابهة ويكمل بعضها البعض والفروق تبدو للنظرة السطحية بين الطائفتين ليست إلا فروقاً عرضية ترجع في الحقيقة إلى توزيع العمل بينهما، فطائفة المنصرين تركز على المدرسة والعلاج الطبي وطائفة المستشرقين تركز على الجامعة والبحث العلمي وهي أعمال يستفيد منها بالتالي الإستعمار[٣].

ولا يخفي أن التنصير والاستشراق دعامتان من دعائم الإستعمار وعملاء التنصير والاستشراق عملاء للإستعمار وخدام لسياسته وأن ظهروا بوجوه مقاومة الإستعمار وتحرير البلاد منه.

وقد تقاسم كل من التبشير (التنصير) والاستشراق والإستعمار جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام[٤].

---

(١) عبد الجليل شلبي/ الإرساليات التبشيرية، بدون طبعة الإسكندرية، ص١١.

(٢) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، مرجع سابق ص٤٢.

(٣) المرجع نفسه ص٥٠.

(٤) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - أجنحة المكر الثلاثة - مرجع سابق ص١١٢.

ومن جانب آخر نجد أن التبشير (التنصير) قد استعان بالقوى العسكرية ليقوم بمهامه وهو آمن على نفسه واستعان كذلك بأفكار ومؤلفات المستشرقين.

يلتقي الغزاة المستعمرين والمبشرين (المنصرين) ومعظم المستشرقين على محاربة الإسلام ومقاومة دعوته وهدم أبنيته.

يتضح من الدراسة أن الإستعمار والتنصير والاستشراق لهم مواقف فكرية متطابقة ومواقف عملية تطبيقية وأن هذه المنظومة دفعت بها قوى الصليبية والنصرانية للعالم الشرقي وحددت أفكارها وأهدافها وأن اختلفت وسائلها فمثلاً الاستشراق يعمل في جانب الأفكار وغزو العقول والدراسات الحضارية والفكرية والتنصير يجعل همه المدرسة والتطبيب وكل من التنصير والاستشراق يعملان في حماية الإستعمار المدجج بالسلاح وينعمان بالأمن في وجوده، وعليه الدراسات العلمية والموضوعية تخرج بأن هناك تلازم بين كل من التنصير والاستشراق والإستعمار وأن هذه الأجنحة يكمل عملها عمل بعض وقد كانت أجنحة ثلاثة ماكرة عملت ولا تزال تقوم بأدوارها في الشرق الإسلامي بصفة خاصة وفي الشرق بصفة عامة.

الفصل الخامس

آثار الإستعمار على المجتمعات الإسلامية

لم يخرج الإستعمار من البلاد الإسلامية إلا وترك آثاراً بالغة خلفه كان لها أضراراً بالغة في كل المجتمعات الإسلامية، وقد ظلت نتائج وآثار الإستعمار في المجتمعات الإسلامية واضحة ومستمرة ولا تزال هذه الآثار تعاني منها البلاد الإسلامية التي كانت تحت سيطرة الإستعمار الغربي، تعاني كل أقطار العالم الإسلامي في كل من أفريقيا وآسيا وتلك الشعوب التي تسكن جزءاً من أوروبا، لأن الإستعمار في موجة التكالب على الوطن الإسلامي لم يترك دولة من دول العالم الإسلامي إلا وحل بها ما عدا دولتي أفغانستان والجزيرة العربية، وحتى هذه الدول التي لم يتم إستعمارها في القرن الثامن عشر إصابتها بعض الآثار الإستعمارية ومن أوضح آثار الإستعمار التي بقيت في العالم الإسلامي واضحة للعيان حتى يومنا هذا تمزيق وحدة العالم الإسلامي، فقد كان العالم الإسلامي قبل قدوم مؤسسات الإستعمار دولة واحدة يعبر عنها من طنجا غرباً إلى جاكرتا شرقاً، خرج الإستعمار والعالم الإسلامي موزع إلى عدة دول، وفي كل دولة خرج منها الإستعمار ترك مشكلة الحدود ومشكلة الأقليات كل هذا بين الدول المتجاورة، ويمكن للقارئ أن يستعرض خريطة العالم الإسلامي وسوف يرى بوضوح هذه المشاكل التي لا تزال تمثل بؤر الغليان في العالم الإسلامي وكيف أنها قنابل موقوتة منها الذي تفجر ومنها الذي في طور الكمون ويمكن أن يتفجر لأتفه الأسباب، وأصبحت بعض القبائل تضم إلى دولة أخرى بل بعض القبائل تجزأ بين دولتين، وفي كل قطر خلف الإستعمار وراءه مشاكل عملت هذه

المشاكل على أن تخلق جواً من عدم الوفاق بين السكان، وتصنف هذه المشاكل وخاصة مشاكل الحدود مشاكل سياسية ولها آثار سياسية تركها الإستعمار. والإستعمار إلى جانب المشاكل السياسية ترك آثاراً واضحة في مجال التربية والتعليم. ذلك أن سياسات التعليم على عهد الإستعمار بكل أنواعه وأقطاره كانت ترمي أن تؤثر في سلوك الوطنيين وصبغهم بروح الحضارة الغربية والسلوك الغربي، وقد كان فلاسفة التعليم هم المنصرين والمستشرقين الذين كانت تربطهم صلة قوية ووثيقة بدوائر الإستعمار، وخلق المنهج التعليمي على عهد الإستعمار طبقة متمردة على سلوك وأخلاق الشرقيين التي مصدرها الدين الإسلامي وفي الجانب الاقتصادي كانت آثاره واضحة ولاسيما في المعاملات بالربا الذي كان ولا يزال يحرمه الإسلام، ودرج الإستعمار أن يربط اقتصاديات البلدان الإسلامية بمفاهيم الربا وأن تحتل المعاملات الربوية محل المعاملات الإسلامية، ولا تزال هذه الآثار الاقتصادية سائدة في المجتمعات الإسلامية يقوم عليها عملاء خلفهم الإستعمار لمتابعة سياسته وقد ترك الإستعمار آثار واضحة في الزي والذوق العام. وكذلك في العلاقات الإسلامية.

وسوف نقوم بدراسة الآثار التي تركها الإستعمار في القطر السوداني كنموذج للآثار التي تركها الإستعمار في أقطار العالم الإسلامي، إذ أن الكتاب لا يسعه أن يتطرق لكل الأقطار الإسلامية وهذا يحتاج لدراسة منفصلة واختيارنا لجمهورية السودان لأن الإستعمار ترك في السودان مشكلة من أعقد مشاكل العالم الإسلامي واستعصت هذه المشكلة على الحل وأفقدت السودان وأقعدت السودان وبددت إمكانيات السودان البشرية والمادية ولا تزال مستمرة منذ خروج الإستعمار الإنجليزي عام ١٩٥٦م. وهي المشكلة المعروفة في أجهزة الإعلام بمشكلة الجنوب وهي أثر من آثار الإستعمار وسياسة المستعمر لقد دخل كتشنر السودان بعد موقعة كرري الشهيرة عام ١٨٩٨. وقد كرس كل جهده في الأيام الأولى للقضاء ما سمي بآثار التعصب للمهدية. والمهدية هي الدولة التي أقامها المهدي - محمد أحمد المهدي في السودان - فكما كانت الجمعيات التبشيرية المسيحية مهتمة بالسودان بوجه خاص لقد رأت في غردون بطلاً مسيحياً قتل في

سبيل الدفاع عن المسيحية وكانت راغبة في انتشارها في وادي النيل وحتى قلب أفريقيا وأيدت فكرة قيام حائط صيني عظيم من الجمعيات التبشيرية تمتد من رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة[١].

احتكرت الكنيسة في جنوب السودان التعليم وقد كان لهذا الاحتكار آثاراً لا تزال هذه الآثار يعاني منها السودان:

١- إسناد التعليم إلى المؤسسات التبشيرية وبهذا حرم أبناء المسلمين من التعليم، إذ تخوف الآباء من تنصير أبنائهم، كما تم طرد بعض أبناء المسلمين من المدارس.

٢- إن القائمين على أمر المؤسسات التبشيرية كانوا في الأساس ألماناً وإيطاليين ونمساويين وكان الأهالي عازفين عن تعليم الإنجليزية وفي عام ١٩١٠م عقد مؤتمر لرؤساء البعثات التبشيرية في الجنوب ناقشوا فيه هذه المشكلة وصرحوا بخشيتهم أن يؤدي تعلم اللغة العربية إلى تعلم وانتشار الدين الإسلامي. وانتهى رأيهم إلى الاقتراح على الإدارة البريطانية بأن يكون التعامل الرسمي للإدارة باللغة الإنجليزية وتوظيف من يتعلمونها، حتى يكون ذلك حافزاً لتعلم الإنجليزية وبذلك بدأ تطبيق السياسة البريطانية فيما يتعلق بفصل الجنوب عن الشمال واستمرت على ذلك حتى الأربعينات[٢].

وقد كان أثر هذه السياسة التعليمية في جنوب السودان واضحاً إذ ظل التعليم في جنوب السودان ينمو على أساس كنسي تبشيري وعلى أساس تعلم اللغة الإنجليزية وأبعاد اللغة العربية وأصبح ولاء المتعلم على الكنائس ولاء غربياً وربما حمل العداء لأبناء وطنه في الشمال يشهد على هذا الحال التي عليها مشكلة جنوب السودان وكيف أن الذين تعلموا في أحضان التنصير كانوا ولا زالوا هم القادة لتوجيه هذه المشكلة (يمكن للقارئ أن يراجع فقرة أهداف التعليم

---

(١) حسن مكي محمد أحمد، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان (الخرطوم: المركز الإسلامي ١٩٨٣م) ص١٧.

(٢) حسن مكي محمد أحمد، المرجع نفسه ص١٩.

التنصيري في السودان) من هذا الكتاب.

كتب الأستاذ محمود شاكر في سلسلة كتب عن مواطن الشعوب الإسلامية كتب كتاباً تحت عنوان السودان نستعرض منه تلخيصاً للآثار التي تركها الإستعمار الإنجليزي في السودان تحت عنوان (السياسة الإستعمارية) وكما تقدم جعلنا السودان نموذجاً للآثار التي تركها المستعمر في البلاد الإسلامية وكما تقدم كذلك تعد الآثار السياسية من أهم وأعقد الآثار التي تركها الإستعمار خلفه في أقطار العالم الإسلامي.

بعد الإستعمار كان الاختلاف واضح بين الشمال السوداني والجنوب. وما كان ليحدث لولا السياسة التي اتبعت والتربية التي قامت في الجنوب خلال أكثر من قرن. لقد وصل المبشرون إلى جنوب السودان عام ١٨٤٨م وركزوا جهودهم في عدة نقاط:

١- الرق: إذا عمل في هذا النوع من التجارة الجنوبيين والشماليين والأوروبيون ولكن المبشرين جعلوا تبعة كل ذلك على الشماليين ولا تزال هذه المسألة ذات أثر في علاقة الجنوبي بالشمالي في السودان.

٢- سيطرت الإرساليات على المدارس وربت الأجيال على أن الشماليين يريدون السيطرة على الجنوبيين. واتخذت لها (الحكومة) عدة مراحل لتطبيق سياستها من إعادة احتلال السودان ١٨٩٨ حتى ثورة مصر ١٩١٩م، قسمت السودان إلى شمال وجنوب بحجة أن الجنوب في حاجة إلى المزيد من المال لتطويره، أعطت إنجلترا حرية تامة للمبشرين بغية تنصير السكان من الثورة المصرية ١٩١٩م - ١٩٤٦م إذ خافت إنجلترا من انتقال الثورة إلى السودان ولذا فصلت الجنوب عن الشمال، وفي عام ١٩٢٢م صدر قانون الجوازات ونص على أن المسلمين لا يحق لهم دخول الجنوب إلا بتصريح وأطلق أمر المبشرين، ومن ثم عملت إنجلترا على محاربة ومحو اللغة العربية وشجعت استعمال الألفاظ المحلية وحاولت محاربة صنع الملابس العربية من سنة ١٩٤٦م - ١٩٥٦م رأت إنجلترا والسياسة الإستعمارية بوجه عام تسليم البلدان لأهلها حتى توفر تكاليف الإدارة.

خرجت إنجلترا من السودان وتركت فيه جرحاً نازفاً كان ولا يزال. كان لإنجلترا الأثر الكبير في خلق مشكلة جنوب السودان وترك جراح عميقة بين الشمال والجنوب لا يمكن علاجها بسهولة[١].

ولا تزال المداولات مستمرة لحل مشكلة جنوب السودان كأثر من الآثار التي تركها الإستعمار الإنجليزي في السودان وقد ترك المستعمرون مشاكل مماثلة لمشكلة السودان في معظم أن لم يكن كل أقطار العالم الإسلامي ظلت ولا تزال تمثل بؤر النزاع والاختلاف في العالم الإسلامي وسبباً من أسباب تمزيق وحدته.

هذه دراسة عن آثار الإستعمار القديم ونذر آثار الحديث التي بدأت واضحة للعيان وهي أخطر من آثار الإستعمار القديم وقد بدأت في محاولة استئصال الحضارة الإسلامية وصراعاً حضارياً ضد الإسلام والمسلمين وهي آثار تحتاج لدراسة حتى يوضح للقارئ ما هي هذه الآثار ونأمل أن تتاح لنا فرصة للكتابة حولها

(١) محمود شاكر، السودان مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا، بدون طبعة (بيروت: منشورات العصر الحديث ١٩٧٢م) ص٧٧-٨٨

الفصل السادس

العالم الإسلامي في مواجهة مخططات الإستعمار

أولاً: الاتجاهات التي والت الإستعمار (الجانب السلبي)

أ- حركة أحمد خان بهادور في الهند

كتب الدكتور محمد البهي في مؤلفه القيم الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي عنواناً (مفكرون من المسلمين مع الإستعمار) ذكر أن من هؤلاء المفكرين المسلمين الزعيم الإسلامي في الهند السيد (سيد أحمد خان) وكتب عنواناً باسم (حركة السيد أحمد خان) أورد الدكتور نبذة عن السيد أحمد خان في مجلة العروة الوثقى وكتابات كل من جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده. والباحث يورد هذه النبذة عن السيد أحمد خان ولاسيما وأنها كتبت بأيدي معاصرين له وهما جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.

تذكر مجلة العروة الوثقى للسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وقد صدر العدد الأول منها في ١٣ مارس ١٨٨٤م وانتهت بالعدد الأخير وهو الثاني عشر في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤م في أحد أعدادها وصفاً لهدف الحركة التقدمية التي قام بها السيد أحمد خان في الهند فتقول: لما استقرت أقدامهم - الإنجليز - في الهند وألقوا بها عصاهم ومحيت آثار السلطة التيمورية (نسبة إلى تيمور لنك مؤسس دولة المغول في القرن السادس عشر الميلادي) نظروا في البلاد نظرة ثاقبة فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال

ملكهم العظيم، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأحسوا أن المسلمين ما داموا على دينهم، وما دام القرآن يتلى عليهم وبينهم فمحال أن يخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم، خصوصاً إذا كان ذلك الأجنبي خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت شعار المحبة والصداقة، فطفقوا - الإنجليز - يفتشون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الإسلامي، وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل، محشوة بالطعن في الديانة الإسلامية، مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة - براءة الله مما قالوا - فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع ولا يمكن معه الذي غيره أن يقيم على أرض تنتشر فيها تلك الكتب وأن يكن تحت سماء تشرق شمسها عن مرتكبي ذلك الأفك العظيم.

وما قصدهم بذلك إلا توهين عقائد المسلمين وحملهم على التدين بمذهب الإنجليز هذا من جهة ومن جهة أخرى أخذوا في تضييق سبل المعيشة على المسلمين وتشديد الوطأة عليهم والأضرار بهم من كل وجه، فضربوا على أيديهم في الأعمال العامة، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس، ونفوا علماءهم وعظماءهم إلى جزيرة (اندومان) رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة إن لم تفدهم الأولى - في رد المسلمين عن دينهم بإسقاطهم في أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم.

فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين في الوسيلة الأولى، وطال عليهم الأمد في الاستفادة من الثانية نزعوا إلى تدبير آخر في إزالة الدين الإسلامي من أرض الهند أو إضعافه، لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب، فاتفق أن رجلاً اسمه (أحمد خان بهادور) - لقب تعظيم في الهند - كان يحوم حول الإنجليز لينال فائدة من لديهم، فعرض نفسه عليهم وخطا بعض الخطوات لخلع دينه والتدين بالمذهب الإنجليزي وبدأ بكتابه كتاب بعنوان (تبيان الكلام) يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم، ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول: إني نصراني، وأن هذا العمل الحقير لا يؤتى عليه أجراً جزيلاً خصوصاً

وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة، وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً محدودة، فأخذ طريقاً آخر في خدمة الإنجليز، بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم، فظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين ونادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء، وليس بهذا الكون إله حكيم (إن هذا إلا الضلال المبين) وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع ولقب نفسه بالطبيعي، وأخذ يغري أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين فمال إليه أشخاص منهم تملصاً من الشرع الشريف وسعياً خلف الشهوات، فراق الحكام الإنجليز مشربه رأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين فأخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في (عليكره) وسموها مدرسة (المحمديين) لتكون فخاً يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل (أحمد خان بهارور).

وكتب أحمد خان تفسيراً على القرآن تحت عنوان (تبيان الكلام) حرف فيه الكلم عن مواضعه وبدل ما أنزل الله.

وأنشأ جريدة باسم (تهذيب الأخلاق) لا ينشر فيها إلا ما يضل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم خصوصاً بينهم وبين العثمانيين. وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة ولكن لا يدعو إلا المسلمين ونادى الطبيعة الطبيعة! ليوسوس للناس بأن أوروبا ما تقدمت في المدينة وما ارتفعت في العلم والصنعة وما فاقت في القوة والاقتدار إلا برفض الأديان والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين - على زعمه - وهو بيان مسالك الطبيعة.

وقد افترى على الله كذباً (ولما كنا بحيال الهند في سنة ١٨٧٩م أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغتراراً بترهات الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ من المفاسد وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران، وطبعت رسالتنا في اللغتين الهندية والفارسية (أسمها الرد على الدهريين) الكلام للسيد جمال الدين الأفغاني: (وهؤلاء الدهريين ليسوا كالدهريين في أوروبا فإن من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبة أوطانه ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب ويفدي مصلحتها بروحه. أما أحمد خان وأصحابه فإنهم

كما يدعون الناس لنبذ الدين، يهونون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الأجنبي فيها ويجتهدون في محو آثار الغيرة الدينية والجنسية، لا لأجر جزيل ولا شرف رفيع ولكن بعيش دنئ ونفع زهيد وهكذا يمتاز دهري الشرق عن دهري الغرب بالخسة والدناءة بعد الكفر والزندقة[1].

ويقول السيد جمال الدين الأفغاني في عدد آخر من أعداد هذه المجلة[2]:

استهوى الإنجليز طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام ويلبسون لباس المسلمين وفي صدورهم غل ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة وهم المعروفون في البلاد الهندية بالدهريين والطبيعيين، فاتخذهم الإنجليز أعواناً لهم على إفساد عقائد المسلمين وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك حميتهم ويبددوا جمعهم ويمزقوا شملهم وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء مدرسة عليكرة، ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين. فحركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى العلم والركبان الحضارية التي قامت عليه، والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة كما يقال يؤدي إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية وهي القيم التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل وقد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعي إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد في الطبيعة ويدرك بالحس الإنساني. ومن هنا ربط السيد جمال الدين الأفغاني بين إلحاد السيد أحمد خان ومذهبه الدهري أو الطبيعي، رغم ما كان يكرره أحمد خان من القول بأنه يدافع عن الإسلام وأنه يبغي أن يوجد طريقاً للمسلم المعاصر يوفق فيه بين إسلامه وتقبله الحياة العصرية التي قامت على نبضة العلم الطبيعي.

وقد نهج السيد أحمد خان في تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعي مما يناقض تماماً القول بالمعجزات وخوارق العادات ولهذا جعل

(١) العروة الوثقى ص٥٧٢ -٥٧٥.

(٢) المرجع نفسه ص٩٦.

(النبوة) غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية. فهي غاية إنسانية طبيعية وطريقها طريق إنساني غير خارق للعادة ولكنه مع ذلك يقر ختم الرسالة الإلهية ببعثة المصطفى ﷺ.

وفي شرحه لآيات القتال، أضعف من فرضية الجهاد في الوقت الحاضر كما أنه في الآيات الخاصة بـ (أهل الكتاب) عبر في غير لبس عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب والمسلمين من جانب آخر وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين ودعا إلى ما اسماه (إنسانية الأديان) أي المعنى الإنساني في العام الذي تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه، وهو ما يشبه اليوم فكرة (العالمية) التي تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية وقد كانت من قبل تلقب بالفكرة (الماسونية) وفي هذه الفكرة تتمحي كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب[١].

ب- مذهب القاديانية

القاديانية نحلة جديدة عملت بما تستطيع من خدمة مأجورة من قبل المستعمرين الإنجليز بهدم العقائد والشرائع الإسلامية التي يخدم هدمها مصالح المستعمرين في بلاد المسلمين وكان لتأسيس هذه النحلة تحت ستار ديني هدفان رئيسان:

الهدف الأول: تفريق وحدة المسلمين والتهوين من قوتهم وهدم مبادئهم وعقائدهم.

الهدف الثاني: تمكين الدولة البريطانية من بسط نفوذها على البلاد الإسلامية التي اغتصبتها، لاسيما الهند التي نشأت هذه الطائفة فيها. اجتمع قواد الإستعمار البريطاني وزعماؤه في مدينة (لندن) ووضعوا خطة لهم لهدم أركان العقيدة والشريعة الإسلامية ولتمزيق وحدة المسلمين وتوهين قوتهم فكان من

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي المعاصر وصلته بالإستعمار المغربي، الطبعة الحادية عشر (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٥م) ص٣٣-٣٩

مظاهر هذه الخطة إنشاء فرق باطلة في صفوف المسلمين تدعمها الحكومة البريطانية وتغذيها بالرشوات والمساعدات المالية وتحميها من غضبة المسلمين وتمدها بالمعونات المالية بقدر ما تسمح به الظروف، على أن تحمل هذه الفرق في الظاهر اسم الإسلام وتعمل في الحقيقة على هدم أصوله وقواعده وتقطيع أوصاله وأبعاد المسلمين عن جوهره وتخدم في كل مناسبة مصالح الإستعمار البريطاني بكل ما فيها من قوة.

فأرسلت بريطانيا من أجل هذه الغاية بعثات خاصة إلى البلاد المستعمرة من قبلها للبحث عن الظروف الملائمة، والتفتيش عن المنحرفين الطامعين ممن لديهم استعداد للقيام بهذه المهمة الخبيثة فعثرت في الهند على رجل منحرف نفسياً وفكرياً طامع بالمال، طامع على زعامة دينية مزورة، وكان الرجل ضمن أسرة عملية للإستعمار الإنجليزي فاشترته وأطمعته ووجهته للقيام بزعامة فرقة باسم الإسلام تشق صف المسلمين وتهدم أركان الإسلام ومبادئه فقام هذا الرجل بمهمة الخيانة لدينه وأمته وبلاده.

أنه (ميزرا غلام أحمد) القادياني المولود في قرية (قاديان) إحدى قرى البنجاب في سنة ١٨٣٩م في أسرة عميلة للإستعمار الإنجليزي، فقد كان أبوه واحداً من الذين خانوا المسلمين وتآمروا عليهم وساعدوا الكفار الغاصبين سعياً وراء المال الحرام والجاه الخائن.

وسعى (ميزرا غلام أحمد) يدعو إلى ضلاله ويخدم الإنجليز خدمة العبد المطيع ويتلقى المكافآت الكثيرة منهم على ما يقدم إليه من خدمات.

ففي سنة ١٨٨٢م أدعى أن الله ألهمه مهمة خاصة، ثم ادعى بعد فترة أن جبريل قد نزل عليه بوحي من السماء ثم ادعى بعد حين أن الله تعالى لقبه برسول وسماه (محمداً) وفي عام ١٩٠١م أعلن بصراحة أنه نبي مرسل من الله. وفرض الإستعمار الإنجليزي هذا الرجل وأمده وحماه وقدم له كل التسهيلات للقيام بمهمته وخصص له جنوداً من قبله لحراسته، حتى لا تنزل به نقمة المسلمين في الهند وأتاح لأتباعه المستأجرين لنشر نحلته فرصاً كبيرة لإقامة مراكزهم التبليغية في أنحاء العالم لاسيما البلاد الخاضعة للإستعمار الإنجليزي وصار

الإنجليز يحثون من لهم عليهم يد من الأسر الإسلامية البارزة أن يعتنقوا القاديانية فمن اعتنقها منهم منحوه ما يسره من لقب ووسام. وقد ظل القاديانيون يرتعون في كنف الإستعمار البريطاني ويصيبون من خيرات البلاد ما لا يصيبه غيرهم، ليقوموا بهدم الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين من ضمن صفوفهم وليقوموا بخدمة المصالح الإستعمارية وفق ما يملي عليهم سادتهم.

وألف (ميزرا غلام أحمد) كتباً ورسائل ونشرات كثيرة ضمنها الحث الصريح على طاعة الدولة البريطانية وعدم الخروج عليهم. ومما أفتى به أنه لا يجوز للمسلم أن يرفع السلاح في وجها لإنجليز هم خلفاء الله في الأرض فلا يجوز الخروج عليهم.

ومما جاء في رسائله (لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر الإنجليزي ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة).

ثم انقسمت الهند وقامت الدولة المسلمة (باكستان) في عام ١٩٤٧م محاطة بالمشكلات الصعبة التي وضعها فيها الإستعمار الإنجليزي وبخطة مدبرة، انتقل مركز القاديانيين من قاديان في الهند إلى باكستان ليتابعوا مكيدتهم في الدولة المسلمة الناشئة، وفرض على هذه الدولة الحديثة تولية الزعيم القادياني المشهور (ظفر الله خان) وزيراً للخارجية واحتج المسلمون على هذا الإجراء وأجابهم رئيس وزراء باكستان يومئذ (الخوجا ناظم الدين) بأنه لا يستطيع التخلي عنه لأن ذلك يحرم باكستان من المساعدات الأجنبية لاسيما المواد الغذائية، ظلت الحكومات في باكستان تواجه الضغوط الخارجية لمنح القاديانيين ما يطلبون من تسهيلات وامتيازات، وانتهز القاديانيون هذه الفرصة المواتية فوضعوا عدة مشاريع طبقوها بنجاح ملحوظ فعمقوا جذورهم في باكستان وانطلقوا بعد ذلك ينشرون دعاياتهم في العالم بدعم مستمر من سادتهم المستعمرين[١].

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، الطبعة الثانية (دمشق دار القلم، ١٩٨٠م) ص

في عام ١٩٧١م استطاع المسلمون أن يوجهوا ضغوطاً متعددة اضطر على أثرها البرلمان المركزي الباكستاني أن يصدر قراراً إجماعياً يقضي لاعتبار جميع الفئات القاديانية غير إسلامية.

واضح أن الفرقة القاديانية نشأت بتخطيط من الإستعمار الإنجليزي في القارة الهندية وكان الهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام وأن لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي كانت تصدر بالإنجليزية.

وقد كان ميزرا غلام أحمد هو أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية وقد كان لهذه الطائفة أفكار واعتقادات نلخصها فيما يلي:

١- يعتقدون بأن الغلام هو المسيح الموعود.

٢- يعتقدون بأن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويوقع ويخطي تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

٣- تعتقد القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ، بل جارية والله يرسل الرسل حسب الضرورة وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء ويعتقدون بأن جبريل عليه السلام ينزل على غلام أحمد يوحي إليه إلهامات كالقرآن.

جذور هذه الحركة الفكرية تعود إلى حركة سير أحمد خان التي مهدت لظهور القاديانية وبث آرائه وأفكاره المنحرفة. واستغل الإنجليز هذا الجو وصنعوا الحركة القاديانية واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة، وللقاديانية صلة وثيقة ووطيدة مع إسرائيل وقد فتحت لهم المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة باسمهم وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم، ومن عقائدهم يوضح أثر المسيحية واليهودية والحركات الباطنية ويظهر ذلك في سلوكهم رغم ادعائهم الإسلام في الظاهر[1].

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية (الرياض: مطبعة سفير، ١٩٨٩).

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى ظهرت القاديانية في آخر القرن التاسع عشر المسيحي بعد استقرار الحكم الإنجليزي فيها وكانت ثورة على النبوة المحمدية وعلى الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام فهي الحركة الإسماعيلية التي تولى كبرها عبيد الله ابن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري واشك أنها بلغت مبلغ الأولى - القاديانية - في أصالة الفساد ودقة المؤامرة ومعاداة الإسلام، وقد تبنت الحكومة الإنجليزية هذه الطائفة واحتضنتها وساعدتها العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب وأصبحت قاديان مركز دعوة ودعاية سياسية يدين لها ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين - الثقافة العصرية - ورجال الدولة ولا يرى لها نشاط إلا في المناظرات وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين وتأييد السياسة الإنجليزية ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند وخارج الهند حتى انقسمت الهند عام ١٩٤٧م[(١)].

تعد القاديانية مذهباً من المذاهب التي والت الإستعمار في البلاد الإسلامية وتعد نموذجاً للمذاهب الهدامة التي ساعدت الإستعمار الذي كان يسعى لتفتيت وحدة العالم الإسلامي تحت شعاره المعروف (فرق تسد).

ثانياً الحركات التي واجهت الإستعمار (الجانب الإيجابي)

أ- حركات المقاومة العسكرية (نموذج حركة محمد عبد الله الحسن في الصومال)

واحدة من حركات الإصلاح في القرن الأفريقي التي عملت ضد القوى المسيحية الإستعمارية في شرق أفريقيا، وهذه الحركات في القرن الأفريقي تميزت عن غيرها خاصة في بلاد الصومال عن حركات الإصلاح في بقية القارة، والسبب أن هذا الجزء من القارة قد عرف الإسلام في وقت مبكر وكان هناك إلتحام بين المسيحية والإسلام لأن المسيحية قد وطدت نفوذها في الحبشة وبعد

(١) أبو الحسن علي الحسن الندوي، القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، الطبعة الثانية (جدة: الدار السعودية ١٩٦٧م) ص٦٨

طرد المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م حاولت الدول المسيحية قيام علاقات مع الحبشة المسيحية وعهدت لها برعاية المسيحية. وحاولت المسيحية أن تغزو الصومال واستطاع الإمام أحمد إبراهيم أن يقف أمام غزو الأحباش وقد كان لجهاده أثر واضح في نشر الإسلام في شرق القارة، كما واجه هذا الزعيم البرتغال وغزوها وظل الصراع قائماً بين الحبشة والصومال واتخذ شكلاً صليبياً، وقد تنافس على الصومال الإيطاليون والبرتغاليون والفرنسيون، ومن الزعماء الذين قاوموا الإستعمار السيد محمد عبد الله الحسن الذي قاد حركة الإصلاح في بلاده أواخر القرن التاسع عشر، وقد كانت الطرق الصوفية قد استقرت في الصومال وكانت الطريقة القادرية الأكثر انتشاراً في الصومال حتى عام ١٨٨٠م، وكان محمد عبد الله الحسن بطل المقاومة ضد القوى الإستعمارية وهو من أتباع الطريقة الصالحية وأصبح خليفة وكان يقوم بالدعوة إلى طريقة وواجه التوسع الإستعماري من قبل الأحباش والأوروبيين من جانب إيطاليا وبريطانيا وكان له جهاد في جبهتين ١- في نشر الدعوة ٢- الجهاد ضد الإستعمار الأوروبي واستمر جهاده مدة عشرون سنة أو تزيد انتهى عام ١٩٢٠م.

وهناك شبه بين حركات الإصلاح في أفريقيا فعبد الله الحسن يشبه في جهاده كل من الأمير المراكشي محمد عبد الكريم الخطابي والأمير عبد القادر الجزائري والأمير السنوسي وعمر المختار والمهدي في السودان.

ولد عبد الله الحسن عام ١٨٦٤م في شمال الصومال درس القرآن وبعد حفظ القرآن تعلم في المدارس العلوم الإسلامية، ثم شارك في التدريس، وبجهاده وعمله وتعليمه حقق لنفسه مكانة في الفقه وتحصل على لقب شيخ وهو صغير، وقام برحلات على المراكز الإسلامية في الصومال والتقى بالعلماء وبعد جولات علمية استقر حيث وفد إليه الطلاب وكان العالم المؤهل لذلك.

في عام ١٨٨٥م توجه محمد عبد الله إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحج وصحبه أتباع وهناك التقى بالعلماء والشيوخ، أتاحت له الرحلة الوقوف على حال المسلمين وعرف أخبار الثورات الإسلامية وحركات الإصلاح في السودان وفي مصر وغيرها.

وتعرف على نشاط البعثات التبشيرية في العالم الإسلامي وكذلك أخبار الإستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي، أثرت هذه الأخبار أثر في روحه الجهادية ضد الإستعمار الأوروبي.

وعاد محمد عبد الله الحسن عن طريق اليمن وكانت موانئ اليمن تحت النفوذ الإيطالي وعوامل معاملة سيئة في ميناء عدن ودار بينه وبين إدارة الميناء مشاجرة وتم سجنه هناك مما زاده حقداً على الأجانب، وسافر إلى بلاده ووصلها في أغسطس ١٨٨٥م وهناك عوامل معاملة قاسية من قبل الجمارك، ثم استقر في ميناء بربرة وأخذ يعلم الناس ويقدم النصائح والخطب وبنى مسجداً، ثم بدأ حث الناس على الجهاد، وأثار روحه الجهادية وجود أبناء المسلمين في مدارس النصارى عام ١٨٩١م. وفي عام ١٩٠٤م أصدر خطاباً لمحاربة الوثنيين والمنافقين بالسيف ويطالب أهله بعدم طاعة المسيحيين وعدم تعليم الأطفال باللغة الأوروبية وحثهم على تعليم الأطفال مبادئ الإسلام والعلوم الشرعية وطالبهم بالوحدة والتوحد، بدأ عبد الله الحسن حملته ضد الأعمال المنافية للشريعة الإسلامية وطالب بإلغاء استيراد الخمور إلى بلاده وعدم إرسال الأطفال إلى المدارس المسيحية وزاد المسألة اشتعالاً أن أحد القساوسة قتل مؤذناً حيث قام المسلمون بهدم مركز التبشير وعندها اضطرت الحكومة البريطانية إلى طرد المبشرين وتم منع بناء الكنائس وعدم استيراد الخمور. وكان أن أعلن محمد عبد الله الجهاد بعد هذه الحادثة وذلك في عام ١٨٩٩م. نشب الخلاف بين محمد عبد الله الحسن والقنصل البريطاني، وقد قررت بريطانيا شن حملة ضد محمد عبد الله الحسن وأتباعه وخرج هو من بربرة إلى مسقط رأسه واشترى بعض الأسلحة وأقام في (توجال) في عام ١٩٠٠م حضر بعض الذين يريدون جمع الضرائب ولكن أتباع محمد عبد الله شنوا عليهم هجوماً وعلى مراكز أخرى واستولوا على أسلاب من المعسكر ولأن الأحباش يحرسون المعسكر ويتبعون لحكومة الحبشة النصرانية في إقليم اوجادين. هذه الحادثة جعلت الإمبراطور منليك أن يتحالف مع البريطانيين واعتبر محمد عبد الله أن هذا التحالف عبارة عن إعلان الحرب ضد المسلمين وأعلن محمد عبد الله الحسن الجهاد ضد المستعمر. ومن هنا تبدأ حركة محمد عبد الله الحسن ضد

القوى الأوروبية ويصبح قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في إقليم الاوجادين ومن ثم اتحد ضده كل من الأحباش والبريطانيين، وقد أصبح الصراع واضحاً بين السيد محمد عبد الله الحسن والبريطانيين والأحباش، وأرسلت الحكومة البريطانية والحبشية جيشاً ضخماً وكان ذلك عام ١٩٠٠م واشتبك الطرفان حيث أبلى المسلمون بلاء واستشهدوا دفاعاً عن دينهم ووطنهم وردوا العدوان، وكونت الحكومة البريطانية حملة ثانية وأخذ محمد عبد الله الحسن يدرب أنصاره وتحالف مع غيره. ومن ثم رأت بريطانيا أن تتحالف مع كل من إيطاليا والحبشة، وتكونت حملة ثالثة استطاعت قوات محمد عبد الله هزيمتها وأصبحت روح المجاهدين عالية وأنهم يحاربون الكافرين من أجل العقيدة وأن الله يحارب معهم.

وكتب خطاباً إلى المستعمرين وطالبهم إذا أرادوا السلام أن يخرجوا من بلاده، وعندما علم برغبتهم في الصلح استجاب لهم وكانت إيطاليا الوسيطة لها أهداف تتمثل في:

١- أحست إيطاليا بعجز بريطانيا في قمع حركة محمد عبد الله.

٢- بعض مناطق إيطاليا أصبحت مسرحاً للحرب بين محمد عبد الله الحسن وبريطانيا.

٣- ربما انسحبت بريطانيا وتركت مجالها للمجاهدين.

٤- الاستفادة من محمد عبد الله الحسن.

٥- تريد إيطاليا أن تؤمن جانبها.

وقد استجاب محمد عبد الله الحسن لهذا الصلح الذي تضمن:

١- ألا يتدخل محمد عبد الله في شئون القبائل التي تحت حماية بريطانية.

٢- عدم شراء الدراويش السلاح.

٣- تحديد أماكن الدراويش في مكان معين.

٤- يرفع الحصار عن محمد عبد الله الحسن وأن يستورد السلاح.

وعرض محمد عبد الله الحسن مطالبه وتم الاتفاق بين الأطراف المتحاربة، واستمر هذا الصلح حتى ١٩٠٨م وقوى محمد عبد الله الحسن.

وكان أن وقعت خلافات بين محمد عبد الله الحسن وأصحابه انتهزت بريطانيا

هذا الخلاف، استمر الحال في الصومال حتى بعد الحرب العالمية الأولى وبعدها قررت بريطانيا أن تضع حداً لمحمد عبد الله الحسن وشنت عليه هجوماً وذلك عام ١٩٢٠م. حيث قذفت مواقعه ولكن محمد عبد الله الحسن نجا من الموت[١].

توفى هذا البطل الذي قاد حركة إصلاحية واسعة ضد ثلاثة دول هي بريطانية وإيطاليا والحبشة، توفي في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٠م مريضاً بعد أن دوخ هذه القوة الإستعمارية الثلاثة.

ب- محمد جمال الدين الأفغاني كأول مكافح للإستعمار الغربي

جمال الدين الأفغاني زعيم من زعماء الحركات الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢].

ولد جمال الدين الأفغاني سنة ١٢٥٤هـ الموافق له عام ١٨٣٨م في قرية سعد أباد من أعمال كابل عاصمة أفغانستان ويتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

كان الأفغاني ذا قوة في الفطرة وتوقد في الذكاء، ظهرت عليه علامات النبوغ والعبقرية والشجاعة منذ الصغر، تعلم اللغة العربية وعلومها والفارسية بالإضافة إلى الأفغانية ودرس علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والتاريخ وعلوم عديدة كالطب والتشريح على كبار الأساتذة[٣].

ارتحل جمال الدين الأفغاني في بلاد الهند ومصر والحجاز وإيران والعراق واستانبول من بلاد المشرق وارتحل ثانياً إلى لندن وباريس وميونخ في ألمانيا وبطرسبرج في روسيا من بلاد الغرب وكان جمال الدين في كل رحلاته هذه

---

(١) انظر التفاصيل، عبد الله الرزاق إبراهيم، المسلمون والإستعمار الأوروبي لأفريقيا (ألكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م) ص٢٢٢ -٢٢٦.

(٢) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، الطبعة الحادية عشر (القاهرة: دار غريب للطباعة ١٩٨٥م ص٦١).

(٣) محسن عبد الحميد، جمال الدين الأفغاني، الطبعة الأولى (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م) ص١٣.

مكافحاً للإستعمار الذي احتل أرض المسلمين وغوض وحدتهم وأثر في حياتهم.

لقد بدأ جمال الدين في نشأته الحديث عن (الأمة) أكثر من الحديث عن المسلم والحديث عما يجب أن يكون من صلة بين الحاكم والأمة من تبادل المشورة بينهما لا على نحو أن يكون أولهما سيداً والطرف الآخر مسوداً ومستبداً.

ولقد بدأ جمال الدين الأفغاني الحديث عن الإستعمار الغربي آنذاك في صورة واضحة وسافرة وكان حديثه عن الإستعمار أكثر وضوحاً من حديثه عن مقاومة البدع أو محاربة فرقة معينة من الفرق الإسلامية[١].

لقد كان العالم الإسلامي على عهد جمال الدين الأفغاني يرزح تحت الإستعمار الغربي ففي العام الذي ولد فيه جمال الدين احتل الإنجليز (كابل) و(قندهار). لقد كانت الهند منذ مولد جمال الدين الأفغاني خاضعة لشركة الهند الشرقية منذ (١٦٠٠ - ١٨٥٨م). وفي عام ١٨٥٨م أوقفت انجلترا أعمال شركة الهند الشرقية وحكمت الهند حكماً مباشراً ونادت بالملكة فكتوريا إمبراطورة على الهند. وبسبب سياسة الإنجليز كانت الهند أول بلد إسلامي بدأ فيه إلغاء الشريعة الإسلامية ليحل محلها القانون الوضعي، فقد كانت الشريعة هي قانون الدولة العام ودستورها الوحيد. حتى بعد أن قام فيها الحكم الإنجليزي الغاصب، فكانت يد السارق تقطع تنفيذاً لحكم اللّه إلى سنة (١٢٢١هـ - ١٧٩١م) ولكن سياسة الإنجليز قامت هناك على إلغاء الشريعة شيئاً وراء شيء. واستبدلت بها القانون الوضعي الإنجليزي، وما زال الإنجليز يوالون إلغاء الشريعة حتى تم لهم الإلغاء الكلي لها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وعلى نسق ما فعلت حكومة الإنجليز في الهند فعل حكام الولايات الهندية المسلمة فصاغوا جميع القوانين في الولايات المسلمة حسب القانون الوضعي المعمول به في الهند البريطانية وانحصر القانون الإسلامي كله في نطاق الأحوال الشخصية للمسلمين[٢].

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، مرجع سابق ص٦٤.

(٢) جمال الدين الأفغاني، علي عبد الحليم محمود، بدون طبعة (جدة: دار عكاظ، بدون تاريخ) ص١٦٧-١٨٣.

والجدير بالذكر أن الهند من أكبر الدول الإسلامية آنذاك وكانت السلطة فيها بيد المسلمين وآخر دولة حكمت الهند كانت الدولة التيمورية وكان عليها أحفاد تيمو لنك القائد الإسلامي، وقد شهدت الهند صراعاً فكرياً مع الإستعمار والمستعمرين قاده فيما بعد جمال الدين الأفغاني وسوف نتطرق لمقاومة جمال الدين الأفغاني للإستعمار الغربي في هذا الفصل عن الهند وغيرها من أقطار العالم.

كانت مصر وهي من أهم أقطار العالم الإسلامي على عهد جمال الدين الأفغاني تحت سيطرة الإنجليز وقد كان لهذا الاحتلال آثار سيئة على أرض الكنانة آنذاك.

وفي الاستانة عاصمة دولة الخلافة العثمانية في الفترة التي عاشها جمال الدين الأفغاني مقصد المسلمين وأمل المصلحين منهم، بل معقد رجاء المثقفين على دولة الخلافة الإسلامية وبخاصة بعد أن وضح تألب دولة أوروبا عليها وتحالف روسيا ضدها مع أوروبا في أكثر من موقف[1].

في هذا العصر بدأت الدول الغربية تتحرش بدولة الخلافة العثمانية واستمرت المؤامرات على هذه الدولة لإسقاطها وكان ليهود دور فعال في سقوط دولة الخلافة وهو عمل بدأ منذ عهد جمال الدين الأفغاني وفي فارس كان الحكام آنذاك مفتونون بالحضارة الغربية.

لا يخفي على أحد ممن يعنون بالتاريخ الحديث للعالم الإسلامي أن دول العالم الممثلة في روسيا ودول أوروبا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين قد وضعت نصب أعينها أن تقف من المسلمين ومن دولتهم الكبرى دولة الخلافة العثمانية موقف العدو الذي يتربص بهم الدوائر.

هذه تقريباً أحوال العالم الإسلامي على وجه الاختصار على عهد جمال الدين الأفغاني لم يقف جمال الدين الأفغاني أمام هذا الواقع على دول العالم الإسلامي مكتوف الأيدي فقد تحرك جمال الدين وقام برحلات جاب بها أنحاء

---

(١) عبد الحليم محمود، جمال الدين الأفغاني، مرجع سابق ص٢٣٥

العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وتوسعت رحلاته حتى أوروبا حيث وصل إلى ألمانيا وفرنسا وإنجلترا مزوداً بأفكاره الإصلاحية التي كان مرجعه فيها القرآن وسوف يتضح لنا بالدراسة لأفكاره أن الأمة الإسلامية في ذلك الأوان كانت في حاجة إلى دعوة إصلاحية وفكرية تقاوم الإستعمار وتكافح الغزو الأجنبي وقد كان جمال الدين الأفغاني هو بطل الدعوة إلى الإصلاح والدفاع الفكري عن مقدرات المسلمين.

لقد كانت حركة جمال الدين الأفغاني في مفهومها حركة سياسية وفي جوهرها حركة إسلامية.

كان جمال الدين يتحدث عن وحدة المسلمين مرة وعن حكومات إسلامية مستقلة يرتبط بعضها ببعض في شبه اتحاد مرة أخرى ومع ذلك فالشيء الذي لم يتغير عنده هو الدعوة إلى الأخذ بتعاليم الإسلام سواء في قيام الحكومة الواحدة أو في ارتباط الحكومات المختلفة يتحدث عن أخذ ما عند الغرب من حضارة ومدنية وعلم ولكن على أساس أن يكون ذلك في تلازم مع الإسلام، لأن الإسلامي يدعو إليه

ويتحدث عن مقاومة الإستعمار الغربي وبالأخص مقاومة الإستعمار الإنجليزي ولكن في حديثه عن ذلك يتكئ على الإسلام ويطلب تحقيق تعاليمه ينتقد سلطان الأستانة وشاه إيران وخديوي مصر، إن كل واحد من هؤلاء لا يرغب في إعطاء الشعب حريته في الرأي والقول والمشورة ولا يرغب في إعطاء الشعب دستوراً يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكومين.

يأتي نقده لمصلحة الشعب، فيبدو عليه مسحة العمل السياسي، ولكن هذا النقد أسس على الإسلام وعلى مبادئه التي تصون هذه المقدسات: حرية الشعب وسيادته ووضع الحاكم منه وضع المنفذ لمشيئته، لا وضع السيد صاحب السيادة المطلقة عليه.

يدعو إلى الترابط الوثيق بين المسلمين وغيرهم في الأوطان الإسلامية ويستند في ذلك إلى الإسلام في تاريخ الفتوح وفي تعاليمه في الصلة بين المسلم وغيره كما دعا إلى نبذ الخصومة بين الشيعة والسنة ولاسيما بعد ذهاب دولة الهند الإسلامية.

حارب الأفغاني المذهب الدهري الذي انتشر في الهند عام ١٨٧٩م وقد قاوم الأفغاني الفكر الإسلامي الذي قام لخدمة المستعمر ولاسيما على الدهريين في الهند وهم أصحاب المذهب الطبيعي المادي وأوضح أضرار هذا المذهب على المجتمع[(١)].

كان الأفغاني مناضلاً عنيفاً عن أمته ضد الإستعمار الغربي الذي كان يومئذ يسيطر على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي. فقد كان الإنجليز يسيطرون على الهند ومعظم أطراف الجزيرة العربية والسودان سيطرة مباشرة، وكان يخططون لإستعمار أفغانستان وإيران ومصر وأجزاء أخرى من العالم الإسلامي.

ولقد عاش الأفغاني طوال حياته وهو يريد أن يحرك المسلمين ويدفعهم إلى طريق الجهاد وحب الموت في سبيل الله.

كان الأفغاني يدعو إلى وحدة العالم الإسلامي لقد وصل المسلمون في القرن التاسع عشر إلى حالة من التمزق والتقاطع بحيث أسلمتهم إلى الدول الإستعمارية التي استولت على أجزاء كبيرة من بلادهم وخططت للقضاء على شخصية الأمة وحضارتها وعقيدتها فضلاً عن مص دماء أبنائها والاستئثار بخيرات بلادها.

اتخذ جمال الدين الأفغاني وسائل عديدة لتأليب المسلمين ضد الإستعمار منها الاتصال بالحكام في عهده وتحريضهم على عدم قبول أفكار الإستعمار وحضهم على محاربته ومنها عقد الندوات والمحاضرات لبث التوعية وفهم الإسلام الفهم الصحيح ومنها كتابة الكتب كرسالته في الرد على الدهريين وعندما استقر به المقام في باريس أصدر مع تلميذه مجلة العروة الوثقى التي كانت توزع في كل أنحاء العالم الإسلامي.

يقول جمال الدين الأفغاني عن الدين الإسلامي أنه في مقدمة الأديان من حيث حاجة البشرية إليه لأن له مزايا ليست متوافرة في دين أخر.

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، مرجع سابق ص٦٦-٧٠.

كما تقدم لكي يقوم جمال الدين حملته ضد الإستعمار أصدر العروة الوثقى تلبية لحاجة العالم الإسلامي إلى صحيفة تساير عصرها وتعبر عما يجيش في خواطره وتناقش مشاكله وتتعرض لآماله وتطلعاته وتستحثه للدفاع عن نفسه.

والاجتماع حول وحدته، وتخطى عوامل تخلفه وحينما ظهرت العروة الوثقى كانت الظروف كلها مهيأة لنجاحها، محررون على أعلى مستوى من الوعي السياسي والنضج الفكري، وعالم إسلامي يتمخض عن مستقبل مشرق واستعداد للثورة ضد الإستعمار وحنين للعودة إلى مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، لم تكد هذه الصحيفة تعلن عن ظهورها حتى تصدت لها قوى البغي التي خططت لنفسها أن يظل العالم الإسلامي في غفوته وكبوته حتى يتسنى لها الاستيلاء عليه وإخضاع ما تبقى منه لنفوذها وكان وجود هذه الصحيفة من شأنه أن يعرقل مصالحهم ومخططاتهم ويفسد دسائسهم ولذلك حوربت وتعرضت لشتى أنواع الاضطهاد من حرمان من دخول الأمصار الإسلامية وفرض غرامة كبيرة على من توجد عنده ومنعت الصحف الأخرى أن تنقل عنها وتحريض صحف أخرى على تشويه ما تقدمه أو تفسيره وفقاً لما يخدم المصالح الإستعمارية.

ولهذا كله لم يقدر لهذه الصحيفة البقاء طويلاً إذ صدر العدد الأول في ١١ مارس ١٨٨٤م والعدد الثامن عشر والأخير في ١٧ أكتوبر ١٨٨٤م[1].

وقد كانت العروة الوثقى واسعة الانتشار وكانت وسيلة اتصال لكافة جماهير العالم الإسلامي آنذاك وكانت بحق صحيفة إسلامية عالمية وجهت هذه الصحيفة المزودة بأفكار جمال الدين الأفغاني وقلم محمد عبده ضد الاستبداد والإستعمار.

كان صدور العروة الوثقى في ظروف احتلال العالم الإسلامي في سنة ١٨٥٧م احتلت انجلترا الهند وفي نفس السنة تم الاستيلاء الفرنسيين على الجزائر وفي سنة ١٨٨٢م تم احتلال مصر بواسطة انجلترا. لقد حاول الإستعمار الغربي أن

(١) محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م) ص٢٩١.

ينفرد بالتوجيه داخل الشعوب الإسلامية ورغم ما بذله في سبيل تفرده بذلك من مال وسلطة ودهاء سياسي وتبشير بالفكر الأوروبي وبالمسيحية لقد وجد الإستعمار مقاومة من المسلمين وقد أخذت المقاومة للإستعمار طابعاً سياسياً ولكن قامت على توجيه إسلامي وعلى فكرة إسلامية أصيلة

أخذ جمال الدين الأفغاني على نفسه إنشاء مجلة العروة الوثقى وهي مجلة أسبوعية عربية كان هو مدير سياستها والشيخ محمد عبده محررها وكانت تتولى الإنفاق عليها جمعية اسمها العروة الوثقى في الهند ومصر وغيرهما من أقطار الشرق.

وقد حدد جمال الدين الأفغاني أهداف العروة الوثقى:

١- تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم والكشف عن المسالك الدقيقة التي يسرى الطامعون في دياجر الغفلات لبثها.
٢- سكب مياه النصح على لهيب الضغائن لتلاقي قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد.
٣- بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف.
٤- توضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت.

العروة الوثقى خلال فترة صدورها تعرضت لمواضيع حسب أهميتها هي:

١- مقاومة الإستعمار.
٢- الدعوة إلى الجهاد.
٣- أسباب تخلف المسلمين.
٤- الوحدة السياسية.

ولأن جمال الدين الأفغاني جعل همه مقاومة الإستعمار سوف نستعرض الفقرة الأولى تحت عنوان مقاومة الإستعمار الغربي نرى كيف مارس جمال الدين الأفغاني حملته ضد الإستعمار الغربي من خلال العروة الوثقى كصحيفة ووسيلة لمحاربة الإستعمار الغربي.

لم يكن لجمال الدين الأفغاني من هدف سوى مقاومة الإستعمار الغرب وخاصة الإنجليزي الذي عمد بكل الوسائل والطرق إلى فضح سياسته وكشف أساليبه الملتوية والتركيز على نقاط ضعف وحدة المسلمين على مقاومته وتشجيع الحركات الثورية وبيان سوء موقفه الدولي ودعوة الدول الأوروبية بحكم حالها من مصالح في المنطقة إلى مقاومته ودعوة الدول العثمانية بحكم ما لها من سلطان هائل على المسلمين إلى استغلال هذا والتلويح به لزلزلة قلوب الإنجليز وعند دعوته للوحدة أوضح كيف أن الوحدة مهمة لمقاومة الإستعمار الغربي وكيف أن تخلف المسلمين كان سبباً إلى أن يطمع فيهم الأوروبيون ودعوته إلى الجهاد كانت موجه أساساً ضد الإستعمار الغربي. ويرجع حرص جمال الدين الأفغاني على مقاومة الإستعمار الغربي وخاصة الإنجليزي إلى احتكاكه المباشر به في مصر والهند.

لقد ركز جمال الدين على مقاومة الإستعمار في مصر إذ رأى فيها موقعاً من أهم المواقع الإسلامية ويتطرق إلى السودان وغيره من الأقطار الإسلامية التي كان الإستعمار يتهددها في عهده.

وقد كانت الهند من الدول المهمة كذلك وأعطاها جمال الدين أهمية خاصة وكافح الإستعمار الإنجليزي هناك[١].

مات جمال الدين في سنة ١٨٩٧م بعد صراع عنيف مع الإستعمار الغربي استمر قرابة ثلاثون عاماً ولكن ما أن توفى - عليه رحمة الله - حتى انتشر كفاحه واتجاهه في التفكير في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة في تلك الأنحاء التي تسلط عليها الأجنبي وعبث بمقدسات المسلمين وبكرامتهم واقتصادياتهم ومواردهم في الثروة الطبيعية.

مات جمال الدين في استانبول وظهر أثره في مصر وذلك عند محمد عبده ومدرسته السلفية وفي الجزائر في جمعية علماء الجزائر التي أسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى سنة ١٩٤٠م.

---

(١) المرجع نفسه ص٣٠٠ -٣٢١.

وفي الهند متمثلاً في جماعة أهل الحديث وفي ندوة العلماء محمد شبل النعماني المتوفى سنة ١٩٤١م. وفي أزهر الهند وفي مدرسة دار العلوم.

وفي كل هذه الحركات نجد هدفاً واحداً هو تحرير الوطن الإسلامي من الإستعمار الغربي. ومحاربة الاتجاه الإستعماري في التفكير[١].

ما تقدم وصف إجمالي لما قام به جمال الدين الأفغاني وكيف كان أثره واضحاً في كل أنحاء العالم الإسلامي الذي هب وشرع في محاربة الإستعمار الغربي وكيف أن الأفغاني اتخذ لدعوته كافة الوسائل من الدروس والمحاضرات والخطب والكتب والصحف وخاصة مجلة العروة الوثقى.

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ص٨٩ - ٩٠.

الباب الخامس

الصهيونية العالمية
نموذج للإستعمار الاستيطاني
وآخر حلقات الإستعمار

يحتوي هذا الباب على ثلاث فصول كما يلي:

- الفصل الأول: الصهيونية العالمية نشأتها وطبيعتها
- الفصل الثاني: الصهيونية العالمية أطماعها وأساليبها
- الفصل الثالث: الصهيونية العالمية أساليب التصدي لها

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾

[المائدة: ٥١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر يهود).

أخرجه مسلم والترمذي - المهدي وأشراط الساعة - محمد علي الصابوني - ٣١ -

الفصل الأول

الصهيونية العالمية نشأتها وطبيعتها

المبحث الأول

الصهيونية العالمية تعريفها

بالرجوع إلى المصادر الرئيسية اتضح للباحث تعريف الصهيونية العالمية فقد جاء في الموسوعة الفلسطينية (أصل صهيون هو اسم لحصن كان قديماً على مرتفع من الأرض في أيدي رجال داود بن سليمان النبي وذكرت هذه الكلمة لأول مرة في التوراة... (وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم القديمة أي القدس إلى اليوسين سكان الأرض وأخذ الملك حصن المدينة حصن صهيون)[1].

ثم عظمت كلمة صهيون عند اليهود لأنها تمثل مجد إسرائيل وملك إسرائيل، فاتخذوا صفتها الصهيونية اسماً لمذهبهم. وعلى ذلك فإن كلمة صهيون قد جاءت من صهيون وهو الجبل أو الربوة أو التل الموجود في أورشليم.

والصهيونية مذهب عنصري وهو شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري وقد حاول اليهود خلق فكرة أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر

---

(١) (عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ج١ - ١٠٩).

وأن الصهيونية حركة مستقلة قام بها بعض مفكري اليهود واليهودية دين لا يمت للصهيونية والحقيقة أن الحركة الصهيونية العالمية هي حركة يهودية عالمية وأنها شيء واحد وتوأمان لا ينفصلان)[١].

(وتعرف دائرة المعارف البريطانية الصهيونية تعريفاً بسيطاً جداً هو أنها رد فعل اليهود للا سامية الأممية)[٢].

ولقد جاء في كتاب أصول الصهيونية ومآلها ما يلي (جبل صهيون في أورشليم بني عليه سليمان الهيكل وفيه المسجد الأقصى والصخرة لعل اللفظ عربي مشتق من الصهوة أي الربوة أو قمة على وزن فعلون فيه صفة المبالغة كما هو معروف عند العرب في بعض الألفاظ كرحمون وسعدون وحمدون)[٣].

وبالرجوع إلى الموسوعة العربية الميسرة جاء ما يلي (صهيونية: حركة قصدت إلى قيام الدولة اليهودية على غرار الدولة القديمة التي قضت عليها روما تزعمها هرتزل الذي دعا أخريات القرن التاسع عشر إلى أول مؤتمر صهيوني دولي عقد في بال بسويسرا وقرر تكوين منظمات صهيونية في البلاد التي يوجد فيها عدد كاف من اليهود قام على أمرها بعده زعماء آخرون أمثال ماكس نوردو وحايم وايزمان.

تعاقبت مؤتمراتها وتحمس لها يهود شرق أوروبا وأمدها يهود شرق أوروبا وأمدها يهود أمريكا بالمال، تطلعت الصهيونية إلى فلسطين لتكون مقراً لها ثم جاء وعد بلفور الذي سمح لليهود بتكوين وطن لهم في فلسطين فعزز آمالها)[٤].

ويقول المحامي سليمان حاتم في تعريف الصهيونية (أول من استعمل لفظ الصهيونية هو اليهودي الدكتور ناثال بيرتبورم قبل عقد مؤتمر بال ببضع سنوات ويقصد بها عودة صهيون)[٥].

---

(١) (عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ج١ - ١٠٩).

(٢) (عبد الحميد محمد المسيري - اليهودية والصهيونية وإسرائيل - ٢٠).

(٣) (عبد الحميد بن أبي أويان - أصول الصهيونية ومآلها - ١١٠).

(٤) (الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال.

(٥) (سليمان حاتم - الصهيونية العالمية)

مما تقدم يتضح لنا التعريف بالصهيونية العالمية وقد أوردته مختصراً معتمداً على أهم المراجع التي توفرت لي حين إعداد هذا البحث، الذي لا يهدف إلى التفصيل بقدر ما يهدف إلى إعطاء معلومات مركزة حول الموضوع تارك الفرصة للقارئ أن يتوسع حيث المظان الخاصة بهذا الموضوع وحسبنا لفت النظر والإرشاد إلى المراجع التي أسهمت في هذا الموضوع.

المبحث الثاني

الصهيونية العالمية نشأتها

اختلف مؤرخو الحركة الصهيونية في تحديد تاريخ معين لنشأة هذه الحركة فمن هؤلاء من يرى أن الفكرة الصهيونية قديمة قدم الدين اليهودي ومن هؤلاء من يقول أنها بدأت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كآخر حركة قومية في أوروبا ومن المؤرخين من يقول أن الفكرة الصهيونية كانت من قبل غير أن مؤتمر بال الذي دعا له الصحافي النمساوي تيودور هرتزل هو الذي أنعش هذه الفكرة من وجهة النظر السياسية.

ويبدو هذا الرأي هو أقوى الآراء وفيما يلي بعض النصوص لبعض الكتاب تشير إلى ما تقدم من آراء.

الفقرات التالية من كتاب الصهيونية العالمية بتصرف (وتاريخ الصهيونية يعود في الواقع إلى أربعة أزمان متفاوتة:

الأول: زمن موسى عليه السلام عام ٦٠٠ ق. م.

الثاني: زمن عزرا الكاهن عام ٥٤٥ ق. م الذي سعى لبناء هيكل سليمان.

الثالث: المكابية حركة تمردت على عملية الدمج في الحياة اليونانية الدينية الاجتماعية بعد زمن الاسكندر المقدوني.

الرابع: القرن الثامن عشر، مقررات حكماء صهيون)[١].

ويؤيد هذا الرأي رأي أن الحركة الصهيونية ليست وليدة العصر ما جاء في كتاب الصهيونية والنازية حيث يقول مؤلفه (ويحسب الكثيرون أن الصهيونية بدأت بنبيها الحديث تيودور هرتزل وهي في الواقع قديمة)[٢].

---

(١) (سليمان حاتم - الصهيونية العالمية ٥٩ - ٦٠ - بتصرف)

(٢) (معين أحمد محمود - الصهيونية العالمية - والنازية - ٧٠)

ويشير إلى قدم الفكرة كتاب آخر حيث يقول مؤلفه (أن اليهودية دين عرف منذ نيف وثلاثين قرناً من زمان أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود غير أن اليهودية ليست كسائر الأديان فهي تعبر عن طائفة دينية فحسب وإنما تعبر أيضاً عن حركة سياسية امتدت أصولها منذ أن أزال الرومان مملكة (يهوذا) من خريطة الوجود ومن ثم كان ارتباط اليهود بالصهيونية منذ ذلك التاريخ بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأصبحتا تمثلان وجهين لعملة واحدة.

وقد حرص اليهود منذ البداية ألا يكشفوا نواياهم الحقيقية بل حاولوا أن يخلعوا على إعلان (الحركة الصهيونية) وأهدافها وبرامجها ثواباً إنسانياً عاماً)[١].

ويشير إلى قدم الفكرة كتاب آخر يقول الكاتب (إن اليهودية دين عرف منذ نيف أيام إبراهيم وإسحق ويعقوب).

(إن زعمائهم الصهاينة يقولون، ما دامت التوراة أم الكتب موجودة، وما دام للتوراة شعب موجود أفلا ينبغي أن يكون للتوراة بلاد أيضاً وحاولت الصهيونية بعملية تزوير أن تثبت تاريخاً لميلادها وأن تعتبره قديماً قدم العالم ويقترح (نورمان بنتفتشي) تاريخاً لولادة الصهيونية فيجعله من تاريخ سبي اليهود وأسرهم في القرن السادس قبل الميلاد وعلى هذا الأساس فالصهيونية واليهودية شيء واحد وليس من فرق بين حركة ودين)[٢].

على الرغم من أن هناك نصوصاً كثيرة تشير إلى أن الصهيونية ليست جديدة وإنما هناك رباط بين هذه الفكرة والدين اليهودي كما تقدم من نص الموسوعة، ولكن هناك نصوص أخرى تشير إلى أن هذه الحركة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وسوف نورد طرفاً من هذه النصوص.

يقول محمد مصباح حمدان في كتابه الإستعمار والصهيونية (بدأت الصهيونية أعمالها المنظمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد عندما بدأت تضغط

(١) (عمر رشدي - الصهيونية وربيبتها إسرائيل - ١٩ -).
(٢) عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ج١ - ١٠٩.

على الدول الغربية وقد قامت بنشاط واسع بين الساسة في بريطانيا وفرنسا)[١].

ومن النص المتقدم نلاحظ أن جملة (أعمالها المنظمة) فهذه الجملة توحي أن لهذه الفكرة جذور قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

ويشير كاتب آخر إلى هرتزل بصفته واضع حجر الأساس لهذه الفكرة فيقول (تيودور هيرتزل ١٨٦٠ - ١٩٠٤م) ويلقب بالصهيوني الأول لأنه أول من ساهم بشكل جدي وعملي بوضع حجر الأساس في بناء الصهيونية السياسية الدولية وخالق الدولة اليهودية ولد في بودابست في الميجر ٢ - ٥ - ١٨٦٠م وعمل صحافياً بعيداً تقريباً عن الثقافة واللغة والديانة اليهودية ولكن تحسس المصائب التي حلت باليهود والأحداث التي واجهتهم وعاش اللا سامية طالباً وصحافياً)[٢].

ومن النص المتقدم ذكره يبدو أن هيرتزل هو أبو الصهيونية السياسية وبالتالي تكون هناك أفرع أخرى للصهيونية العالمية مثل الصهيونية الثقافية والصهيونية الدينية... الخ ويبدو أن الحركة الصهيونية السياسية حركها تيودور هرتزل ونظمها ويقول الكاتب جاك دومال (نشأت هذه الحركة عملياً يوم انتقل صحفي صغير في فيينا يدعى هرتزل من القول إلى العمل)[٣].

أما عن المكان الذي نشأت فيه هذه الحركة نلاحظه من خلال النصوص التالية:

(مع نهاية الحرب العالمية تصبح بولونيا واحداً من أهم المراكز الصهيونية العالمية) (د. م برود سكي، بو أ. هوليستر، ترجمة هاشم حمادي - الصهيونية في خدمة الرجعية - ٢٧).

كما تكلم عن نشأة الصهيونية كاتب آخر (نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا وباقي دول أوروبا الشرقية خلال القرن التاسع عشر حيث تعيش آنذاك أكثرية اليهود في العالم وتعود أسباب نشوؤها إلى عوامل عديدة

---

(١) محمد مصباح حمدان - الإستعمار والصهيونية - ١١٥ -).

(٢) سليمان حاتم - الصهيونية العالمية - ٦٨ -).

(٣) جاك دومال - ماري لورا ترجمة نزيه الحيك - التحدي الصهيوني - ٣٣).

سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية منها ما يتعلق بأوضاع اليهود الذاتية خلال تلك الفترة التي كانت بحد ذاتها تتمة لما سبقها وما يتعلق بالأوضاع العامة في البلدان التي كان اليهود يعيشون فيها والتغييرات التي حدثت في أوروبا وروسيا خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ولم تكن الصهيونية من حيث الأسباب أو تاريخ ظهورها إلا إحدى مشتقات المسألة اليهودية التي خلفها حكامهم وشعوب قسم من الدول المذكورة، بينما ساهم القسم الآخر بمساعدة بعض الفئات اليهودية أحياناً في بقائها حية أو دعمها)[١].

والصهيونية السياسية كان لها جذور في روسيا (وظهرت في السنة نفسها ١٨٨٢م في روسيا حركة باسم شبات صهيون وتعني حب صهيون)[٢].

وروسيا تقع خاصة الأجزاء الغربية منها في شرق أوروبا ومما تقدم نرى أن مهد الحركة الصهيونية السياسية كان شرق أوروبا ومما يزيد هذا العلم النص التالي (الصهيونية حركة أوروبية شرقية في أصولها لا لمجرد أن معظم زعمائها جاءوا من تلك المنطقة حيث تتجمع الغالبية العظمى من يهود أوروبا بل هناك سببان آخران السبب الأول كما رأينا هو حساسية يهود أوروبا الشرقية خاصة تجاه اللا سامية التي قامت على أساس الإجحاف العام الذي عززته بشكل نشيط أيضاً أنظمة الحكم غير المستعمرة للتخلص من النغمة عليها، والسبب الثاني الذي رجع الصهيونية في صفوف يهود أوروبا الشرقية هو حجم الصهيونية وتنظيمها الداخلي)[٣].

ويسترسل صاحب الكتاب إلى أن يقول (وقد وعي جيداً زعماء اليهود الشرقيين أهميتهم بالنسبة للصهيونية فاستاءوا منذ البداية من حقيقة أن القيادة كانت في السنوات الأولى في أيدي الغربيين أمثال هرتزل وعلق الزعيم الشرقي وايزمان بشكل حاد ومنحاز أنه بفضل اليهود الروس وجد هرتزل حركة جاهزة

---

(١) صبري جرجس - تاريخ الصهيونية - ١٣ -).

(٢) (الآن - تايلور تعريب شكري محمود - مدخل إلى إسرائيل -).

(٣) (ح. هـ. جانسن ترجمة راشد حميد - الصهيونية وإسرائيل وآسيا - ٤٩ -).

له فنحن لم نأت إلى فلسطين بعباءتنا فحسب وإنما بشعبنا أيضاً)[(١)].

ونخلص مما تقدم أن الصهيون كفكرة كانت قديمة ولكن الذي حركها عملياً هو تيودور هرتزل بعد عام ١٨٩٧م وبعد اتخاذ قرارات في المؤتمر الصهيوني الأول كما أن هذه الحركة نشطت في شرق أوروبا حيث دعمها هؤلاء بالفكر والإعداد الهائلة التي تهاجر كل عام إلى أرض الإسلام في فلسطين وما ترتب على ذلك من توسع وبناء للمستعمرات الصهيونية، وما ترتب عليه من تشريد الشعب المسلم من دياره، وتكالب كل أدعياء السلم والسلام عليه بل حتى أخوان الدين والجلدة لم ير منهم إلا الكيد والخصام فتارة الشعب مشرد وتارة تبرم الاتفاقيات التي يقوم مصمموها أن ٩٩٪ بيد الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا الشرق الأوروبي يزرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي والغرب الأوروبي فكراً وموقعاً يرعى هذا الكيان، ولكن أن يكن صدر هذا القرن ولى وأخذت فيه أرض الإسلام فإن آخره بإذن الله قريب وسوف تعود أرض الإسلام على يد قوم يحبهم الله ويحبونه.

---

(١) ح. هـ. جانسن ترجمة راشد حميد - الصهيونية وإسرائيل وآسيا - ٥٢)

المبحث الثالث

الصهيونية العالمية طبيعتها

من استقراء التاريخ والتاريخ الخاص بالصهيونية العالمية وتحليل وقائع التاريخ الكثيرة تثبت لدى الباحث إن هذه الحركة الصهيونية العالمية تحمل في طياتها طبائع شتى الواحدة من هذه الطبائع والصفات كافية لأن تثير القلاقل والفتن والحروب في العالم أجمع فما بالك بالعالم الإسلامي أو العربي. وهي طبائع وخصائص منها ما يحمل التعصب ومنها ما يحمل الكراهية.

فالصهيونية العالمية حركة قومية دينية وسياسية وعنصرية بغيضة وإستعمارية.

إن الصفات آنفة الذكر لا إطلاقها إطلاقاً وإنما عندي الدلائل على هذه ووجود دويلة إسرائيلية في قلب العالم الإسلامي أكبر دليل على هذه الطبائع.

(يزعم فريق من اليهود أن قومية موحدة تنتظم أوزاعهم كافة ومهما حط بهم القرار بمناكب الأرض ولا تنفك كتبهم المقدسة تعمق هذه العقيدة في إخلادهم بحسبانهم شعباً ممتازاً اصطنعته العناية الإلهية لخلافتها في الأرض من دون العالمين باعتبارهم سلسلة أصلاب مقدسة تنتمي إلى سيدنا يعقوب - المعروف بإسرائيل وتنتهي إلى سيدنا إبراهيم أب الأنبياء ومن خلال هذه العقيدة المقدسة انبثقت الصهيونية ديناً قومياً لليهود يتبلور فيها جماع التراث العنصري اليهودي)[1].

ومن النصوص المتقدمة كذلك يتضح لنا أن هذه الدعوة حركة دينية ولكن هناك أدلة أوضح نسوقها دليلاً على ما نقول (والصهيونية مذهب ديني إستعماري متطرف يتمذهب به غلاة اليهود فحواها السيطرة السياسية والغرور العنصري الغشوم والتعصب الديني الجانح)[2].

---

(١) (محمد عبد المعز - الصهيونية في المجال الدولي - ١٤).

(٢) (محمد عبد المعز - الصهيونية في المجال الدولي).

ويوضح أنها حركة قومية كذلك ما ورد في كتاب ثيودور هرتزل وهو عبارة عن المذكرات الخاصة به يقول (ففي أول زيارة له بتركيا لعب هرتزل بفكرة الحصول على الجزيرة (قبرص) لاستخدامها كورقة مساومة لإقناع السلطان بتسليم فلسطين لليهود وقد ظل بعد ذلك يراسل دافيز نريتش الذي كان كداعية لتوطين اليهود في قبرص أول قومي. يهودي يتصل بالمسئولين البريطانيين)[١].

وهي أي الصهيونية العالمية دعوة إستعمارية تسير جنباً إلى جنب مع الإستعمار (وهكذا التقى الإستعمار والصهيونية العالمية حيث التقت مصالحهم وسارا منذ ١٩٠٧م جنباً إلى جنب في طريق محو عروبة فلسطين وإقامة دولة لليهود فيها ولم تقتصر الصهيونية جهداً في وضع كل نفوذها المالي والسياسي في خدمة الإستعمار البريطاني)[٢].

الكاتب في السطور المتقدمة يستخدم عبارة (محو عروبة فلسطين) وعلى ما أظن أنه يعالج القضية من المنظور العربي وهذا طبعاً من أكبر الأخطاء التي ارتكبت في حق القضية الفلسطينية وهو أن نلبسها الثوب القومي ومن ثم تظل القضية قضية العرب كما كانوا يعبرون من المحيط إلى الخليج، وهذا التطور هو الذي أدى إلى عزل بقية المسلمين عن المشاركة في تخليص أرض الإسلام في فلسطين إذ أن هذه الأرض دوماً إسلامية وربما كان هناك نزاع في عروبتها ولكن ليس هناك أي نزاع حول إسلاميتها ومن هذا المنظور أعالج هذا الموضوع في هذا البحث المتواضع.

والصهيونية العالمية حركة عنصرية من الطراز الأول باعتراف مفكري الصهيونية العالمية (يقول المفكر الصهيوني مومس هي (١٨١٢م - ١٨٧٥م) في كتابه (روما والقدس) أن العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري وقد حافظ هذا العرق على وحدته رغم المؤثرات المناخية عليه كما حافظت

(١) (ديزمومند ستيورات - ترجمة فوزي وفاء - ثيودور هرتزل - ٣٤١).

(٢) (عمر رشدي - الصهيونية وربيتها - إسرائيل - ٣٧١).

السمة اليهودية على تفاوتها عبر العصور)[١] ويقول صاحب نفس المرجع (حبيب قهوجي صفحة ٣) (برزت فكرة العنصرية كضرورة حتمية لحركة صهيونية تماماً كفلسفة تفوق الرجل الأبيض وعبء الرجل الأبيض لتبرير استعباده للشعوب كلاهما كان ضرورة).

إن الفكر الصهيوني علاوة على ما تقدم يقوم على قول أن اليهود (أمة عالمية واحدة) وأنهم (شعب الله المختار).

والصهيونية حركة دينية وهو شيء واضح حيث أن الصهيونية العالمية واليهودية صنوان (فإن جذور الصهيونية تمتد من أصول الدين اليهودي وترجع إلى نشأته كما يبين من مطابقة النصوص ومن مطابقة أهدافها على نصوص التوراة ومن استقراء التاريخ اليهودي والحركات الوطنية اليهودية فالطابع الديني هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية)[٢].

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تنفك عن الدين الصهيونية العالمية (ولا يعني ذلك أن الصهيونية قد تخلت عن أصلها الديني فإنه ما انفك المعين الذي تنحدر منه وتقوم عليه وتستمد منه تأثيرها وفاعليتها بين أوزاع اليهود في فجاج الأرض)[٣].

ومن النص الذي يأتي تتضح لنا فكرة ارتباط الصهيونية العالمية بالدين. (وجدت فكرة الصهيونية منذ قرون وجهاً من أوجه الفكر اليهودي والمسيحي ففي أولهما كانت الصهيونية نتيجة العلاقة بين اليهودية ومملكة العبرانيين القديمة في فلسطين وظهرت في ثانيهما منذ كروميل عندما كان يفترض أنه بحلول الألف - أي بمرور ألف عام على حكم السيد المسيح على الأرض - سيعود اليهود إلى فلسطين)[٤].

---

(١) حبيب قهوجي - الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة - ١٣ -).

(٢) (عبد السميع سالم الهراوي - الصهيونية الدين والسياسة - ٣٧ -).

(٣) (عبد السميع سالم الهرامي - مرجع سابق - ٤٨-).

(٤) (الآن - تايلور تعريب شكري محمود - مدخل إلى إسرائيل - ١٩ -).

وبهذا نجد الصهيونية العالمية ذات صفات شتى وطبائع مختلفة ولكن أهم هذه هي الطبيعة السياسية أو ما يسمى بالصهيونية السياسية وكان زعيم هذا النوع من الصهيونية هو ثيودور هرتزل منذ مؤتمر سويسرا عام ١٨٩٧م وقد ترتب على هذا قيام كيان سياسي ووطن قومي لشذاذ الأفاق في أرض الإسلام فلسطين.

وثمة مظاهر وصفات تميز الصهيونية العالمية وتوضح ملامحها في العصر الحديث. (وتمتاز الصهيونية العالمية في العصر الحديث بطابع سياسي وتلبس قناعاً توارى به أطماعها الخفية وتعالج من دونه هذه الأطماع باعتبارها مشكلة قومية وذلك مجاراة لروح العصر وتياراته الفكرية والسياسية)[١].

(ولقد انقضت الظروف الاجتماعية والأحداث السياسية التي لابست ظهور الصهيونية جهرة في خوضها خضم الحياة السياسية)[٢].

مع جميع هذه الطبائع يمتاز اليهودي بأنه يهودي في كل زمان ومكان وقراءة النص التالي توضح لنا الصورة (ومن ثم نستخلص أن اليهودي يهودي أينما حل ونزل... وأينما سار وارتحل فهو يعمل لمصلحة اليهود ولا ينسى أنه يهودي قبل كل شيء)[٣].

---

(١) (عبد السميع سالم الهراوي - مرجع سابق - ٤٨ –).

(٢) (محمد عبد المعز - الصهيونية في المجال الدولي-).

(٣) (عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ٤٨ –).

الفصل الثاني

الصهيونية العالمية أطماعها وأساليبها

المبحث الأول

الصهيونية العالمية أطماعها

إن الصهيونية العالمية هذا الإسفين الذي دق في قلب العالم الإسلامي لا يكتفي بما عنده الآن وبما حققه من أطماعه ولن يكفي الصهيونية هذا. ودليلنا ما نشهده في العالم المعاصر بل ما نسمع عنه كل يوم من بناء مستعمرات ومستوطنات وكذلك هذا التوسع الذي شهدته دويلة إسرائيل الناطقة باسم الصهيونية منذ قيام هذه الدولة ١٩٤٨ أثر تنحية العناصر الإسلامية من أن تؤدي دورها الجهادي في طرد الصهيونية حتى وقت الحروب المعاصرة وإبرام الاتفاقيات وكيف أن هذه الدولة في توسع دائم ولها أطماع مخطط لها ومنها فكرة (إسرائيل الكبرى).

وفكرة إسرائيل الكبرى عهد في المخطط الصهيوني اتخذها الصهاينة شعاراً لهم منذ الإعلان عن الصهيونية ومن أجل ذلك استحدثت عبارات (شعب الله المختار) (والشعب النبيل) وغيرها وإسرائيل الكبرى في المخطط الصهيوني لا تنحصر في فلسطين وحدها وإنما تمتد لتشمل أراضي أخرى واسعة في سوريا ولبنان والأردن ومصر والجزيرة العربية أيضاً. وقد قال هرتزل عن ذلك. أنها تمتد

من الفرات إلى النيل وفي المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في ١٩٠١/٤/٣م تقرر أن يكون واجب الصهيونيين الاهتمام بالأراضي المجاورة لفلسطين والعمل من أجل توجيه الهجرة إليها.

ولقد أطلق هرتزل على صحراء (سيناء) اسم فلسطين المصرية وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني السابع من آب ١٩٥٠م وجرى تعديل الفترة المتعلقة بإستعمار سوريا وفلسطين وأصبحت كما (يلي تأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين وسوريا وأي قسم آخر من تركيا الآسيوية وفي شبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص) وأعلن الصهيوني (ماكسنورداو) أمام المؤتمر الصهيوني الخامس قائلاً (يدعي خصومنا أن فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود بلى أنها قادرة على استيعاب ٢١ - ١٥ مليون من البشر على أن يكون من الواضح أن تشمل فلسطين والأراضي المجاورة)[1].

إذا كان هذا موقف اليهود من الأراضي المجاورة وعلى وجه الخصوص صحراء سيناء لنا أن نسأل هل كان المسلمون غافلين عن هذه البقعة (سيناء) من بلاد العالم الإسلامي.

لقد تنبه الدعاة المخلصين إلى أن اليهود لابد لهم أن يتطلعوا إلى سيناء لذا لابد من الاهتمام بها ولذلك صنف ثلاثة من الدعاة كتاباً تحت عنوان (من رسائل الإخوان المسلمين - سيناء بين أطماع الإستعماريين والصهيونيين وتفريط الاشتراكيين الثوريين مقالات تاريخية كتبها - حسن البنا - سيد قطب - كامل الشريف) وسوف نورد هنا بعض النصوص من هذا الكتاب.

سيناء عنوان لموضوع كتبه حسن البنا (منذ أكثر من عشرين عاماً أي قبل قيام دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة كتب الإمام الشهيد حسن البنا هذا المقال في جريدة (الإخوان المسلمين) اليومية بتاريخ ١٨ من ذي القعدة ١٣١٥هـ ليوضح للمسئولين المصريين الذين كانوا يفاوضون الإنجليز حينذاك أهمية هذا الجزء العزيز من الوطن الإسلامي، ويحذرهم من إهماله أو التفريط فيه) (سيناء بين أطماع الإستعماريين والصهيونيين وتفريط الاشتراكيين الثوريين - حسن البنا -

---

(١) (عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ج١ - ١٢٩ -)

سيد قطب - كامل الشريف) ويقول عبد الرزاق محمد أسود (ويمكن تحديد الأطماع الصهيونية والتوسعية كما يلي.... الخ

أولاً: الأطماع في سيناء وتعرف عندهم بفلسطين المصرية على أن تكون العريش نقطة الانطلاق إلى فلسطين.

ثانياً: إستعمار قبرص، عندما تعذر حصول هرتزل على فلسطين فكر بتغيير خطته وقرر إتباع الأسلوب غير المباشر وسيلة للوصول لفلسطين.

ثالثاً: الأطماع في سوريا ولبنان. وعندما أعلنت الصهيونية برنامجها لتأسيس دولة إسرائيل الكبرى وعرضته على مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م ضم الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن على أساس أنها كانت مرتبطة بالأرض الواقعة غربي النهر منذ أقدم أيام التوراة.

رابعاً: خطة الإستعمار شرقي أفريقيا، قرر هذا هرتزل بعد الفشل في إستعمار سيناء وهو عرض من وزير المستعمرات البريطاني لكي ينزل الصهاينة في يوغندا)[١].

هذا الذي تقدم من المطامع الصهيونية إلى جانب المطامع في فلسطين التي أقاموا فيها دولة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م دولة قومية عنصرية وما ترتب على قيام هذه الدولة من ضياع وتشريد شعب بأكمله وجعل كل دول العالم الإسلامي والعربي في حالة شلل كامل في شتى المشاريع بسبب ما سببته هذه الدولة ممثلة الصهيونية العالمية من عدم استقرار في المنطقة.

ونص غريب جاء في كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) (إسرائيل وراء كل ثورة قامت وراء كل حرب اندلعت... وراء كل زعيم سيطر وساد... وراء كل فساد... وراء كل المبادئ الهدامة، الشيوعية، الصهيونية، النازية، الفاشية، الماسونية والهدف القضاء على الأديان والسيطرة على العالم)[٢].

النص وإن كان فيه مبالغة ولكن فيه كثير من الحقائق التي تطمع فيها

---

(١) (عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية - ج١ - ١٢٩ —)

(٢) (كومندور وليم كار - الدنيا إسرائيل - النص من غلاف الكتاب)

الصهيونية العالمية إذا اعتبرنا أن إسرائيل ما هي إلا ناطق رسمي بأهداف ومطامع الحركة الصهيونية.

ومطامع الصهيونية في العالم الإسلامي ينتظمها النشيد الصهيوني (فاسمع هذا النشيد الصهيوني الذي يردده المهاجرون القادمون إلى أرض الإسلام في فلسطين:

نعود للوطن

وطننا إسرائيل

أنه الآن صغير

ولكنه سيكبر ويتسع

سنبنيه بأيدينا هذه - من النيل إلى الفرات)[١].

فلنسمع ما يقوله التلمود وهو من وضع أحبارهم (إن اليهود خلقوا ليحكموا العالم ولكن سيادتهم لا يمكن أن تبدأ قبل انتزاع السيادة من زعماء الشعوب الحاكمة وقبل أن تنتهي الإمبراطورية المسيحية التعيسة الدنيئة)[٢].

مما تقدم أتضح لنا طرف من المطامع اليهودية الصهيونية وواضح أن الصهيونية العلمية أخطبوط خطير ولها مطامع في العالم كله وهي مطامع عالمية وإن بدأت إقليمية.

وواضح أن العالم الإسلامي هدف هام من أهدافها وذلك لأن هذه البقعة حباها الله مميزات هامة في الإستراتيجية والموارد الطبيعية والمناخية ولها موقع جغرافي يجعل الذي يسيطر عليها يمكنه بالتالي أن يسيطر على بقية أجزاء العالم إذا ملك زمام التوجيه الواعي وفق المبادئ والعقيدة.

ولأسباب أخرى ربما لا نعلمها كلها اختار الله سبحانه وتعالى كل الأنبياء للقيام بأمر رسالة التوحيد في هذه البقعة المسماة الآن بالعالم الإسلامي ومن أرض الشام وفلسطين التي يرد اسمها دائماً باسم الأرض المباركة.

---

(١) (سليمان حاتم - الصهيونية العالمية وخطرها على البشرية)

(٢) (سليمان حاتم - الصهيونية العالمية وخطرها على البشرية)

المبحث الثاني

الصهيونية العالمية أساليبها

إن الصهيونية العالمية لها أساليب كثيرة ومتعددة ومن هذه الأساليب الخفي والجلي وفي هذا البحث سأحاول حصر هذه الأساليب فيما يلي ولا أزعم حصرها كلها وهي:

١- العمل السياسي المنظم وسط زعماء العالم وكسبهم لتأييد الصهيونية.
٢- السيطرة على وسائل الإعلام بأنواعها وتسخيرها لخدمة الصهيونية العالمية.
٣- السيطرة على عالم المال وإفقار الشعوب.
٤- التوسع العسكري واستعمال العنف والإرهاب.
٥- نشر الإلحاد بين الأمم ومحاربة الأديان.
٦- حملات الغزو الفكري والثقافي ووسائله.
٧- السيطرة على مؤسسات التعليم.
٨- أسلوب المضاربة بالنظريات والأفكار.
٩- أسلوب الخداع وأكبر خدعة عندهم دعوى أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر.
١٠- استخدام النساء في التأثير على ذوي السلطان.

وكما هو واضح تعدد الأساليب لدى الصهيونية العالمية وواضح أن ألوانها شتى ولكن ما تقدم نموذج فقط. ذلك لأن طبيعة البحث لا تسمح بالتوسع، فسوف أتناول الأساليب الأربعة الأولى بشيء من التفصيل حتى توضح لنا الصورة كاملة.

١- العمل السياسي المنظم وسط زعماء العالم
٢- السيطرة على وسائل الإعلام... الخ
٣- السيطرة على عالم المال وإفقار الشعوب
٤- التوسع العسكري واستعمال العنف والإرهاب

اخترت هذه الأربعة باعتبارها ركائز دعم للصهيونية

١ـ العمل السياسي المنظم وسط زعماء العالم وكسبهم لتأييد الصهيونية العالمية:

يسعى الصهاينة سعياً دقيقاً لكسب دهاقنة السياسة في العالم لتأييد قضاياهم في كل من الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي في واشنطن وموسكو. ولنضرب مثلاً على ذلك معاملتهم وأسلوبهم في واشنطن مع الرئيس ايزنهاور (وعندما تربع ايزنهاور على سدة الرئاسة الأمريكية ظهر إخلاص اليهود الصهاينة له أولئك الأصدقاء الذين لقيهم ووطد معهم لأواصر الصداقة في أوروبا خلال نشاطاته السياسية في ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ومنذ ذلك الحين بدأ تزلف اليهود لايزنهاور لكسب وده وتأييده لأهدافهم إدراكاً منهم أنه إذا ما أصبح رئيساً للولايات المتحدة فسيكون كالخاتم في أصابع أيديهم)[١].

(ومما لا شك فيه أنه كان حول الرئيس ايزنهاور فريق من أزكى اليهود في وزارات الخارجية والدفاع والعدل)[٢].

الذي ذكرناه مثال لحكام الولايات المتحدة الأمريكية ومثال كذلك لحكام الغرب الرأسمالي ولا تزال القضية أمام أعيننا حية تحتاج لدليل فالرئيس الذي لا يخطب ود الصهاينة الولايات المتحدة لم يتقدم إلى الأمام ولكم أن تراجعوا سجل وتاريخ حكام هذا البلد أما عن الوضع في موسكو وهو الآخر في قبضتهم وصحيفة المدافع في النص المنقول عنها توضح لنا الحال. (تقول المدافع عدد شباط ١٩٣٦م أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو وهي مركز الشيوعية الدولية تألفت من ٥٩ عضواً منهم ٥٦ يهودياً والثلاثة الآخرون كانوا متزوجون من يهوديات، نشرت هذه المعلومات مجلات وصحف أخرى)[٣].

---

(١) (زهدي الفاتح من يحكم واشنطن وموسكو - ٥٠).

(٢) (زهدي الفاتح - المرجع السابق - ٥١ -).

(٣) (زهدي الفاتح من يحكم واشنطن وموسكو - ١٤٣ -).

ومن ممارسات اليهود في التحكم في عقول الساسة في العالم إصدار وعد بلفور أو ما يسمى بتصريح بلفور وزير المستعمرات البريطاني في ٣ نوفمبر عام ١٩١٧م حيث جاء فيه (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل شيء قد يغير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في بلاد غيرها)[١].

وقد كان تأثير الصهاينة قوياً في العصر الحديث على بعض الحكام العرب وكان أثرهم كبير على الرئيس المصري أنور السادات حيث وقع معهم اتفاقية كامب ديفيد في واشنطن ٢٦-٣-١٩٧٩م، تحت عنوان (معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل واشنطن ٢٦-٣-١٩٧٩م)[٢].

٢ـ السيطرة على وسائل الإعلام بأنواعها وتسخيرها لخدمة الصهيونية العالمية:

لقد حاول الصهاينة تشديد القبضة على وسائل الإعلام واحتكار صناعتها (إن احتكار الصهاينة لملكية أجهزة الإعلام ورقابتهم القريبة للأخبار والتعليقات في جميع الصحف اليومية وصحف الآحاد الرئيسية وهيمنتهم على محطات الإذاعة والتليفزيون وعلى كامل صناعة السينما بالإضافة إلى صناعة الكتاب هذا الاحتكار المتكامل يتيح للصهاينة القيام بغسل دماغ إعلامي للشعب)[٣].

(ولم تقتصر الدعاية الصهيونية على الاعتماد على الصحافة والنشرات الإعلامية والمكاتبات فقط وإنما نشط الصهيونيين دعايتهم بوسائل أخرى)[٤]. والوسائل الأخرى المقصودة التليفزيون والإذاعة والاتصال الشخصي وهي أقوى أنواع الاتصال في القديم والحديث والدبلوماسية وغيرها.

---

(١) الآن - تايلور تعريب شكري محمود - مدخل إلى إسرائيل - ٤٥ —)
(٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية - المعاهدات المصرية الإسرائيلية - ٣)
(٣) (زهدي الفاتح من يحكم واشنطن وموسكو - ١٥ —)
(٤) محمد عبد الرؤوف - تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة - ٣٩٥)

ولقد سيطر اليهود الصهاينة على عدة صحف في الولايات المتحدة (ملك اليهود في أمريكا وحدها ٢٣٤ صحيفة يومية وأسبوعية وشهرية كما يتملكون خمس وكالات أنباء ويساهمون أو يسيطرون على باقي وكالات الأنباء)[١].

وكاتب يكتب عنواناً باسم الصراع العربي الفلسطيني ولا نحكم على أهداف الكاتب ولكن صيغة الصراع العربي هي من الصيغ التي فرضتها القومية العربية في هذا القرن وهي من الصيغ التي تبناها بعضهم بقصد تارة وبدون قصد تارة أخرى مما أدى إلى تمييع القضية الإسلامية ووضعها في ثوب محلي خاص وهذا تعبير مرفوض من المسلمين في مشارق الأرض ومغربها. الصياغة الصحيحة هي من أن القضية قضية إسلامية بالدرجة الأولى. ثم تدرج القوم لتمييع القضية التي صارت القضية الفلسطينية ووصلت إلى طور أصغر بدل من إسلامية ثم عربية ثم فلسطينية وتجري الآن محاولات لجعلها قضية الشرق وبهذا تصبح قضية بلا هوية.

٣ـ السيطرة على عالم المال وإفقار الشعوب:

كان اليهود ولا يزالون أصحاب احتكارات ويهتمون بالمال وأسواقه واكتسبوا في هذا المجال خبرة طويلة وعظيمة وعراقة مما جعل العالم يدور في فلكهم الاقتصادي. يرى اليهود في التجارة والمضاربة ما يلي (التجارة والمضاربة مصدر ربح عظيم لن يخرجا من أيدينا علينا أن نستولي على احتكارات الخمور والحبوب والدقيق وتجارة الموارد الغذائية (البقالة) لنتحكم في بطون الجنتايل (الكفار))[٢].

ويواصل المرجع السابق قوله (ولكي يحافظ اليهود على استمرار بقاء هذه الحكومة ودوام تقدمها وسيطرتها على كل الدول لجؤوا إلى وسائل كثيرة منها ما عدا سيطرتهم الكاملة على مصادر الماء وإنشاء الجمعيات التي تخدم أغراضهم يذكر منها جمعيتين عامتين هما الماسونية وجمعية نبابيرث أو أبناء العهد)[٣].

---

(١) محمود السقا - قضية الصراع العربي - ٣٣٠

(٢) محمود السقا - قضية الصراع العربي الفلسطيني - ٣٣٠.

(٣) محمود السقا - مرجع سابق - ٣٣١.

٤ـ التوسع العسكري واستعمال العنف والإرهاب:

يؤمن الصهاينة أن التوسع في الأراضي التي يطمعون في الاستيلاء عليها لا يمكن أن يتم إلا بوسيلتين أولهما الهجرة والتوسع العسكري وإبادة الأعداء حتى يمكنوا لأنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار وقد وضح جلياً هذا النظام العسكري الذي صحبه العنف والإرهاب ودولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي هي المثال الحي على الذي ذكرناه.

(والصهيونية لا تعيش بغير الإرهاب المنظم الذي يعتمد على تنظيمها ولا سلاح الإستعمار)[١].

ويقول كاتب آخر (لم يكن الصهيونيون يلجأون للقوى العسكرية العدائية فيما مضى ولم يكن بينهم من يدعو إلى استعمال السلاح اللهم إلا إذا استثنى نفر قليل من الصهيونيين الإصلاحيين (الريفير يونسيت) الذين كانوا لا يدعون إلى الاستيلاء على فلسطين بالقوة ولكن هذا كان مجرد كلام لم يكن يدعمه الفعل أما في هذه الحرب فقد انعكست الآية وأصبح استعمال القوى العسكرية والتدريب العسكري جزءاً لا يتجزأ من المنهج الصهيوني كما أن هناك تشكيلات عسكرية صهيونية غير مشروعة يدرب فيها الشباب الصهيوني على أساليب (الكومندو) وغيرها من أساليب الفتك في هذه الحرب)[٢].

(١) قاسم حسن - العرب والمشكلة الفلسطينية - ٩.

(٢) محمد فاضل الجمالي - الخطر الصهيوني - ٩٦.

الفصل الثالث
الصهيونية العالمية أساليب التصدي لها

مما تقدم وضح لنا جلياً أن الصهيونية العالمية لها أهداف وأساليب ومطامع ليس على منطقة الإسلام وخريطة أرضه فحسب وليس على مستوى الأرض التي أطلق عليها (العالم العربي) فقط وإنما هي أخطبوط يريد أن يسيطر على العالم كله ولكن في المقام الأول تستهدف الصهيونية إزالة الأديان وخاصة الإسلام وسوف أقترح بعض أساليب التصدي لها على مستوى العالم الإسلامي إذ أن الصهيونية العالمية الآن حقيقة عملية جاثمة على الأراضي الإسلامية وتطمع في أطراف المنطقة شرقاً وغرباً. وليكن واضحاً لنا أن العداء بين الإسلام واليهودية قديم جداً منذ جاء خبر السماء إلى محمد بن عبد الله ﷺ. ولكن اليهود لم يجدوا لهم سانحة لأن أولئك النفر من الرعيل الأول قد اعتصموا بحبل الله المتين أي القرآن الكريم والسنة وكانت درعهم الواقي لأسباب النصر وفي نظري أساليب التصدي لهذه الحركة تتنوع حسب العصر والمصر ولكن أرى ما يرد شيء أساسي وثابت.

أولاً: أسلوب الاعتصام بالقرآن والسنة النبوية

إن عداء اليهود للإسلام لم يكن وليد هذا القرن وإنما كان منذ القرون الأولى ولكن الذين سبقونا قد اعتصموا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الأمر الذي جعل لهم حصانة كافية ضد ذلك الداء والخطر الداهم. ونحن إذا تمسكنا مثلهم هناك لنا (المبشرات الكتاب والسنة)[1].

(١) عبد الله عزام - الإسلام مستقبل البشرية - ٤٠.

والإسلام سوف ينتصر إذا ما استمسك أهله به وطبقوه ولقنوه الأجيال وعملوا به عقيدة وشريعة ولا يمكن لأعداء الإسلام وغيرهم إطفاء هذا القرآن والهدى القرآني ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

والمسلمون موعودون بالنصر على اليهود (وهناك أحاديث صحيحة تشير إلى نهاية اليهود ستكون في فلسطين وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله. وفي رواية البزار ورجال ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع (أنتم شرقي الأرض الأردن وهم غربيه)[(١)].

وهذا يعني أن المنطقة قبل المعركة الفاصلة لابد أن تكون معتصمة في كل شئونها بالكتاب والسنة أي محكومة بالإسلام عقيدة وشريعة حتى يهيمن الإسلام على الأمة كلها حاكماً ومحكوماً. قائداً وجندياً وحتى يتحقق لنا الوعد ونخلص العالم من الصهيونية العالمية ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

ثانياً: أسلوب دراستها وتحليلها والتحذير منها

إن محاربة الأعداء المتربصين بنا الدوائر لا يمكن أن تتم وأن التصدي لهم لا يمكن أن يتم هو الآخر ما لم نعرف هذا العدو معرفة كاملة ونعرفه من شتى وسائل حربه في السلم والحرب. وندرس تركيبة الشعب والحياة الاجتماعية والاقتصادية.. الخ ولابد لنا إذا أردنا التصدي لهذه الصهيونية العالمية من دراستها وتحليلها وأن نجعل همنا الأكبر هذا ولابد أن نعرف أجيال العالم الإسلامي الذين يجهلون الآن الكثير عن هذه الصهيونية أن نعرف أجيال العالم الإسلامي هذا الخطر الداهم الهاجم عليهم من باب أعرف عدوك. وهذا جهد ضخم ينبغي

---

(١) عبد الله عزام - الإسلام مستقبل البشرية - ٤٥.

أن تفرد له الكتب ودور النشر ويتفرغ له بعض المفكرين من ذوي الفهم الثاقب والإطلاع الواسع والعقيدة الصحيحة وليس هذا فحسب فلتكن هناك دعاية قوية تحذر الناس وخاصة المسلمين عن الذي يراد بهم يكونوا في غفلة عما يحاك لهم في الخفاء وفي العلن كما هو حالهم الآن وهم في غفلة ووسائل الإعلام سواء في الدول الإسلامية أو المجموعة التي رضيت أن تسمى نفسها (الدول العربية) الإعلام في هذه البلدان قد عجز أن يصف العلاج ويقدمه للمواطن والسبب لأن الإعلام في هذه الدول لم يفرغ بعد من القضايا الفارغة، ولا نحتاج إلى دليل في هذا والأدلة أكثر من أن تورد هنا، حتى بعض الدول تفخر أن أجهزة الإعلام فيها لا تقول في نشراتها وصحفها (الاحتلال الإسرائيلي) ولا أدري ماذا كانوا سيقولون إذا لم يقولوا هذا، وأظن أن السبب أن بعض الدول الإسلامية ومن مجموع الدول (الجامعة العربية) أشارت إلى إعلامها ألا يطلق على إسرائيل كلمة (العدو).

ولقد أحسنت منظمة التحرير الفلسطينية حيث أشرفت على إخراج كتب سنوية لتوعية الرأي العام في أرجاء الوطن الإسلامي وغيره بأهداف وأساليب الصهيونية العالمية، كذلك فعلت غيرها من المؤسسات والمجلات الإسلامية ونضرب مثال على ذلك مجلة المجتمع الكويتية التي دائماً ما تقوم بكشف وتحليل أهداف الصهيونية العالمية وتحذر منها ويمكن الرجوع لها لأنها معاصرة للأحداث، وكثير من الصحف والمجالات الإسلامية مثل مجلة الدعوة المصرية التي تصدر في مصر ومجلة الرائد التي تصدر عن الدار الإعلامية في بون جمهورية ألمانيا الغربية.. الخ ولكن هذا الجهد جهد قليل بالنسبة للذي يقوم به الصهاينة في سبيل إظهار باطلهم في شتى أرجاء المعمورة.

ثالثاً: أسلوب إصلاح النظام التربوي

إذا أرادت الأمة الإسلامية أن تتصدى للصهيونية العالمية وهي جادة في ذلك لابد لها أن تعيد النظر في مناهجها التربوية في كافة مراحل الدراسة والتربية والتوجيه حتى يتخرج جيل يفهم ما يجب عليه وفق برامج واضحة ومخطط لها، جيل يعي واجبه نحو دينه وأرضه ويكون هذا الجيل قوى فاعل في مجال العمل

والتفكير والتخطيط والتنفيذ، وأن تكون هذه الأجيال مدربة عملياً ونظرياً في المجالات على نهج ومنهج إسلامي وفكر صحيح للعقيدة والشرعية وأن يرافق التعليم النظري عملاً عسكرياً شاقاً وجاداً وأن يتخرج الفرد عالماً في مجاله وعالماً بفنون الحرب وأما أن تظل معاقل العلم في العالم الإسلامي تخرج (مستغربين وعلمانيين ولا دينيين لم يغيروا أسمائهم ولا زيهم ولكن غيروا أفكارهم وقيمهم ونظرتهم إلى الدين والحياة وإلى الناس وإلى الماضي وإلى الحاضر وإلى النظم والشرائع والتقاليد وبدا ذلك واضحاً في سلوكهم وهم يتخبطون في ميدان الفكر والثقافة والتوجيه)[١].

مثل الجيل آنف الذكر إذا لم تعاد صياغة مناهج الدول الإسلامية مثل هذا الجيل يعد من جنود الصهيونية العالمية وهو في خدمتها تماماً.

وإذا استمرت المناهج ووزارات التربية والتوجيه في العالم الإسلامي تخرج مثل هذا الجيل فلا يمكن التصدي لهذا الأخطبوط الذي جثم على قلب الأمة الإسلامية ويريد أن يقطع أطرافها حسب التخطيط والأطماع العدوانية التي تقدم ذكرها، لكل هذا وجب الأخذ بأسلوب إعادة النظر في المناهج وطرق التربية والتوجيه على سعيد العالم.

رابعاً: أسلوب رسم إستراتيجية إعلامية لمحاربة الصهيونية العالمية والتصدي لها

وسائل الإعلام في العصر الحديث ليست ترفاً ولا ترفيهاً وإنما أصبح (الإعلام ضرورة بشرية لا يستغنى عنها ذلك أن الإعلام هو حصيلة الحاجة الماسة إلى ممارسة عمليات الاتصال من الإنسان وبين الإنسان والجماعة)[٢].

إذن الإعلام أصبح ضرورة ملحة لأن الإعلام يخدم القضايا التي تهم الأمة وتوجه الرأي العام بل الإعلام يخدم قضايا التنمية المادية والفكرية وليس أدلة على ذلك من سيطرة اليهود على وسائل الإعلام وتوجيهها لكل من الغرب

---

(١) يوسف القرضاوي - حتمية الحل الإسلامي - ٣٣.

(٢) رمضان لاوند - من قضايا الإعلام في القرآن - ٩.

الرأسمالي والشرق الشيوعي ولو ظهرت قوة ثالثة كانت قبضة وسائل الإعلام ليدهم ما لم توجد الفئة المتفوقة عليهم عقائدياً وعلمياً.

ينبغي للمسلمين إذا ما أرادوا التصدي للصهيونية العالمية وما هو أخطر منها إذا وجد أن يقبضوا على ناصية وسائل الإعلام، ويضعوا إستراتيجية طويلة المدى وتكتيك في الحال لهذا التصدي، وإذا ما قبضوا على ناصية وسائل الإعلام لابد لهم أن يعوا أن يقدموا الفكر الإسلامي الصافي من الشوائب بدلاً أن نترك الوسائل الهامة يعبث فيها الشرق والغرب ويهدم بها المقدسات الإسلامية. وهذه الأهداف لا تدرك بالتمني والحلم وإنما بالتخطيط والتنسيق والجهد والعمل فلا يكفي التفرج ولابد لنا عن طريق وسائل الإعلام أن نصنع الأحداث ونقنع كل الناس بخبث نوايا الصهيونية العالمية.

لقد أصبح واضحاً في القرن العشرين أثر وسائل الإعلام في توجيه الشعوب نحو أهدافها وتنفيذ هذه الأهداف.

وأخطر من هذا فقد أصبحت الحرب النفسية وهي أخطر أنواع الحروب وأنها لا تخوضها الدولة بالحديد والنار إنما تستطيع أن تهزم عدوك قبل أن يقلع. هذه الحرب لا تتم إلا عن طريق وسائل الإعلام.

يقول الأستاذ أنور الجندي (وإذا كانت هناك قوى خطيرة عملت على توهين القوى بحيث خضعت للهزيمة والنكبة والنكسة (ومنها الاستشراق والتبشير والتغريب والغزو الفكري) فقد كانت الصحافة عاملاً هاماً في احتضان ما قدمته هذه القوى وتفريخه وبثه وإذاعته يوماً بعد يوم وافق ألوان الطيف ومن خلال القنوات فقد كانت الصحافة ولا تزال أخطر وسائل التثقيف والتوجيه)[١].

مما تقدم يظهر لنا جلياً أثر الإعلام وتظهر لنا أهمية الإذاعة المسموعة والمرئية بل وكافة أنواع الاتصال القديم والحديث ومدى ما يمكن أن تسهم به في التصدي لرد كيد الصهيونية العالمية.

---

(١) أنور الجندي - الصحافة والأقلام المسمومة - ٨.

خامساً: وحدة الصف الإسلامي

وهذا واحد من أهم أساليب التصدي للخطر الصهيوني العالمي وقد ركز الإسلام كثيراً على الوحدة ذلك لأن الوحدة والتوحد شعاران هامان من شعارات الإسلام. فقد بدأ الإسلام من أول يوم يوحد الجنس البشري ضد الأخطار.

إن الوحدة الإسلامية درع واقي يلبسه العالم الإسلامي في التصدي للخطر الصهيوني. إن العالم الإسلامي يملك من العقيدة والمقومات الفكرية والمادية ما يمكنه بها أن يتصدى للصهيونية العالمية ويريح نفسه من هذا الداء ويريح بقية شعوب الأرض. بشرط واحد أن تجد هذه العقيدة والأفكار طريقها إلى التنفيذ على يد رجال ثقات إن أعداء المسلمين لم ينتصروا عليهم بقوتهم أو ذكائهم وإنما وجدوا الجسم الإسلامي يحمل الميكروب والمرض وسهل عليه المهمة هو نفسه. أما إذا كان توحد الصف الإسلامي فهو جدار صلب ضد هؤلاء (وأول الطريق للوحدة الإسلامية) أن نخلع من نير الأجنبي فلا يقال حاكم ما أنه ينزع منزعاً غريباً وأنه ذو الحظوة عند أمريكا أو إنجلترا أو غيرهما بل أن تكون نزعته إسلامية خالصة ولا يقال عن حاكم آخر أنه ينزع نحو الشرق هو الذي يوجه سياسته وهو بمنزلة التابع من المتبوع ولكن نريده إسلامياً نريد أن تكون كلمة الإسلام هي العليا وأن تكون العلاقات كلها دون العلاقة الإسلامية بحيث تكون هي الرابطة)[1].

سادساً: إعداد العدة للجهاد عن طريق الحرب

لا أحد يشك الآن في أن الجهاد أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة بالغين عاقلين وذلك لأن العدو يسيطر على أراضي إسلامية في كل من فلسطين وتركستان في روسيا الشيوعية والصين وأفغانستان هي الأخرى محتلة منذ عام ١٩٧٨م بواسطة العدوان الروسي احتلالاً واضحاً مسلحاً والآن يخيم عليها العدوان الأمريكي. لماذا لا يكون الجهاد فرض عين وقد قرر فقهاء هذه الأمة أن العدو

(١) الإمام محمد أبو زهرة - الوحدة الإسلامية -٢٤٠.

إذا احتل شبراً واحداً من أرض الإسلام ولم تهب لطرده يكون كل المسلمين آثمين.

ولكن هل الجهاد يحتاج لعدة نقول نعم أن من أراد الخروج للجهاد لابد له من إعداد العدة الإيمانية وتطهير النفوس وتمكين العقيدة أي لابد له من العدة النفسية والفكرية والمادية. ولابد أن يتخذ لهذا الجهاد الأسباب. ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى في شأن إعداد العدة قرآناً يتلى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ : (في حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها)[١].

وبعد فإن أساليب التصدي التي ذكرتها ليست كل الأساليب التي يمكن أن تتخذ في هذا المجال. ولكن أوردت هنا أهم الأساليب في نظري وغيرها متفرع منها وإن لم يكن متفرعاً فليس أقوى ولا أهم. وهذه الأساليب ينبغي أن نعمل بها مجتمعة وإن شاء الله يكتب الله لنا النصر.

(١) سيد قطب - في ظلال القرآن - ج٤ -٥٠.

الخاتمة

وبعد لعلي أكون قد وفقت في تشخيص الداء (الصهيونية العالمية) من حيث تعريفها الذي قصدت منه مدخلاً لحديثي عنها من حيث أساليبها وأطماعها وأكون قد ألقيت الضوء على أساليب التصدي لها. إذ جعلت على رأس هذه الأساليب الاعتصام بالقرآن الكريم والسنة نظرياً وعملياً قولاً وعملاً. وفي أساليب التصدي لهذا الخطر الداهم لم أريد الحصر ولكن بدر لي أن الأساليب الواردة هم أهم ما يمكن أن يؤخذ به على أن يؤخذ بها مجتمعة وتبرز لي أهمية الإعلام الناجح الفعل والإنجاز.

ونضرب مثال على سيطرة الدعاية الإسرائيلية على دول أفريقيا ونجاحها.

إن الدعاية الصهيونية وجدت لها صدى في قارة أفريقيا ليس لوجه قولدمائير الجميل ولا من أجل عيون موشي ديان أو فك بيجن. ليس هذا وإنما لأن الدعاية الصهيونية صورت للأفارقة أن العرب يمدوهم بالذي يمكن أن ينقطع وهو المال والصهاينة يمدوهم بالذي لا ينقطع وهو العلم. وظلت الكليات العسكرية الإسرائيلية تحتضن قادة الجيوش في البلاد الأفريقية لكي يتدربوا فكرياً وعسكرياً. وظلت الجامعات تخرج قادة الفكر السياسي للبلاد الأفريقية. ومن أهم أنواع الدعاية عند الصهيونية العالمية التكرار لبعض الادعاءات وبثها في وسائل الإعلام حتى يصدقها الناس. ومن ثم تكون حقائق مجردة. مثال ذلك ما حدث في ألمانيا النازية من أنهم قتلوا وسجنوا ومات منهم في سجون ألمانيا وأفران هتلر حوالي ستة مليون في حين أن عددهم لا يتجاوز ١٢ مليوناً ٦ مليون في الولايات المتحدة الأمريكية و٣ مليون في روسيا و٣ مليون في سائر أنحاء العالم. وبإتباع عملية إحصائية يمكن دحض مثل هذا الافتراء. لكنه الإعلام وأحرى بنا نحن المسلمون الالتفات إلى هذه الوسيلة الهامة.

الباب السادس

الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث
مقالات معاصرة عن الإستعمار
والحرب الصليبية في القرن العشرين

يحتوي هذا الباب على المقالات الآتية:

- المقال الأول: الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث
- المقال الثاني: كان العراق ليهزم لولا المطارات والممرات
- المقال الثالث: بريطانيا تكيد للإسلام منذ سلمت الأرض لليهودية في عام ١٩١٧م
- المقال الرابع: أطماع إسرائيل في البحر الأحمر والبحيرات
- المقال الخامس: دحض رواج أكذوبة تفوق إسرائيل على الدول العربية
- المقال السادس: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية
- المقال السابع: حروب صليبية صارخة وأخرى في ثياب دبلوماسية
- المقال الثامن: أخطار الإعلام على الأمة الإسلامية
- المقال التاسع: مدى مشروعية المسيحيين في البحث عن أطر جديدة بدلاً عن الإسلام
- المقال العاشر: عودة الإسلام لتركيا وسقوط صنم العلمانية
- المقال الحادي عشر: هل العلمانية هي العلمية؟
- المقال الثاني عشر: دولة الإسلام دولة مدنية
- المقال الثالث عشر: الإستهداف الأمريكي الصهيوني للإسلام

المقال الأول

الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث[1]

الإستعمار الحديث الذي جاء يدق أبواب العالم الإسلامي في هذه الأيام جاء بذخيرة وافرة من الخبرات والدراسات والأساليب اكتسب هذه الخبرات من خلال وجوده في بلدان العالم الإسلامي وتدخله في شئون الدول الإسلامية. وعلم الإستعمار الحديث أن الأمة لا تهزم عند خط النار كما يقول محمد جلال كشك في كتابه (النكسة والغزو الفكري) إن الأمم لا تنهزم عند خط النار بل تعلن هزيمتها هناك. إن الأمم تهزم قبل الصدام المسلح بسنوات وبعيداً من ميدان القتال. إن الإستعمار الحديث المتمثل في الصهيونية العالمية والصليبية الأمريكية ما كان أن يهزم المسلمين والعرب عسكرياً. لقد تمت هزيمة الأمة يوم أن دخلت الخيل الأزهر رمز الحضارة الإسلامية. ومن ثم توالت حركة الغزو الفكري على العالم الإسلامي ممهداً الطريق أمام الغزو العسكري. واستطاع الإستعمار الغربي الصليبي أن يفت في عضد المجتمع المسلم حيث تغيرت مناهج التعليم وتناولت المناهج في العالم الإسلامي الإعلاء من شأن المناهج الغربية والتهوين من أمر المناهج الإسلامية. وكان نتيجة ذلك أن ظهر على أمر الأمة المسلمة جيل تربى في أحضان المناهج الغربية وكان هذا الجيل الذي يوجه العالم الإسلامي الآن وأصبح هذا الجيل المهزوم في داخله وفي دماغه يعلم كل يوم عن هزيمته عند

---

(١) كتب هذا المقال قبل احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة وتحالف الغرب الصليبي

خطوط النار. وكان هذا الجيل هو جيل النكبة والهزيمة والنكسة. وكان شيئاً طبيعياً أن يتخلى قادة اليوم عن ثروات العراق وهي ثروات المسلمين وليست ثروات صدام حسين. وإذا حلت الهزيمة بصدام حسين لا سمح الله فالحقيقة هي ليست هزيمة لصدام حسين ولكن هي هزيمة الذين تفرجوا على ثرواتهم تدمر بواسطة الإستعمار الغربي. إذن ليس هناك أمل معقود على أن يدافع ربائب الإستعمار عن الوطن العربي والوطن الإسلامي. والسؤال ما هو الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث؟ الطريق هو العودة إلى المنهج الذي جرب من قبل وطرد الصليبيين وطرد الإستعمار التقليدي وهو منهج قادر على طرد الإستعمار الحديث وهو منهج حاول أن يحول بينه وبين بناء الأجيال في العالم العربي والإسلامي. إن المنهج الإسلامي في التعليم والثقافة وفي بناء الشخصية هو المنهج الأمثل الذي يمكن عن طريقه طرد الإستعمار الحديث وهو الطريق الوحيد وإن طال الزمن. فلابد إذا أردنا ألا نهزم عند خط النار أن نعود إلى المنهج الإسلامي.

إن معركتنا مع اليهود والحقد الصليبي وطردهم من منطقتنا ومعركتنا مع اليهود لا ولن تنتهي إلا بالعودة إلى الإسلام. وأعداء الأمة الإسلامية يعرفون هذا ولذلك عمدوا إلى تصفية المنهج الإسلامي بواسطة عملائهم ووكلائهم في العالم الإسلامي وحرم المسلمون من الحرية واستولت عليهم أنظمة تكرس للاستبداد. وأصبح أعداء الإسلام بقيادة بلير وبوش يقولون أن حربهم حرب تحرير. قد حرص أعداء الإسلام من أولياء اليهود على أن يهيئوا لهم أولاً بأول ساحة خالية من أي حضور إسلامي مؤثر في معظم البلدان المحيطة بالكيان اليهودي. ويجب أن نتذكر أنه قد وجد طيلة العقود الثلاثة الماضية تناسب طردي بين زيادة التوجه لدى بعض الأنظمة العربية إلى الصلح مع اليهود وبين الإجهاض المتجدد للحركات الإسلامية فيها. وهذا يبين لنا أن قراراً ما قد اتخذ من جهات ما لوأد تلك الحركات أولاً بأول حتى لا يشتد عودها يوماً وتقف ضد الاستسلام لليهود تحت أي مسمى، وهو ما سماه بعض الطواغيت (سياسة الإجهاض المبكر) في عقد الثمانينات وسماه آخرون (سياسة تجفيف المنابع) في التسعينات. إذن الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث هو العودة إلى الينابيع كما يقول الكاتب العربي أنور

الجندي. إن الواقع السيئ الذي يعيشه العالم الإسلامي الآن هو واقع يهيئ لكل هزيمة عسكرية وأن الأمة الإسلامية الآن وهي تتبع مناهج شتى غير مؤهلة أن تنتصر بل مؤهلة لكي تنهزم. لقد صارع العالم الإسلامي العالم الصليبي في جولات واستطاع العالم الإسلامي الموحد على منهج أن يخرج من المعارك منتصراً. ودبر اليهود وأعوانهم أن يبتعد العالم الإسلامي عن المنهج في منهج الحكم وآدابه وسعوا إلى تقويض الخلافة ولم يستطيعوا دخول العالم الإسلامي إلا بعد أن زال منهج الحكم الإسلامي بزوال الخلافة في عام ١٩٢٤م.

وأصبح العالم الإسلامي عالة على نظم الغرب في كل مجالات الحياة وجئ بالعملاء لإدارة شئون العالم الإسلامي فكان طبيعياً أن تتهاوى حصون العالم الإسلامي أمام الغرب الرأسمالي. إن الأمة الإسلامية تكون مؤهلة إلى طرد الإستعمار الحديث يوم أن تنبذ المنهج الغربي في العلاقات الاجتماعية والسياسية والتربوية وتعود إلى الأصول وإلا ستظل في سلسلة هزائم. إننا لا نقاتل أعداء الإسلام بالعدد والعدة وإنما نقاتلهم بهذا الدين كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه.

لقد عرف أعداء الإسلام وأعداء المنطقة الإسلامية أين مكمن الخطر عليهم منذ الوهلة الأولى للصدام مع العرب كان الهاجس اليهودي من خطر الإسلام حاضراً. فعندما بدأ هجوم عصابات اليهود لاغتصاب أرض بيت المقدس وبدأت الحركة الإسلامية في مواجهة ذلك الخطر سارع سفراء بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر إلى التدخل لدى ملك مصر في ذلك الوقت (الملك فاروق) ليشيروا عليه بتوجيه ضربة شديدة للحركة الإسلامية في مصر ممثلة آنذاك في جماعة الإخوان المسلمين. فصدرت الأوامر بمحاصرة معسكرات المجاهدين في جبهة القتال، وجردوهم من أسلحتهم ثم نقلوا إلى المعتقلات والسجون ليجدوا أحداثاً أخرى قد سبق وقوعها في مصر قبل عودتهم. وجدوا قراراً قد صدر بحل جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال العديد من أعضائها وكان ذلك في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م ثم أعقب ذلك اغتيال حسن البناء مساء ٢ فبراير ١٩٤٩م في عيد ميلاد الملك فاروق. وعمل اليهود وأشياعهم أثناء السنوات التي تلت تلك الأحداث على وأد أي نبتة إسلامية ناشئة. فهؤلاء يدرسون ويخططون وأولئك يعملون وينفذون. إن

أعداء الإسلام والأمة الإسلامية يعرفون كيف ومتى تهزم القوى الإسلامية في عقر دارها عسكرياً وذلك بعد أن تهزم معنوياً وقد كان لهم ذلك وأفلحوا في إبعاد الحادبين والمجاهدين عن الساحة وتم إخلاء الأجواء الإسلامية والعربية من الصقور وبقيت الحمائم هي التي تقود المنطقة وكان طبيعياً أن تهزم الهزيمة تلو الهزيمة.

لقد أراد الله جلت قدرته أن يلفت نظر المسلمين إلى أن خلاصهم في العودة إلى منهجه إن هم أرادوا العزة بدل الذلة والنصر بعد الهزيمة وأن يرشدهم إلى الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث الذي لا يكون إلا من خلال العودة إلى منهجه وسننه في الكون المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد: ٧] وهو الطريق إلى التحرير والتعمير وإن طال السفر.

يمكن للقارئ الكريم أن يرجع إلى الكتب الآتية (النكسة والغزو الفكري) للمفكر محمد جلال كشك وكتاب (العودة إلى الينابيع) للمفكر أنور الجندي وكتاب حديث صدر عام ٢٠٠٠م تحت عنوان (قبل الكارثة نذير ونفير) لمؤلفه عبد العزيز بن مصطفى كامل في سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي يعالج بتفصيل الواقع الذي تعيشه الأمة هذه الأيام ويدل على الطريق إلى طرد الإستعمار الحديث.

المقال الثاني

ما كان العراق ليهزم لولا المطارات والممرات

هزمت الأمة العربية والإسلامية يوم هزمت بغداد، بغداد تمثل هزيمتها هزيمة لكل الأنظمة العربية والأنظمة الإسلامية، بغداد قد صمدت وصدم أمامها جبروت الغزو الصليبي الصهيوني، جيوش العالم العربي والإسلامي المصروف عليها من دماء الشعوب العربية والإسلامية والتي ظلت ولا تزال تكدس السلاح والمؤن لم تحرك ساكناً تجاه بلاد المسلمين التي تنهب ثرواتها وتدمر بنياتها، تلك الجيوش التي كنا نظن أنها مدخرة ليوم كريهة وسداد ثغر ولكن للأسف الشديد آثروا أن يكونوا لا معين وعليهم نياشين وأنواط، انظر إلى الجيش الأمريكي والبريطاني يقتحم بلاد المسلمين ويدمر بلد الحضارة والجيوش العربية تتفرج وكان لابد لها أن تزمجر في وجه القرار السياسي الذي ظل بيد الحكام المستبدين في وجه شعوبهم والخائفين أمام أسيادهم من قادة الغرب الرأسمالي.

إن الذين هزموا العراق هم الذين سمحوا لقوى الغرب الرأسمالي بقيادة أمريكا أن تجعل من بلدانهم قواعد لضر العراق وتأمين حدود دولة إسرائيل، ما كان العراق ليهزم لولا المطارات والممرات، إن الذين سمحوا للبوارج الأمريكية أن تمر من خلال المداخل المائية في دول العالم العربي ومن خلال البحار كل هؤلاء شركاء في جريمة العصر ودخول الإستعمار الحديث بوجهه الصليبي والصهيوني.

كان لابد أن يهزم العراق في هذا الوسط المتفرق جداً وفكراً والمتوزع الولاء شرقاً وغرباً، أمماً متفرقة لا تستطيع أن تواجه الأمم المتحدة وقوات التحالف حتى الذين لا يؤيدون الحرب على العراق جهراً يؤيدونها سراً، سقطت عاصمة الرشيد وليس المقصود سقوط صدام ولكن القصد الموقع الاستراتيجي المليء بالنفط والتاريخ. ومن هذا الموقع يمكن التحكم في الدويلات المجاورة أمراً ونهياً إن

الذين أسلموا أرض العراق للغرب لا يستطيعون أن يحموا لا العرض ولا الأرض، إن الأنظمة الاستبدادية سواء أكانت على العراق أو على دولة أخرى مصيرها السقوط. ونظام العراق كان لابد أن يسقط، ذلك النظام الذي قام على أمره حزب البعث العربي الاشتراكي ولكن كون أن نظاماً عربياً يسقط عن طريق الغزو الأمريكي سوف يمثل هذا السقوط أسوأ أنواع الطرق لتغيير الأنظمة في العالم العربي ولو كان المقصود صدام حسين لاستطاعت أمريكا منذ زمن بعيد القبض على صدام حسين ولكن المقصود هو إعادة تقسيم المنطقة واختبار الأنظمة العربية الاستبدادية الأخرى في العالم العربي. هذه الأنظمة التي ظلت تنظر إلى العراق وهو يحرق بواسطة الهجوم الغربي الصليبي.

إن العالم العربي والإسلامي الآن أصبح موقعاً تحت سيطرة الغرب الرأسمالي حين أقامت دول الغرب في بلادنا القواعد الحربية التي تتحكم في أمة الإسلام، ذلك لأن الحكام المستبدين القامعين للشعوب الإسلامية والخاضعين للغرب الصليبي هؤلاء لحكام الذين لا يتيحون أية فرصة للرأي الآخر وهم متمردون على تراث الأمة هؤلاء الحكام سوف يسلمون الأرض المسلمة لأعداء الإسلام والمسلمين، وسوف تتناول الولايات المتحدة دول العالم الإسلامي واحدة بعد الأخرى ولاسيما الدول الصغيرة والضعيفة شكلاً ومضموناً، إن نظام حسين ليس بدعاً من أنظمة الدول العربية الأخرى حتى تدخل أمريكا بحجة أن صدام يصادر الحريات، هذه حجة يمكن أن ترفع في وجه الأنظمة العربية دون استثناء، شعار إعادة الحرية إلى البلدان العربية سوف يكون هو المدخل للتدخل الأمريكي.

فالمطارات التي أقلعت منها الطائرات لضرب العراق هي نفس المطارات التي سوف تدك منها أنظمة وعروش في المنطقة العربية ونفس الممرات التي مرت بها البوارج والسفن لضرب العراق سوف تمر من خلالها بوارج أخرى لتؤدي نفس الأهداف.

إن العالم الإسلامي لن يكون في مأمن وأمن إن ظل على هذه الحالة. لابد للعالم العربي والإسلامي إذا أرادت شعوبه أن تكون في استقرار وأمن لابد أن تكون ضربة العراق له عظة وعبرة ولابد أن تلفت نظر الشعوب العربية حتى تعود

إلى المناهج الإسلامية التي سوف تكون هي المصد الأقوى أمام طموحات وأطماع الصليبية في هذه المنطقة، إن العروبة وجامعة الدول العربية مؤسسة هشة لا تستطيع أن تحمي أعضاءها من الغزو المسلح، إن جامعة الدول العربية آن لها أن تترجل عن قيادة الأمة العربية وتسلم الأمر لقوى إسلامية وهي قوى جديرة بأن تحرس الممرات والمطارات حتى لا تضرب منها بقية الدول العربية الأخرى، لقد فشلت الدولة القومية في العالم العربي ولم تملأ فراغ الدولة الإسلامية ذلك لأن الدولة القومية كانت صنيعة الإستعمار الغربي وهي الدولة غير الشرعية التي كون جذورها الأولى الإستعمار منذ المحادثات الشهيرة التي سميت بمحادثات الملك حسين ماكمهون، تلك المحادثات التي مهدت إلى قيام القومية العربية في وجه الدولة الإسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية.

إن المطارات والممرات المائية في بلاد العالم الإسلامي كلها تحرس أمن إسرائيل وتمهد لدولة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، وبقى أن نقول ونكرر ما كان العراق ليهزم لولا المطارات والممرات، والدائرة سوف تدور على كل دول الطابور التي عجزت عن أن تحمي مصادر النفط في العراق.

المقال الثالث

بريطانيا تكيد الإسلام
منذ أن سلمت الأرض لليهود في عام ١٩١٧م

ونحن نستقبل شهر رمضان، شهر الانتصارات وشهر القرآن في هذه الأيام. معروفاً لدينا أن اليهود يكيدون لهذا القرآن منذ أن كان نزوله على سيدنا محمد ﷺ ويتجدد كيدهم عاماً بعد عام. ونحن نستقبل هذا الشهر الكريم فإذا بالغطرسة الأمريكية تشن هجوماً على معاقل الحضارة الإسلامية في بغداد بحجج باطلة زاعمين أنهم يحمون جيران العراق وتحت حجج لا تقوى على المنطق السليم. إن الهدف هو محو الإسلام من الوجود ولاسيما وأن هذه البقعة تمثل حضارة الإسلام في العصور الزاهية. ولا يمنع أن يعود الإسلام كما بدأ مهما أظلمت الأيام. لأن المستقبل لهذا الدين الذي يملك كل مقومات الحياة. لقد ظلت الصهيونية العالمية بقيادة الولايات المتحدة تلتهم أقطار العالم الإسلامي الواحدة بعد الأخرى. وفي عام ١٩٤٨م تحقق الحلم الصهيوني وتواطأت القوى الدولية جمعاء لإقامة مملكة (يهوذا) في البقعة المباركة من العالم الإسلامي. لتصبح بؤرة التفجر الدائمة في المنطقة. وتشرد مئات الآلاف من المسلمين عن أرضهم ولتعمل على طمس الحضارة الإسلامية في فلسطين لتحل محلها حضارة (العبريين) شذاذ الآفاق وقد لعبت الأنظمة العربية في تلك الفترة دوراً خيانياً مشيناً في تمهيد الطريق بشكل أو بآخر لقيام دولة (إسرائيل).

وتحقيق أهداف زعماء صهيون التي تضمنت ثلاث نقاط:

١- إيجاد إستعمار يهودي لفلسطين منظم وعلى نطاق واسع.

٢- الحصول على حق شرعي معترف به دولياً بإستعمار فلسطين.

٣- إنشاء منظمة دائمة.. لتوحيد اليهود من أجل القضية الصهيونية.

وظلت قوى الغرب الصهيوني الصليبي تحرس إسرائيل في الشرق الأوسط ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وتكفلت هذه الدولة بالحراسة تماماً وضرب أي قوى إسلامية تلوح في الأفق وتضع الاتفاقيات التي من شأنها أن تؤمن وجود إسرائيل، والذي لا يخضع للاتفاق بالنقاش تستعمل معه العصا الغليظة كالذي قامت به مرتين في الأعوام الأخيرة متمثلاً بضرب العراق وحروب الخليج وآخرها هذه الهجمة في غرة رمضان ولكن هذا الشهر شهر الانتصارات تفجر فيه غضب الشعوب الإسلامية على هذه الغطرسة متذكرين عهدهم الأول. لأن كبرى انتصارات المسلمين كانت في رمضان ومن أول المعارك الفاصلة بدر الكبرى وعين جالوت وحطين.

إن الشعوب الإسلامية لن تستسلم للغدر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة وبريطانيا. ولاسيما وأن المسلمون يقرأون في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

إن بريطانيا تكيد للإسلام منذ عهد بعيد منذ أن أسلمت أرض الإسلام في فلسطين لليهود. وكان ذلك وعد (بلفور) في عام ١٩١٧م الذي جاء فيه ما يلي: (إن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية تنظر بعطف في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وسنبذل أقصى المحاولات لتسهيل تحقيق هذا الهدف. على أن يكون مفهوماً أنه لن يتم القيام بأي عمل من شأنه النيل من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين. أو النيل من الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع بهما في أي بلد آخر). وليس غريباً أن تتآزر انجلترا والولايات المتحدة في هذه الأيام على ضرب العراق لأن أهداف الصليبية والغرب الرأسمالي واحدة وأن القيادات اليهودية واللوبي الصهيوني يحكم كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية. وهذا الضرر الذي لحق بالعراق في هذا الشهر الكريم ينبغي أن نأخذ منه العبرة وأن نتوحد في أرض الإسلام وأن نعود إلى القرآن في شهر القرآن لأن هذه الأمة لا مخرج لها من هذه الأزمات وهذه المكائد إلا بالعودة إلى جذورها مرة أخرى.

إن على الجماهير المسلمة أن تدرك أنه لا خيار لها في الاختيار.. وأن مكانها

الطبيعي مع الإسلام ضد أعدائه والمتآمرين عليه. يا أتباع محمد بن عبد الله اسمعوا ما قاله رسولنا الكريم ثم قرروا بعد ذلك في أي منطلق تنطلقون وإلى أي اتجاه تسيرون. وأية راية ترفعون. قال رسول الله ﷺ: (ألا أن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار.. ألا أن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب.. ألا أنه سيكون عليكم أمراء، يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم.. إن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم. قالوا يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام نشروا بمناشير وحملوا على الخشب موت في طاعة الله خير من حياة في معصية) أو كما قال ﷺ.

والعبرة أن ندور مع الكتاب وهو القرآن وهو الحل لكل مشاكلنا وبه سوف نرد كل المكائد ونصد كل الهجمات. إن الغرب الرأسمالي الصليبي يرمي المسلمين من قوس واحد فلابد لنا أن نكون في مستوى هذا الهجوم وأن نتوحد وبوادر الوحدة الآن في العالم الإسلامي واضحة وهي قادمة بإذن الله. وليس أدل على ذلك من تفجر غضب الشعوب الإسلامية والعربية عند هذا الهجوم الغاشم على بغداد.

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد

وما النصر إلا من عند الله.

المقال الرابع

أطماع إسرائيل في البحر الأحمر والبحيرات

إسرائيل وليدة الحركة الصهيونية والحركة هذه التي غضت مضاجع العالم الإسلامي في القرن العشرين وحاولت أن تحقق أهدافها من خلال كيان سياسي هو دولة إسرائيل.

لقد اختلف المؤرخون في حقيقة نشأة الصهيونية العالمية، فمنهم من يقول أنها قديمة قدم الدين اليهودي ومنهم من يقول إنها آخر الحركات القومية نشوءاً في أوروبا ومنهم من يقول أنها بدأت مع مؤتمر بال الذي عقده الصحفي النمساوي ثيودور هرزل عام ١٨٩٧م والذي أنعش هذه الفكرة من الناحية السياسية ويعد ثيودور هرزل أبو الصهيونية السياسية والصهيونية لها علاقة قوية بدول شرق أوروبا من حيث النشأة، وقد خطط المؤتمر الأول عام ١٨٩٧م لأهداف الصهيونية ومعظم البشر الذين دخلوا فلسطين من شرق أوروبا والآن إسرائيل تعتبر زراعة شرقية ورعاية غربية. لقد كان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م في قلب العالم الإسلامي وفي أطيب بقاعه واستمرت هذه الدولة النبت الشيطاني مصدر إزعاج لقارتي آسيا وأفريقيا باعتبار أن ثقل المسلمين في هذه الديار وطبيعة الصهيونية أنها حركة عنصرية إستعمارية وسياسية وإسرائي لذات أطماع توسعية حسب مؤتمرات الصهيونية أطماعهم كما يلي:

١- في سيناء
٢- إستعمار قبرص
٣- سوريا
٤- لبنان
٥- شرقي أفريقيا.

والأخيرة يبدو أنها المرحلة التي تعمل لها إسرائيل الآن.

واليهود وراء الصهيونية بل أن اليهود وراء كل الأفكار الهدامة ووراء كل فساد مثل الشيوعية الماسونية، النازية، الفاشية.. الخ، وكل هذا الهدف منه القضاء على الأديان، ولكي يحقق الصهاينة أهدافهم لهم عدة أساليب نذكرها إجمالاً:

١- العمل السياسي المنظم وسط زعماء العالم وكسبهم لتأييد الصهيونية.
٢- السيطرة على وسائل الإعلام.
٣- نشر الإلحاد ومحاربة الأديان.
٤- السيطرة على عالم المال.
٥- السيطرة على مؤسسات التعليم.
٦- حملات الغزو الفكري والثقافي.
٧- أسلوب المضاربة بالنظريات والأفكار.
٨- استخدام النساء في التأثير على ذوي السلطان.

والآن بعد أن أمنوا وضعهم في الشرق الأوسط وكسروا شوكة العداء بينهم وبين الحكام العرب لا نقول الشعوب العربية، نقلوا طموحاتهم إلى أفريقيا، والسبب حاجتهم إلى الماء العذب والتوسع في هذه الأراضي البكر ذات الوجود الإسلامي الكبير قد كان ولا يزال عدد المسلمين يتعاظم في أفريقيا وأفريقيا أقرب القارات لإسرائيل بها ماء عذب دائم التدفق وأصبح الصراع الأفريقي والإسرائيلي في محورين:

- المحور الأول: البحر الأحمر.
- المحور الثاني: البحيرات وحوض النيل.

البحر الأحمر تقوم عليه عددية من الدول هي السودان الذي يمتد ساحله ٧٠٠ كلم والسعودية ومصر وأريتريا والأردن واليمن وهي دول إسلامية عربية.

المحور الأول: البحر الأحمر

وموقع البحر الأحمر موقع استراتيجي ولاسيما وأنه يربط آسيا ذات النفط

والوقود. ولأن إسرائيل تنفذ سياسة الولايات المتحدة فهي وكيل لهذه القوة العظمى في الشرق الأوسط وأفريقيا أو قل المصالح متطابقة أو قل أن اللوبي اليهودي يرعى كل من إسرائيل والولايات المتحدة ولذلك خلقت دويلات ما كانت أن تكون لولا دعم وتشجيع الولايات المتحدة. وقد أزعج الصهيونية العالمية أن تقوم دولة في السودان تنادي بالإسلام، وتحاول أن تطبق المبادئ الإسلامية واليهود يعلمون أن النداء بالإسلام يجعلهم في خطر وعلى ضوء النداء سوف تصحو الشعوب الإسلامية، الخطر الذي يخيف اليهود وقد جربوا الحرب مع الفصائل الإسلامية عند قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م وأنها أي الفصائل الإسلامية تقدمت وكادت أن تهزمهم لولا النداء بالهدنة التي ظلت إلى يومنا هذا طوق النجاة الذي قامت عليه إسرائيل.

المحور الثاني: البحيرات وحوض النيل

وهذا هو المصدر الدائم للمياه وعلى حوض النيل تقوم دول عديدة هي رواندا، بورندي، زائير، يوغندا، كينيا، أثيوبيا، السودان، مصر، أريتريا، هذه عشر وحدات سياسية.

حاولت إسرائيل أن تتغلغل في كل هذه الوحدات السياسية واستطاعت ما عدا وحدة واحدة وهي السودان وتحاول الصهيونية العالمية والولايات المتحدة تركيع السودان وخنقه والالتفاف حوله وهو يستعصى.

ومعروف أن المياه لم تعد تفي بحاجة النمو السكاني المتزايد ومتطلبات الزراعة وأخذت كلمة الأمن المائي مشاعة مثلها مثل كلمة الأمن الغذائي، والأمن المائي ذو علاقة قوية بالأمن الغذائي، ومما لا شك فيه أن الأمن المائي يؤمن الأمن الغذائي وبالتالي الأمن القومي.

بدأت الأطماع الصهيونية في مياه النيل عام ١٩٠٣م عندما قدم هرتزل مشروعه الاستيطاني في صحراء سينا للحكومة البريطانية، لم توافق بريطانيا على المشروع تحسباً مع رغبة الخديوي.

وبعد اتفاقية كامب ديفيد طرح الإسرائيليون عام ١٩٧٩م مشروع يقضي

بنقل مياه نهر النيل عبر ترعة الإسماعيلية لري صحراء سينا وصحراء النقب، يهدف المشروع لمد إسرائيل بالمياه من النيل عبر أنابيب حوالي ٩٠٠ مليون متر مكعب. في عام ١٩٧٧م طالب مدير شئون التخطيط والمياه الإقليمية في إسرائيل بتنفيذ مشروع (بور) الذي يعني بدفع مياه النيل الأزرق والأبيض إلى سيناء. يرى الخبراء الإسرائيليون أن هذا الأمر أميز مشروع يضمن لهم تدفق المياه.

لكي تحقق إسرائيل إستراتيجيتها المائية خلقت علاقات وطيدة مع دول حوض النيل ليكون قرارها مؤثراً في المحافل الدولية وتحظي بتأييد الدول النيلية. ومن لم يأت بالاتفاقيات والتفاوض يأتي بالعصا الغليظة.

إن توقيع اتفاقية سلام بين إسرائيل ومصر يعني فرضية التدخل الإسرائيلي إلى منطقة حوض النيل تحت حماية إسرائيل في هذه الاتفاقيات إنها حصلت على ما يعني إمكانية استخدام وتوصيل مياه النيل إلى صحراء النقب وريها. وكانت هذه الاتفاقية بمثابة الضوء الأخضر لعودة إسرائيل للمنطقة وعودة العلاقات الأفريقية الإسرائيلية وكذلك تحقق لها استخدام قناة السويس بما يمكنها من الإبحار بطول البحر الأحمر مع إمكانية تهديد الدول المطلة عليه والاتصال بالبحر الأبيض المتوسط يحقق درجة من المناورة وحشد وتنقل القوة العسكرية. عمدت إسرائيل إلى التركيز في منطقة منابع النيل ودول الجوار الأفريقية والدول المجاورة لدولتي وادي النيل، حيث أن النيل يمثل شريان الحياة لهما أي السودان ومصر وفي أمنه استقرار الدول العربية وتعضيد الصف العربي، لذا كان السعي الدؤوب للتغلغل الإسرائيلي في المنطقة وأثارت المشاكل بين الدول الأفريقية ودول حوض النيل خاصة مصر والسودان.

ويستغل في ذلك بعض الموروثات الخلافية تاريخياً وعقائدياً ومما لا شك فيه أن مصر في حاجة إلى الماء.. وقد كان من أكبر الخطأ التوقيع على اتفاق مد إسرائيل بالمياه.

وترغب إسرائيل في عضوية الدول الواقعة في حوض النيل حتى توسع دائرة أمنها القومي وهي تعمل بالضغوط لكسب العضوية وهي تحاول أن توقع بين مصر والسودان وكان واضحاً تشجيعها لدول ذات العلاقة معها كأثيوبيا لإقامة

سدود وظلت إسرائيل تحاول أن توقع بين مصر والسودان وبين السودان وأريتريا وعرقلت عملية السلام في أبوجا عام ١٩٩٣م وحاصرت دول الاستكبار وإسرائيل السودان وحاربته اقتصادياً وإعلامياً تحت دعوى الإرهاب وحقوق الإنسان.

يقول ديفيد بن غوريون إن اليهود يخوضون اليوم معركة المياه وعلى مصير هذه المعركة يتوف مصير إسرائيل وهذا يعني أن إسرائيل في سبيل حلمها لابد أن تستولي على مياه النيل.

هذا ملخص أطماع إسرائيل والصهيونية العالمية وإسرائيل هي الوحدة السياسية لتحقيق هذه الأطماع:

فكيف عاشت هذه الدولة في وسط خضم من الدول العربية البالغ عددها ٢٨ وحدة سياسية عربية تقريباً، ودول إسلامية عددها ٥٨ وحدة سياسية.

إذا أخذنا دول المواجهة العربية الست يمكنها أن تهزم هذه الدويلة (مصر، سوريا، لبنان، السعودية، العراق، الأردن) تفوق على إسرائيل في كل المعايير التي من شأنها أن تجلب الانتصار، ولكن سر تفوق إسرائيل هو اتخاذ القرار إذ أنها عندما تدخل في حرب تتحول كلها إلى وزارة حرب بل تسمى وزارة الدفاع وزارة الحرب لا وزارة الدفاع كما الحال عند الدول العربية، وتظل الدول العربية في حالة شقاق ولا تتخذ قراراً موحداً لذا يسهل على إسرائيل أن تهزمنا دولة بعد الأخرى.

المقال الخامس

دحض رواج أكذوبة تفوق إسرائيل على الدول العربية

جاء في جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٠٠١/١١/٦م مقال بعنوان (دروس من أحداث نيويورك وواشنطن) بقلم الأستاذة ميمونة ميرغني حمزة تعرضت فيه الكاتبة لسياسة الولايات المتحدة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية وكيف أن ظلماً لحق شعوب العالم من جزاء هذه السياسة وجاءت الفقرة التالية في المقال (بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت سياسة الولايات المتحدة بسبب عاملين أولهما الخطر الذي مثلته الشيوعية وانتشارها في العالم الأوروبي والأفريقي والأسيوي ثانيهما ظهور أهمية النفط وما استهلك من كميات ضخمة أثناء الحرب. أخذت أمريكا تجند أجهزتها وسفاراتها محاصرة المد الشيوعي وبحثت عن حليف لها في منطقة النفط فوجدت ضالتها في الدولة العبرية التي تحتل موقعاً استراتيجياً في محيط عدائي، في ذلك الوقت.. تبنت أمريكا إسرائيل وأغدقت عليها من الأموال والسلاح ما يوازي كل ما لدى الدول العربية مجتمعة ولم تكن إسرائيل لتبقى لولا هذا الدعم غير المحدودة) سيكون تعقيبي على جملة ما يوازي كل ما لدى الدول العربية.

نوافق الأستاذة فيما ذهبت إليه من أن دعم الولايات المتحدة هو سبب وجود إسرائيل.. ونسبة لأن الإعلام واحد من أسلحة المعركة ونسبة لأن الإعلام العربي في فترة من الفترات بقصد أو بدون قصد خلق رأياً عاماً لدى القارئ العربي بأن إسرائيل تتفوق على الدول العربية مجتمعة مالياً وفي مجال السلاح، وخلق الإعلام العربي الذي تسيطر عليه الصهيونية العالمية خلق من إسرائيل أسطورة بأنها الدولة التي لا تهزم ولا تغلب وفي رأي تبعه الإعلام العربي الذي يردد في كثير من الأحيان وينقل عن الإعلام الغربي.

ويهمني من مقال الأستاذة هذه الجملة التي أود تصحيحها عن طريق الأرقام جملة (من الأموال والسلاح ما يوازي كل ما لدى الدولة العربية مجتمعة). وذلك بالأخذ من كتاب (حقيقة التفوق الإسرائيلي) لكاتبه نبيل شبيب وهو محلل سياسي عربي يعيش في ألمانيا توصل فيه إلى أن إسرائيل كما هو معروف وسط ستة دول عربية إسلامية هي (سوريا، ولبنان، والعراق، والأردن، ومصر، والسعودية) هذه الدول الست نطلق القول بأن إسرائيل لديها من القوة ما يوازي الدول العربية مجتمعة. والمعايير التي تتفوق فيها الدول الستة هي:

١- الطاقة البشرية: كماً ونوعاً.
٢- الطاقة السوقية (الإستراتيجية) موقعاً وتسلحاً.
٣- الطاقة الاقتصادية: علماً وثروة.
٤- الظروف المناسبة: محلياً ودولياً.
٥- العقيدة والإرادة.

وسوف استعرض عوامل حسم الحروب المتقدمة لأثبت بالأرقام أن التفوق في كل هذه المعايير لصالح الدول المواجهة الست دون أن نضم لها منظومة الدول العربية ومنظومة الدول الإسلامية، وكلها دول تهمها القضية الفلسطينية. كل هذا حتى لا يشوش على أصحاب القضية بدون حق بأن إسرائيل تفوقهم مجتمعين. فإذا كانت لا تفوق الست بل أن الست دول تتفوق عليها بنسبة عالية بكل المعايير وهذا الذي نود أن نثبته في هذا المقال.

إن الطاقة البشرية في أي مواجهة طويلة الأمد هي العامل الأول في حسم تلك المواجهة في النهاية فالإنسان هو الذي يوجه ويصنع ويقاتل ويحول هو توفير عوامل الحسم الأخرى دون شك الطاقة البشرية في الكم والنوع. فإذا كان اليهود مثلاً عام ١٩٩٩م خمسة ملايين سيجدون أنفسهم وسط حوالي ١٢٠ مليون مسلم في البلدان الست المذكورة وإذا استمر الصراع حتى عام ٢٠١٨م يبلغون ستة ملايين يجدون أنفسهم وسط حوالي ١٨٠ مليون مسلم وعليه طاقتنا البشرية حول فلسطين أكبر من طاقة اليهود - ٢٠ مرة واستغلالنا لهذه الطاقة دون استغلالهم لطاقتهم ١٠ مرات بالنسبة إلى مسألة التجنيد. إن سبب هزائمنا لا يعزو إلى تفوق

عدونا لطاقته البشرية علينا بل إلى سوء توجيه طاقتنا البشرية الأكبر وعامل الانتصار في المستقبل يتوقف على التوجيه السليم لطاقتنا ولاسيما على الصعيد العسكري هذا ما جاء بشأن المعيار الأول.

أما المعيار الثاني المتمثل في مصطلح الطاقة السوقية (المعروفة بلفظة الإستراتيجية) والمقصود به الموقع الجغرافي والتسلح المناسب له، ونظرة لخارطة المنطقة تكشف رجحان كفة الميزان لصالح الدول الستة المذكورة رجحاناً كبيراً. فهذه البلدان تحيط بالكيان اليهودي الباطل في فلسطين من الشمال والشرق والجنوب مما يجعل قدرته على البقاء والنفاذ والتوسع أمراً شاذاً في الموازين الموضوعية لا يمكن تفسيره إلا بأن هذه البلدان لم تستغل موقعها السوقي. وهو أمر ضروري لإحراز النصر في أي معركة حربية كبيرة.

الدول العربية الست حوالي ١٣٢ مرة ضعف الأرض المحتلة والدول العربية من المحيط إلى الخليج ٤٠٠ ضعف مساحة الأرض المحتلة. ما يقال عن البر يقال عن البحر إذ أن طول السواحل العربية على خليج العقبة ٢٢٤ ميلاً مقابل ٦ أميال طول ساحل الأرض المحتلة. والسواحل العربية على البحر المتوسط ٦ أضعاف ساحل الأرض المحتلة.

في حرب ٦٧ كان لدى الدول العربية الست ٢٠٠ قطعة بحرية ولدى إسرائيل ٢٠ قطعة فقط. فهل يمكن القول أن من أسباب هزيمة ٦٧ وجود تفوق إسرائيلي على صعيد الموقع والتسلح البحري؟ أم أن الأمر هنا مثله في المجال البحري أمر توجيه لا أمر طاقة وتفوق في الطاقة. يملك العرب ما يقدر ب٦٥٠ طائرة مقاتلة هجومية لدى الدول الستة ومع ملاحظة أن الكتاب صدر عام ١٩٨٢م.

أفراد السلاح الجوي لدى العدو ٢٨,٠٠٠ مقابل ١١٠,٠٠٠ لدى الدول الست المذكورة. طاقتنا في السلاح الجوي هي المتفوقة.

أما المعيار الثالث هو الاقتصادي أو ما أطلق عليه الكاتب الطاقة الاقتصادية. إن معايير التفوق الاقتصادي ثلاثة: الثروة المادية، الطاقة العلمية، والإنجاز، أي قدرة الإنسان عمالاً وخبراء على تحويل هذه الثروة وتلك الطاقة إلى إنتاج بالإدارة السليمة والجهد الموجه.

في البلدان المذكورة وحدها ثروة معدنية هائلة متنوعة بداءً من النفط الخام والغاز الطبيعي والفوسفات والحديد واليورانيوم ولا يملك الكيان الإسرائيلي شيئاً إلى جانبها.

المعيار الرابع: الظروف المناسبة محلياً ودولياً وهي نوعان: ظروف يمكن أن نصنعها وظروف لا نملك صنعها ولكن نملك أن نستفيد منها. إن المقومات التي تحتاج لها أي بلد حتى تؤثر على مجرى الأحداث محلياً وعالمياً هي:

١- الاستقرار الداخلي.
٢- الاستقرار الاجتماعي.
٣- الاستقرار الاقتصادي.

وهذا كله مما نملك بأيدينا مسألة إيجاده ولكن لا يبدو على قادتنا في مجال السياسة في الوقت الحاضر ما يشير إلى أنه يفكرون في إيجاده أصلاً. ومن الدعاوى الخطيرة علينا تلك الدعوى التي شاعت في بعض أقطارنا يجب أن نستميل الولايات المتحدة إلى جانبنا حتى نكون في يوم من الأيام الحليف المفضل عندها على إسرائيل وهذا شيء مستحيل لأن عداء الولايات المتحدة لنا عداء أصيل. إذا أردنا أن نؤثر في الظروف العالمية والمحلية لابد أن تتحقق عندنا الشروط المتقدمة وهي ممكنة.

المعيار الخامس الذي نتفوق فيه على إسرائيل وهو معيار العقيدة، ذلك أن العقيدة عند الدول الست لدى الأفراد تجعلهم وتجعل المجاهد منهم يحب الموت كما يحب الأعداء الحياة وهذا معروف في عقيدة الإسلام.

من الملخص المتقدم الذي أخذناه من كتاب حقيقة التفوق الإسرائيلي لمؤلفه الأستاذ نبيل شبيب يتضح لنا ولكافة الشعوب العربية أكذوبة أن إسرائيل لديها من الأموال والسلاح ما يوازي ما لدى الدول العربية مجتمعة. مثل هذا النشر شكل الرأي العام العربي والإسلامي ولابد من التصدي له من خلال أجهزة الإعلام ووسائله، ولابد للإعلام العربي والإسلامي أن يقدم الحقائق والأرقام ولا يكون إعلاماً فطيراً لا بحوث له ولا أرقام في زمني يبنى فيه القرار والنشر والإعلام على الدراسات مثل هذه الدراسة العلمية التي تم استعراضها في هذا المقال وهي دراسة موثقة بالمراجع والدوريات.

وددت أن يقرأ كل الإعلاميين الذين يدافعون عن الحق العربي والإسلامي هذا الكتاب وكذلك كتاب الأعمدة عندنا حتى يقفوا على الحقيقة وبالتالي يتم نشرها وحتى يفهم المسلمون وخاصة العرب منهم أن إسرائيل المعتدية يمكن الخلاص منها وليست هي القوة التي لا تهزم بل يمكن أن تهزم بطاقة الدول الست المذكورة وأن تفوق إسرائيل على الدول العربية مجتمعة أكذوبة روجت لها وسائل الإعلام العالمية التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية.

يمكن للقارئ أن يراجع كتاب السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية للكاتب (زياد أبو غنيمة) من الأردن. لابد أن يتعرف القارئ على أثر سلاح وسائل الإعلام في خدمة الكيان الصهيوني في المعركة ضد السلام والمسلمين، وكيف أن الإعلام أصبح من أهم أنواع الأسلحة في الحرب الحديثة ولاسيما الحرب النفسية.

المقال السادس

السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية

لقد أصبح الإعلام من أهم وسائل الهدم والبناء في هذا العصر الذي سمى عصر الإعلام والذي أصبح العالم فيه عبارة عن قرية صغيرة. وأصبح الذي يسيطر عل آلة الإعلام يوجه ويقود. لكل هذا خطط اليهود للسيطرة على وسائل الإعلام العالمية ونجحوا في (غسل دماغ) الرأي العام العالمي وخاصة الأوروبي والأمريكي واستطاعوا تغيير صورة اليهودي في عينه وفكره من ذلك الإنسان البخيل، الخبيث، الماكر، الجشع، سفاك الدماء، الأناني، الجبان، إلى صورة الإنسان الذكي، الشجاع، العبقري، الطموح، الإنساني.. الخ والسؤال كيف نجح اليهود في ذلك؟ لقد عقد اليهود من أجل ذلك مؤتمرات وأعدوا دراسات وخطط لذلك. ويمكننا أن نقرأ هذا النص الذي انبثق من أحد مؤتمراتهم (على النورايين - وهو اسم واحد من جمعياتهم - الوصول إلى السيطرة على الصحافة وكل أجهزة الإعلام الأخرى والسيطرة على الأخبار) وفي عام ١٨٦٩م عبر الحاخام اليهودي (رانتورون) في خطاب ألقاه في مدينة براغ من شدة اهتمام اليهود بالإعلام بقوله (إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية). وكان المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد برئاسة هيرتزل عام ١٨٩٧م في مدينة بال السويسرية نقطة تحول في أساليب (غسل الدماغ) الذي مارسته الصهيونية فيما بعد لتغيير صورة اليهودي في عين وفكر الرأي العام العالمي. وكان اليهود في ذلك الزمان لهم صورة كريهة في نظر الرأي العام العالمي، وخرج هذا المؤتمر الصهيوني الأول بمقررات أطلق عليها (بروتكولات حكماء بني صهيون) توضح الكيفية التي يمكن أن تتم بموجبها السيطرة على وسائل الإعلام وخاصة الصحافة لأنها كانت أقوى وسائل الاتصال آنذاك

وأشاروا في نقاط لوسائل الإعلام وأنها لابد أن تكون في أيديهم وأن أنواع النشر لابد أن تمر من خلالهم. وخططوا لأحكام السيطرة على وسائل النشر آنذاك.

والواقع أنه لم تكد تمضي سنوات قصيرة على صدور قرارات حكماء بني صهيون حتى كان اليهود يسيطرون على كثير من وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا. وبدأوا من خلالها بإجراء عملية تجميل للوجه اليهودي البشع لتغيير صورته لدى الرأي العام العالمي الأوروبي والأمريكي بشكل خاص.

كانت الحملات الإعلامية اليهودية لتجميل وجه اليهودي البشع في نفوس الجماهير الرأي العالمي تواكبها في نفس الوقت حملة إعلامية يهودية لتبشيع الوجه العربي أمام الرأي العالم العالمي. وقد كانت الحملة المضادة للعرب تأخذ اتجاهين متوازيين كان الاتجاه الأول يستند إلى شن حملة تشويه التاريخ العربي الإسلامي بتذكير نصارى أوروبا وأمريكا بخطر الإسلام على النصرانية، وكانوا يركزون على نبش الماضي وصفحات التاريخ لتذكير الأوربيين والأمريكان بالانتصارات التي حققها العرب المسلمون في بلاد الشام ومصر وأفريقيا في عصور الإسلام الأولى، ثم في أوروبا والقسطنطينية في العصور الوسطى. وكانت الحملة الإعلامية اليهودية تشدد التركيز على نبش وقائع الحروب الصليبية وتتعمد إبراز الهزائم التي منى بها الصليبيون، وخاصة هزيمتهم في حطين التي أعقبها طردهم نهائياً من آخر معاقلهم في فلسطين.

وقد حاولت وسائل الإعلام في الحملة الإعلامية الصليبية الصهيونية ضد العرب إظهارهم بمظهر الأمة المختلفة والمتخلفة التي تهتم وتهيم وراء الشهوات الجسدية الغارقة في بؤر الزنا وشرب الخمر والقمار وبمظهر الأمة التي تحجرت لديها العواطف الإنسانية وغلبت عليها حياة البداوة بكل ما فيها من قسوة وجهل وجهالة. وبعد جهد في "غسل دماغ" الرأي العام العالمي استطاع اليهود إقناع الرأي العام العالمي بالوقوف إلى جانب اليهود في صراعهم مع العرب والمسلمين. يقرر اليهود في بروتوكولات حكماء بني صهيون: (يجب أن لا يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يحظى بموافقتنا ولذلك لابد من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم وحينئذ سنضمن أن لا ينشر من

الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

وهذا ما يفسر لنا سيطرتهم على وكالات الأنباء العالمية. فهم - أي اليهود - يسيطرون على معظم وأهم الصحف في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكذلك المجلات بالإضافة إلى أنهم يسيطرون على الصحافة في فرنسا. وقد امتدت أيديهم إلى صحافة الهند والصين.

وفي مجال السينما أدرك اليهود أهمية صناعة السينما من الناحية الإعلامية سارع لها اليهود وتم احتوائها في وقت مبكر لذلك نجد أن وراء السينما خاصة الأمريكية رواداً معظمهم من اليهود. أصبحت للسينما أفلام مسيئة للعرب والمسلمين وذلك في وقت مبكر لاختراع السينما. يظهر العربي في الفيلم كرجل شجاع شهواني يمتلك عدداً من النساء ومن ثم تسللت الأيادي إلى السينما الهندية وأنتجوا أقذر الأفلام إساءة للعرب والمسلمين (كفيلم الهدية) الذي أنتجه يهودي بريطاني.

وفي مجال شبكات التلفزيون العالمية التي لا تقل عن وكالات الأنباء في الأهمية إذ أن التليفزيون أصبح أخطر وسائل الاتصال وأصبح التلفزيون عين الإنسان وأذنه في العصر الحديث وكذلك الإذاعة وقد سيطر اليهود على برامج التليفزيون التي عن طريقها يبثون أفكارهم. والمسرح كواحد من وسائل الإعلام سيطر عليه اليهود لتحقيق مخططاتهم التي نصت عليها بروتوكولات التي نصت عليها بروتوكولات حكمائهم ومنها نشر الفساد الجنس والدعارة لا في السينما فقط بل على المسرح أيضاً. حين انطلقت باسم (هير) وهي مسرحية يظهر فيها الممثلون والممثلات عراة ويمارسون الفاحشة فوق خشبة المسرح ولم يلبثوا أن انطلقوا بهذه المسرحية إلى حواضر الحضارة الغربية الأخرى. ومن وسائل النشر التي استخدمها اليهود لخدمة أغراضهم الموسوعات العلمية والدراسات الاستشراقية. لقد فطن اليهود إلى أهمية الموسوعات العلمية والثقافية والاستشراقية ولأنها - أي الموسوعات - تعتبر مصدراً موثوقاً تستقى منه المعلومات التي قام اليهود بغزوها من خلال العشرات من اليهود ومناصريهم لدرجة يندر معها أن نجد موسوعة علمية لا تفوح منها رائحة الصهيونية وهي كتب تلتزم الموضوعية فيما عدا ما يتعلق بالعرب والإسلام والمسلمين فمثلاً الموسوعة الإسلامية عهدت إلى يهودي أن

يكتب لها الفصل الخاص بالقدس. ففي الموسوعة الفرنسية يقولون عن الرسول ﷺ (بأنه قاتل رجال وخاطف نساء وأكبر عدو للعقل الحر) حتى الموسوعة التي تصدرها اليونسكو التي يشكل المال العربي الإسلامي عصب ميزانيتها نجد عندما تتكلم عن الإسلام تتكلم كلاماً وقحاً (إن الإسلام هو تركيب وملفق) من المذاهب اليهودية والنصرانية بالإضافة إلى التقاليد الوثنية العربية التي أبقى عليها الإسلام كطقوس قبلية تجعلها أكثر رسوخاً في العقيدة ويظهر حقد اليهود في كتابات المستشرقين الذين انساقوا لخدمة أهدافهم أي أهداف الصهيونية العالمية حيث كتب أحدهم يصف الرسول ﷺ أنه ادعى النبوة وأنه كان لصاً وقاتلاً وزير نساء وساحراً وكافراً ودجالاً وخائناً وشيطانياً وإرهابياً.. الخ ﴿ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥] لقد نجحت الصهيونية العالمية في استغلال وسائل الإعلام لتحقيق حلم اليهود بإقامة دولة لهم فوق ثرى فلسطين المباركة وطردت شعبها المسلم منها وتم تشريده تحت كل سماء وكان أن نجحت في إقناع الرأي العام العالمي النصراني بالوقوف إلى جانب إسرائيل ومدها بأسباب القوة والدعم وصرفت أنظار الرأي العام النصراني عن حقيقة القضية الفلسطينية وعن مأساة شعب فلسطين. بل لقد رسخت لديهم قناعة كبيرة بأن المنادين بحقهم في العودة إلى وطنهم ليسوا سوى عصابات إرهابية كان لوسائل الإعلام اليهودية والصهيونية أثر بالغ على القضايا الإسلامية والحركة الإسلامية المعاصرة.

لقد قصدت من الاستعراض المتقدم لكتاب (السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية) كيف أن الإعلام واحد من الأسلحة التي خلقت إسرائيل ومكنت لها وكيف أن الصهيونية العالمية استطاعت أن توجه وسائل الإعلام لخدمة أهدافها المدمرة. والكتاب دراسة مهمة وجادة لتوضيح أهمية الإعلام في خلق الرأي العام بل كيف تستطيع وسائل الإعلام قلب الحقائق. الكتاب الذي تم استعراضه لمؤلفه زياد أبو غنيمة وصادر عن دار عمار بالأردن هذا الكتاب جدير بالقراءة خاصة لأولئك الذين يقفون على ثغرة الإعلام من أبناء العرب المسلمين حتى يستطيعوا أن يردوا عن أمتهم هذه الهجمة الإعلامية الصهيونية. والله ولي التوفيق.

المقال السابع

حروب صليبية صارخة وأخرى في ثياب دبلوماسية والهدف واحد هو ضرب الإسلام والمسلمين

نعيش هذه الأيام ظروفاً سيئة في العالم الإسلامي وهو يواجه الهجمة الصليبية الحديثة التي لا صلاح الدين لها. لقد جرب العالم الأوروبي مع الشرق الإسلامي حروباً صليبية في القرن الحادي عشر الميلادي كانت هذه الحروب لها أهداف عديدة من هذه الأهداف الدوافع الدينية. قاد هذه الحروب (ايربان) وبطرس الناسك واشترطوا على من يشترك فيها أن يحمل علامة الصليب. وأخذ ايربان ينتقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب كأنه يقوم بالدور الذي يقوم به توني بلير في هذه الأيام متنقلاً بين الدول مع الفارق ذاك كان ينتقل في أوروبا وهذا ينتقل في بلاد العالم الإسلامي. وطلب البابا من الأساقفة أن يبشروا للحروب الصليبية وهو ضرب من ضروب إعلام ذلك الزمان وكان أشهر الدعاة الراهب الطواف بطرس الزاهد.

وتجمعت الأسباب الدينية التي تجعل أهل الصليب يتأهبون لغزو العالم الإسلامي.

وردد بطرس الناسك لأصحابه لابد من الاستيلاء على البلاد التي تفيض عسلاً ولبناً بلاد الشرق الإسلامي. هذه الحروب القديمة أما الجديدة تطال البلاد التي تفيض بترولاً وهو كناية عن أن هذه البلاد بها مصادر الحياة متوفرة. كانت فلول بطرس الناسك لا يجمعها نظام وكان البابا يود أن تتجمع فلولهم في القسطنطينية كانت تلك الحروب عكس الحروب الحالية ذات النظم والبرمجة وهي متطورة الوسائل تواجهنا بالأسلحة الحديثة الطائرات بدون طيارين وأقمار صناعية وآلية لا قبل للضعفاء بها.

الحروب الصليبية الأولى كانت لها حجج باطلة وادعاءات جعلت جيوش الصليبية تنطلق نحو العالم الإسلامي منها ادعاؤهم أن المسيحيين المقيمين في البلدان الإسلامية يلقون معاملة سيئة من الحكام آنذاك. وهو ادعاء باطل في جملته من وجهة نظر الإسلام ومن حيث الواقع الذي عاشه الذين يحيون في بلاد العالم الإسلامي.

عاش العالم الإسلامي آنذاك ظروفاً سيئة كما هو الحال الآن هذه الظروف التي جعلت الصليبيين يغزوه إذ سيطرت عليه الآفات المذهبية وتنازعه الأفراد.

شاركت في ذلك الغزو للعالم الإسلامي آنذاك وتآلفت في الإعداد له والقتال في سبيله دول عديدة من المنظومة الأوروبية. عكس هذا الغزو الصليبي الذي جندت له دول أوروبا وأمريكا كل منظمة الأمم المتحدة حتى قال قائلهم من لم يكن معه فهو مع الإرهاب في دبلوماسية جعلت دول العالم العربي والإسلامي تتهافت في الانضواء للواء الحملة الصليبية.

كان لاشتراك دول أوروبا في غزو العالم الإسلامي آنذاك وكان دافعهم الحقد والعداء للإسلام والمسلمين قادت لواء المبادرة آنذاك فرنسا ومن ثم تحالفت معها دول أوروبا الأخرى ولم تبق دولة إلا وضربت بسهم في تلك الحروب كما هو الحال الآن ولكن الذي يدعو للدهشة أن الحملة ضد العالم الإسلامي تشارك فيها دول العالم الإسلامي.

استطاعت الولايات المتحدة الآن أن تضرب الإسلام بالإسلام، وقد كان حجم الحرب كبيراً وأبعادها السياسية متعددة إلى جانب دوافعها السياسية والدينية. وهناك دوافع اجتماعية واقتصادية وهي لا تقل أهمية عن الدينية والسياسية. فالمجتمع الأوروبي في ذلك الوقت كان يعيش ظروفاً اجتماعية شجعت أن يستجيب لهذه الحروب الصليبية. لقد كانت الظروف الاقتصادية التي تمر بها أوروبا آنذاك تجعل المشاركة في هذه الحروب الصليبية مخرجاً من ضوائق اقتصادية تخنق المجتمع الأوروبي ومن النواحي الاجتماعية نجد أن المجتمع مقسم إلى فئات وطبقات:

أ - فئة رجال الدين.

ب- فئة المحاربين النبلاء والفرسان والأمراء.

ج- فئة الفلاحين وهم رقيق الأرض وهم الكثرة الساحقة والمسحوقة.

كان هناك ذلاً وضياعاً وهواناً أصاب القاعدة العريضة من الناس وعندما دعت الكنيسة للحروب الصليبية وجدت الإجابة من الناس هرباً من المعاناة والحياة الشاقة.

لقد كانت الحروب الصليبية آنذاك حروباً صارخة وواضحة وكان هدفها محو الإسلام والمسلمين. وقد كان العالم الإسلامي آنذاك شعوباً وحكاماً ضد هذه الحروب التي قدمت دون أي دبلوماسية. لقد تم استيلاء الصليبيين على عديد من مناطق العالم الإسلامي لما وجدوه من ظروف ساعدتهم في ذلك واستمرت لهم الغلبة قرنين من الزمان.

دارت المعارك بين حملة الصليب والدول الإسلامية في ذلك الوقت وكان دور صلاح الدين الأيوبي البطل المسلم واضحاً وكان قراره هو طرد الصليبيين من العالم الإسلامي لقد كان صلاح الدين رأساً للحكام جميعاً في عصره كأنه يمثل أمين منظمة الوحدة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي وهي منظمة الآن تتفرج على الحرب وربما شجعت الاعتداء على الأبرياء في فلسطين.

واستطاع أن يوحد صفوف المسلمين وأفكارهم وأن يتجه بهم الاتجاه الصحيح في الوقوف أمام عدوهم التقليدي الصليبيين، واهتدى صلاح الدين إلى عوامل النصر على الصليبيين التي أهمها أمران توحيد صفوف المسلمين ورفع راية الجهاد في سبيل الله. ويمكن للمتابع أن يعد مقارنة بين الحروب الصليبية في عهدها الأول والحروب الصليبية الحالية وطبيعة كل منهما من حيث الأهداف في الحروب الصليبية الأولى لم يكن هناك غزو فكري للعالم الإسلامي حتى يؤثر في قادته لذلك كانت المسألة واضحة أمامهم وليس هناك دبلوماسية ولا علاقات خارجية ولا سفارات. والأوروبيون قادوا الحرب ضد الإسلام صراحة ولم تكن ضد الإرهاب كما هو شعارهم الآن كانت الحروب الصليبية تريد أن تستولي على الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً والآن الحرب وراء منابع البترول ومخزونه الاستراتيجي في العالم الإسلامي وتريد أن تستولي على المواقع الإستراتيجية في

الحرب الحديثة ولاسيما حرب الغرب بقيادة إسرائيل استطاعت أوروبا استمالة معظم حكام العالم الإسلامي إلى صفها بل الدبلوماسية الغربية دعت كل سفراء العالم الإسلامي للإفطار في البيت الأبيض لشراب اللبن الغربي بينما قادة الغرب يشربون الدم المسلم في كل من فلسطين وأفغانستان وبقاع أخرى.

وفي دبلوماسية ساذجة يهنئ بوش العالم الإسلامي بعيد الفطر المبارك وأظنه يهنئ الحكام لا الشعوب الإسلامية. إذ أننا كشعوب لا نمد اليد ليد ملطخة بدماء شهداء فلسطين ويصرح بوش بأنه ليس ضد الإسلام ولكنه ضد الإسلام عندما يمثل واقعاً كأن تقوم دولة إسلامية أو يطلق الشباب لحيته وأن يدعو إلى قيام مجتمع إسلامي يوفر الأمن والأمان والسلام للعالم. هنا فقط يكون بوش ضد الإسلام. فهو يريد إسلاماً علمانياً لا علاقة له بالحياة. وفي هذه الحالة مستعد هو وحليفه بلير ودول تحالفه أن يحشدوا كل العالم لضرب المسلمين وأن يبيدوا شعباً كاملاً في حرب النملة والفيل وذلك بحجة بحث عن شخص واحد لم تثبت إدانته بعد. الحروب الصليبية الحالية للأسف تجد لها أصدقاء في العالم الإسلامي ودول تقف معها وتمهد لها بل تبني لها قواعد في هذه الدول وهي هذه الدول تغض الطرف عن دولة إسرائيل التي تتوسع كل صباح جديد وهي النتاج الفعلي للحروب الصليبية الأولى التي استمرت حتى أسقطت الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م ومن ثم زرعت إسرائيل في قلب العالم الإسلامي لتحمي المصالح الغربية.

تؤكد الدراسات أن الحروب الصليبية مستمرة واضحة وهي تغير شكلها ومن أساليبها.

ومن المؤكد أن الحروب الصليبية سواء كانت صارخة واضحة أو جاءت في ثياب دبلوماسية كما هو الحال في هذه الأيام هدفها واحد هو ضرب الإسلام والمسلمين تحركها نفس الأهداف القديمة ونسبة لأن عوامل النصر عليها قديماً لا تزال موجودة سوف يخرج من صلب هذه الأمة صلاح الدين من جديد ويضع حداً لكل هذه الغطرسة والاستبداد ولن يطول ليل هذه الأمة بإذن اللّٰه. إننا نرى أيام الانتصار قريبة طالما في هذه الأمة من يضحي بماله ونفسه في سبيل اللّٰه.

وطالما الشهداء يمضون إلى ربهم كل يوم في سبيل الحق. وهي ظاهرة صحية في أمة لن تموت وإن مات حكامها ووالوا الصليبيين وانخدعوا وخدعوا لدبلوماسية الغرب الأوروبي. يمكن للقارئ الكريم أن يراجع كتاب الغزو الصليبي للعالم الإسلامي لمؤلفه د. علي عبد الحليم محمود وكتاب المجتمع الإسلامي في عصر الحروب الصليبية لمؤلفه د. أحمد رمضان أحمد محمد وبالله التوفيق.

المقال الثامن

من أخطار الإعلام على الأمة الإسلامية

تواجه الأمة الإسلامية أخطاراً عديدة من جراء الإعلام ووسائله وهي معطيات وافدة لا تتفق مع عقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا وأسلوب عيشنا فإن الغرب الذي يحارب العالم الإسلامي حروباً خفية وأخرى علنية يهدف من بضاعته التي يصدرها لنا أن يخرب العقل المسلم والنفس المسلمة وهذا واضح في المسلسلات والبرامج الغربية، حيث توجد مؤسسات متخصصة في إنتاج الفاسد من البرامج المكتوبة والمصورة والمسموعة وكل هذه المؤسسات تحصل على أرباح طائلة من وراء هذا الجهد. وتنتج هذه الأعمال دول متقدمة وتحرص هذه الدول على تنفيذها بمكر ومهارة بهدف تفريغ عقول الناس في أقطار العالم الثالث من محتواها وخاصة بلاد المسلمين وهم في الغرب يسمون الإسلام بالخطر الأخضر. ووكالات الأنباء الكبرى تحتكر الخبر لتصوغه على هواها ثم تبثه في جهات العالم مصبوغاً باللون الذي تراه. في العالم قوى عاملة على تخريب الأخلاق وإفساد الذمم ومن ثم تقرب الفجور إلى نفوس العامة والخاصة يدفعها في ذلك الحقد والكره لهؤلاء دستور مكتوب يسمى (بروتوكولات صهيون) والذين ينفذوه هم من يملكون مؤسسات الإعلام وهم يعملون تحت ستار قوانين الحريات العامة وحقوق الإنسان وديمقراطية الشعوب وهم يستعملون وسائل الإعلام استعمالاً يتعارض مع ديننا ومع قواعد الأخلاق والمروءة وقد وضعت الشريعة الإسلامية للإعلام قواعد وأسساً ثابتة في الذي أحلته والذي حرمته. قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى ﴿ جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [الحجرات: ٦] وغيرها من الآيات والأحاديث والآثار. أن التحكم الغربي في المعلومات ومصادرها وإنتاجها وتكنولوجيا الإعلام يعطي هذا التحكم

فكرة واضحة عن الدور الذي يلعبه هذا التحكم في مجال تكريس تبعية الدول النامية والمستضعفة للمعسكرات الإستعمارية. ففي مجال الصحافة وفي مجال تناول المعلومات نجد وكالات الأنباء الأربعة (سابقاً) تتحكم في ٨٠٪ من التوزيع الإخباري في العالم حيث تحتكر هذه الوكالات بالإضافة إلى وكالة تاس الشيوعية معظم الطاقات المادية والبشرية. ونجد وكالات الأنباء العالمية تتجاهل في عرضها مشكلات الدول النامية ولا تقف على هذا بل تدس وتحرف وتشوه في تناولها لشؤون هذه الدول.

وتبرز مشكلة أخرى إذ لا تهتم الصحافة الغربية إلا بالأخبار المثيرة كالأزمات والكوارث والاضطرابات. وهي تنطلق من فهم حضاري مادي وتريد أن تشبع نهم القارئ الغربي إلى قراءة أخبار الجرائم والاضطرابات والكوارث دون أن تراعي سلبيات وآثار مثل هذه العروض.

وفي مجال الإذاعة والتلفزيون الدول الصناعية تتحكم في ٩٠٪ من الموجات الإذاعية وإذاعات موجهة بمختلف اللغات العالمية وذلك بهدف نشر أفكارهم وآرائهم في السياسة والتبشير بأنماط الحياة لديهم مما يجعل هذه الأنماط تزاحم النمط الإسلامي وتحاول أن تحل محله في العادات والتقاليد وهذا مشاهد خلال هذا القرن كيف زحفت العادات والتقاليد على الشعوب الإسلامية من أخطر أنواع الغزو وهو يفتك بالأمم أكثر ما يفتك بها الغزو المسلح.

وفي مجال السينما تعد الأفلام السينمائية أكبر التجارات الإعلامية وقد نمت هذه التجارة تحت دعوى السوق الحر وتحت شعار حرية الصحافة والمعلومات وهي بالطبع مفقودة في عالمنا الإسلامي ولو كان الإسلام طليقاً لكانت له منافسة. في مجال الإعلام لكن الكلمة في عالمنا الإسلامي محبوسة ومسجونة تحرسها البنادق والمدافع التي تسهم في خدمة الغرب مؤازرة للإعلام الغربي ومساهمة في تشويه الإسلام وتكريس التبعية لوجهة النظر الغربية لقد كانت ولا تزال الثقافة والإعلام وأدوات التسلية والترفيه وسائل لتخريب الأخلاق لدى الأمم والشعوب وحاولت أن تثبت في قلوب الشباب روح الاستهانة بالقيم والسخرية بالضوابط والحدود وخلق طابع الشرعية للانحلال والفساد الأخلاقي ولقد

استخدمت وسائل الإعلام المختلفة لبث روح الفرقة والتمزق النفسي والانحلال عن طريق الفن الشعبي والفلكلور. شهد كثير من الباحثين بموضوعية وعلمية أن التلفزيون أخطر جهاز يهدد المفاهيم الإسلامية وكم أخرج هذا التليفزيون أسراً من وقارها وكم من سرقات تمت كان المعلم فيها هو الإرسال التليفزيوني وقد جأر رجال الأمن من مسلسلات فارغة تعلم العنف وسفك الدماء وأساليب النهب والنصب. يقول الدكتور إبراهيم إمام وهو خبير إعلامي أن الأنماط الترفيهية الاستهلاكية التي تعرض عن طريق التلفزيون مسئولة عن الأزمات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الأفراد أن التلفزيون مفروض فيه أنه وسيلة البناء لا الهدم وسيلة للإصلاح لا للإفساد وسيلة تجعل الأمة تترقى لا تتردى.

حتى الترفية والتسلية كما يفرد الباحثون أصبحت في وسائل الإعلام تؤدي إلى هبوط الأخلاق. والسبب في ذلك غياب الرؤية الإسلامية عن المسلسلات والبرامج ودرجت وسائل الإعلام على تقديم النموذج الغربي وهو بالطبع نموذج يختلف تماماً عن مفاهيمنا الإسلامية نكتب هذا الموضوع وفي ذهننا الإعلام في الساحة الإسلامية والعربية. يقول الدكتور إبراهيم إمام إننا أمام غزو ثقافي مقنع وجديد لأن الغزاة لا يقولون إننا نغزو البشر بفكرنا وهو جديد لأنه مختلف من ناحية الأسلوب والمداخل ولكنه ليس جديد من ناحية الغايات والأهداف لأن هدفه هو زحزحة القيم الإسلامية وإبعاد الالتزام الأخلاقي عن طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للأمة الإسلامية.

ونجد أخطر ما في الإعلام الإعلان الذي يخاطب الغريزة وكأن الإنسان حيوان عليه أن يشبع غرائزه المادية لا غير، ويمكن للقارئ أن يتأمل في الفضائيات المختلفة كيف أنهم يستخدمون غريزة الجنس حتى في الإعلان عن شفرة الحلاقة أو المشروبات الغازية. لقد قام الإعلام الغربي على الإثارة ونقل عنه الإعلام في الأقطار العربية والإسلامية للأسف دون تصرف. وحصل بذلك خلط بين طبيعة المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي.

لقد كان هناك أثر سيئ للغرب على العقليات في العالم الإسلامي. يعد هذا من أثر هبوط الإعلام في دول العالم الإسلامي والعربي وهذا يلزم أن ينشأ جيل

من الإعلاميين مزود بفهم إسلامي عربي وملم بتكنولوجيا الاتصال ومرتبط بوطنه وتقاليده وتكون له قاعدة فكرية قوية وصلبة. وأحسب أن كليات الإعلام والدعوة الناشئة في عالمنا الإسلامي قادرة أن تلعب هذا الدور إذا اهتمت بها الدول وأعطتها الأولوية في الصرف وتكوين المختبرات للتطبيق حتى يخرج الإعلامي مزوداً بقدرات عالية يستطيع عن طريقها إزالة الآثار السيئة التي خلفها الفهم الغربي وينشأ فهم جديد يخدم الحضارة الإسلامية وهي القادرة على الصراع بدفعها الذاتي وهي الأقدر إذا حملها الإعلاميون المؤهلون.

المقال التاسع

مدى مشروعية المسيحيين في البحث عن أطر جديدة بدلا عن الإسلام

هذا المقال أخذته من كتاب قيم بعنوان (العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب) لمؤلفه زكريا فايد ولأن العلمانية الآن أصبحت واحدة من المشاكل في العالم الإسلامي كان لابد من أن نتطرق لها وننشر عنها المقالات ما استطعنا.

إن الباحث في أحداث تاريخنا المشترك - أي المسلمين والمسيحيين - لابد من أن يتبدى أمام عينيه أن معظم الدعوات الباحثة عن أطر جديدة لبلادنا بدلاً عن الإسلام بدأت من مسيحي الشرق الأمر الذي نجد أنفسنا متسائلين عن مدى مشروعية بحثهم في هذا الإطار الجديد فعلى مستوى الفكر كان المفكرون المسيحيون من أشد الأنصار تطرقاً للنزعة العلمانية التي تؤكد على فصل الدين عن الدولة وقيام دولة على أسس وضعية ودنيوية فقد شهد القرن السادس عشر ظهور العديد من الدعوات الباحثة عن بدائل وضعيه بدلاً من الاتحاد الديني (الإسلامي) وذلك ابتداءً من النزعة القومية التي تود تحويل الانتماء من الإخوة في الله إلى (الأخوة في الوطن) وما قد يستتبعه ذلك من كثرة الانتماءات للكيانات الكبيرة المتماسكة إلى كيانات صغيرة متهافته وتلك دون غيرها هي التي حولت المجتمع الإسلامي إلى أشلاء صغيرة سهل احتوائها. هذا وكانت فكرة القومية موجهة ضد أنصار حركة الفكر المسيحي العربي أساساً ضد الدين في محاولة لجعل فكرة القومية محوراً لتجمع الشعوب العربية بدلاً من تجمعها نحو فكرة الديانة المشتركة بينما فكرة القومية عند القوميين المصريين ضد الاحتلال وليس ضد الدين.

وبصفة عامة فإن الحركة العلمانية أساساً حركة مسيحية كما تبدت في

نشأتها عند مسيحي الشام في القرن التاسع عشر، بينما كانت الحركة التوفيقية التي كانت تدعو للتوفيق بين الدين والمعاصرة حركة مفكرين إسلاميين وليس من الصدف أن يظهر بعض المفكرين المسلمين الشوام وسط هذه الموجة العاتية، ومع ذلك تجدهم قد نادوا بالتوفيقية مثل الكواكبي ورشيد رضا وشكيب أرسلان وغيرهم.

أما عن بقية الدعوات التي نادى بها مفكرو الشام المسيحيون فقد نادوا بفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية ودعوا إلى التمثل بالغرب فكراً وسلوكاً ومنهجاً ودعماً إلى استعارة الثقافة الأوروبية وتمثلها كما دعوا إلى الدارونية والمادية والماركسية والإلحاد أو على الأقل جاءت هذه الدعوات من خلالهم كما اعتادوا على تشويه التاريخ الإسلامي وأحداثه وزعمائه وكان آخرهم في ذلك لويس عوض الذي حاول تشويه شخصية الأفغاني وحاول أن يجعل المعلم يعقوب بطلاً قومياً وهو الذي كون جيشاً من أقباط مصر ليحاربوا مع الحملة الفرنسية ضد إخوانهم المصريين نعود لدعوات الفكر المسيحي العربي وهي تلك التي تم تفصيلها في هذا الكتاب وسوف يتطرق لها الكاتب بشكل موجز فنجد الدعوة إلى مهادنة المحتلين باعتبارهم هم أصحاب الفكر التنويري الذي نحتاج إليه ونجد محاولة وضع الإطار الأكثر اتساعاً وهو الإسلام داخل الإطار الأقل اتساعاً وهي (العروبة) وذلك عند ميشيل عفلق وقسطنطين زريق.

وكذلك دعوات إلغاء الحجاب بالإضافة إلى إنشاء الجمعيات التنويرية والمدارس ذات النزعة القومية والجرائد والمجلات لنشر أفكارهم السابقة. وقد برر قائل أن هنالك من المفكرين المسلمين من نادى بهذه الاتجاهات ولكنهم أولاً لم يكونوا البادئين بهذه الاتجاهات وهم ثانياً ما سعوا أبداً لإبدال الإطار الإسلامي بإطار آخر بل كان سعيهم في تقويمه فقط بينما كانت حركة الفكر المسيحي تسعى لتغييره تماماً.

وما سبق يتعلق بالأمر على مستوى التاريخ الحديث بصفة أساسية أما عن مستواها عبر التاريخ الإسلامي ككل فقد حدد القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام علاقة المسلم بالذمي ومكانة الأديان الأخرى بالنسبة للإسلام

وانطلقت السيرة التاريخية للمسلمين تجاه ما شرعه القرآن وما حدده الرسول عليه الصلاة والسلام من حيث تأمينهم على أموالهم ودينهم وكنائسهم وإقرار التعاون والتسامح والعدالة تجاههم من خلال مواثيق ومواقف عملية أكدها الرسول والصحابة وسائر التاريخ الإسلامي.

وفي العصر الحديث كثير من علماء الإسلام وقف مدافعاً عن أهل الكتاب ونذكر من هؤلاء الشيخ شلتوت والشيخ الذهبي ومرشد الإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبي والأستاذ سعيد حوي رحمه الله أحد أقطاب الإخوان المسلمين في سوريا وقد دعا غير المسلمين في كل أقطار الأمة الإسلامية إلى ميثاق عمل يعترفون فيه بأن السلطة للإسلام والمسلمين وبعد ذلك لهم حقوقهم في وزارات الدولة وفي مجالسها النيابية بنسبة عددهم ولهم الحق في إنشاء المدارس ولهم أن يشتركوا مع المسلمين في مدارسهم. وذهب العلماء بأن حقوق أهل الذمة في التشريع الإسلامي هي حقوق الحياة والعقيدة والعبادة ولهم حقوق اجتماعية ويرى د. يوسف القرضاوي أن كلمة أهل الذمة أو الذميين تطلق على المواطنين غير المسلمين في المجتمع الإسلامي معناه العهد والاطمئنان والأمان وقد سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام آمنين مطمئنين وهي تعطيهم ما يسمى في عصرنا الحاضر (بالجنسية) السياسية وبها يكتسبون حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم حيث تتم حمايتهم من كل عدوان خارجي وكل ظلم داخلي حتى ينعموا بالاستقرار ونحمي دمائهم وأنفسهم وأبدانهم وأموالهم. وهكذا يقدم لنا التاريخ أسبابه في عدم مشروعية بحث أصحاب الأقليات المسيحية في العالم العربي والإسلامي عن أطر جديدة للبلاد التي يعيشون فيها بدلاً من الإسلام فهل البحث عن هذا الإطار الجديد يعود لأسباب موضوعية أم لأسباب ذاتية مرتبطة بحركة هذا الفكر المسيحي نفسه وما يود أن يحدث من تغيرات في بلادنا العربية والإسلامية؟

المقال العاشر

عودة الإسلام لتركيا وسقوط صنم العلمانية

دخل رسول الله ﷺ مكة في رمضان ووجد بها ٣٦٠ صنماً يعبد من دون الله وكان ذلك في رمضان وكان ﷺ قد حطم الأصنام في عالم الأفكار والعقول ومن ثم عندما دخل مكة كان يشير إلى الصنم ويقرأ قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١] فما بقى فيها صنماً يعبد ومن مكة انداح الإسلام في المعمورة في ذلك الزمان شرقاً وغرباً وناضل أولئك الصناديد ذلك الجيل الذي رباه رسول الله ﷺ ولم تشهد الدنيا قبله ولا بعده عهداً نيراً مستنيراً وظل المسلمون متمسكين بالعروة الوثقى ووصايا رسول الله ﷺ حيث كان يقول (عضوا عليها بالنواجز) أي على القرآن ودوروا معه حيث دار واستمر للمسلمين صولجان ودولة ونظام حكم حتى عام ١٩٢٤م كان امتداد العالم الإسلامي من طنجا غرباً إلى جاكرتا شرقاً في ذلك الزمان شهد العالم الحرية والعدل والمساواة والإخاء مبادئ وارفة كانت أماني في عالم لفه الظلام وسادته الهمجية كانت تلك المبادئ حلم الفلاسفة وجاء رسول الله ﷺ بها من عند الله ونعم بها العالم وحق للقائل أن يقول لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها غير أن الغرب الصليبي الحاقد حاول أن يمكر بالمبادئ الإنسانية حتى يدخل العالم في المبادئ البهيمية وكان ذلك طيلة قرنين من الزمان أبان الحروب الصليبية المعروفة حاول الغرب أن يناطح صخرة الإسلام مثله مثل الوعل.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يصيبها واعي قرنه الوعل

وعندما فشل غزو العالم الإسلامي بالسلاح ابتكر أعداء الإسلام وعلى رأسهم اليهود أسلوب المكر والخديعة واستعملوا السلاح الفكري أو ما يسمى بالغزو الفكري أرسلوا رسلهم من المستشرقين والمبشرين والمفكرين من أهل

المذاهب الهدامة من شيوعية وعلمانية وقومية.. الخ الأفكار التي كان يقول عنها فيلسوف الإسلام عباس محمود العقاد أفكار ذوي العاهات دلفوا إلى معقل الإسلام وروضه ودولته في مقر الخلافة آنذاك في تركيا يوم كان على دستة الحكم رجال صناديد وحاولوا أن يتنازلوا لهم عن أي شبر من فلسطين وكان ردهم رداً حصيفاً وعنيفاً ودبروا وكادوا وتولى مكرهم يهود الدونمة أولئك الذين نزلوا تركيا من أسبانيا وعاشوا في كنف دولة الإسلام التي كانت دولة الحرية الدينية في ذلك الزمان وتغلغلوا في الجهاز الحكومي إلى أن أسقطوا الخلافة في عام ١٩٢٤م في سلسلة مؤامرات يطول ذكرها مكانها تاريخ الإسلام الحديث وغابت وحدة المسلمين وتولى أمر الدعوة إلى الإسلام وعودته جماعات في شتى أنحاء العالم من هذه الجماعات جماعات في تركيا ظلت تعمل ليل نهار لعودة الإسلام إلى كنفه وتتصارع مع الفكر العلماني المدجج بالسلاح والمحروس بالدستور العلماني الذي لا تسنده قوى جماهيرية ذلك لأن تركيا ذات الأغلبية المسلمة متمردة على العلمانية وعندما تتاح الحرية يظهر الإسلام على السطح ويستولى على الأمور وفي مساء هذا اليوم الاثنين ٢٠٠٢/١١/٤م ونحن مقبلين على شهر رمضان يفوز بالانتخابات حزب العدالة الذي يحمل ويحمي التوجهات الإسلامية وفي هذا دليل واضح أن الإسلام السياسي كما يعبر عنه الغرب النصراني يتمدد حيث توجد الحرية ولذلك يحرص العلمانيون ألا تكون هناك حرية في بلاد العالم الإسلامي وألا تكون هناك انتخابات لأنهم يعلمون أن الشعوب الإسلامية كانت ولا تزال مستعصمة بالإسلام ولاسيما بعد أن جربت العلمانية التي تعني فصل الحياة عن الدين وبعد أن جربت الحلول المستوردة ولم تجني منها إلا العلقم في كافة نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وشربت منها السم الزعاف لاسيما في المجالات السياسية إذ لا يزال العالم الإسلامي تحت ظل العلمانية ونظم استبدادية زلت ولا تزال الشعوب الإسلامية وشهد العالم الإسلامي في ظل العلمانية المستوردة صراع طويل كان ولا يزال ينخر في وحدة الشعوب الإسلامية ولكن الصحوة الإسلامية التي تلف العالم الإسلامي الآن شرقاً وغرباً قادرة بإذن الله أن ترد الأمور إلى الإسلام وأن يعود

الإسلام من جديد (بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء) أو كما قال رسول الله ﷺ، ونأمل أن تكون تركيا التي شهدت سقوط آخر خليفة هي بداية العودة إلى الإسلام بعد أن تمردت على العلمانية في الانتخابات الأخيرة ونأمل أن يعود عهد الصناديد في كل العالم الإسلامي وينتهي عهد الرعاديد الذين مكنوا لكل أعداء الإسلام في بلاد العالم الإسلامي

المقال الحادي عشر

هل العلمانية هي العلمية؟

السؤال الذي جعلته عنواناً لهذا المقال ورد في كتاب العلمانية المنشأ والأثر لمؤلفه زكريا فايد وقد وعدت القراء الكرام أن استعرض منه بعض الأجزاء وهذا المقال الثاني.

شاع بين عامة الناس وأيضاً بين المفكرين استخدام مصطلحي (العلمانية) و(العلمية) بمعنى واحد، ولكن البحث الدقيق حول هذين المصطلحين سرعان ما يظهر الاختلاف البين بينهما.

فالعلمانية تعني فصل الدين وإبعاده عن الدولة، وقيام الدولة على أسس دنيوية لا دينية وقد قامت في الغرب ابتداء من القرن السابع عشر نتيجة خلو المسيحية من أحكام تنظم حركة الدنيا، وتكبيل رجال الدين لقلوب وعقول الغربيين، وادعائهم بأنهم ينفذون أوامر اللّه وأوامر السماء وأنهم يحكمون الناس بتفويض من اللّه وأنهم يستندون إلى الصحة المطلقة وأن مفاتيح السماء حكر عليهم.

أما العلمية هي وصف للاتجاهات التي تركز في الدراسة والبحث على النهج العلمي وهذه الاتجاهات هي الوصف والشرح والتحليل في ضوء الملاحظة والتجربة والاستقراء من أجل الكشف عن العلاقات الضرورية الكامنة في طبائع الأشياء وتتميز العلمية بالاتجاه إلى الكم، أي بتحويل الخصائص الكيفية إلى كميات، كما تتميز بالموضوعية وواقعية الظواهر والحقائق التي تتخذ موضوعاً للدراسة والبحث. وتهدف إلى البحث عن العلل القريبة التي تحدد لنا مسار الظواهر وارتباطاتها، كما تهدف بالضرورة إلى الكشف عن القوانين والقضايا العامة الكلية التي تخضع لها لظواهر العلوم.

والعلمية أصبحت سمة مميزة للعلوم التجريبية التي تعتمد على التجربة والمناهج الرياضية وتنحو العلوم الاجتماعية في العصر الحاضر نحو العلمية لأنها أخذت في استخدام الإحصاء والرياضيات والتجارب الميدانية وهكذا يتبدى لنا بوضوح وجلاء لا يتحمل اللبس ولا التأويل الاختلاف الواضح بين العلمانية والعلمية فالعلمانية منهج حياة يبعد الدين عندما يشرع في إدارة الدولة بل وعلى مستوى الأفراد والمجتمع لا يجعل للدين - أي دين - نصيب في توجيه المجتمع وهي أي العلمانية يمكن أن يطلق عليها اسم اللادينية والعلمية اتجاه معرفة القوانين التي تعمل عليها أو بمقتضاها الطبيعة.

لهذا يجب أن نعي تماماً المحاولات التي تحاول أن تلصق في أذهاننا التساوي بين هذين المفهومين وهي تلك المحاولات التي تحاول إدخال المناهج اللادينية (العلمانية) تحت ستار العلم و(العلمية) مدعية أن كل ما هو (علمي) هو بالضرورة (علماني) أو أنهما مسميان لنفس الصفة.

وحقائق التاريخ تثبت لنا هذا بما لا يدع مجالاً للشك، فالعلمانية ظهرت في الفكر الغربي ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي بينما المنهج العلمي ظهر في الحضارة الإسلامية على يد الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والخوارزمي والبيروني وابن سيناء وغيرهم من علماء المسلمين ثم أنه ليس صحيحاً ما يقال من أن العلمية هي أحد نتائج العلمانية بمعنى أن تحكيم العقل الذي قالت به العلمانية هو الذي أدى إلى ابتكار النهج العلمي وهذه محاولة مدروسة لتزييف التاريخ من أجل إثبات أن الغربيين هم مبتكرو النهج العلمي، وأننا ليس لنا في هذا الأمر فضل السبق بالإضافة إلى ما يؤكده التاريخ من صدور هذا المنهج العلمي من حضارة دينية هي الحضارة الإسلامية وأنه ليس صحيحاً ما يحاوله الغربيون في التأكيد والربط على صدور هذا المنهج العلمي من حضارة لا دينية، على أساس اعتقادهم بأن الدين مكبل لكل إبداع علمي، وهو أمر غير صحيح أكده الواقع التاريخي.

فهناك أمر آخر يجب أن نلتفت عليه وهو أن التصنيع والتغيرات الاقتصادية في أوروبا كانت فقط مصاحبة للنزعة العلمانية ولكنها لم تكن كامنة في

أساسها بدليل قيام نهضتي اليابان والصين الصناعية والاقتصادية. وجنباً إلى جنب تصوراتهم الدينية والتقليدية الموغلة في القدم إلى ما قبل القرون الوسطى وهذه تعني الصلة بين التقدم وبين هذه النزعة العلمانية التي كان مبررها في الغرب لظروفه الخاصة سابقة الذكر والتي لا توجد أية آصرة بشبه بينها وبين ظروف ومعالم بلاد المسلمين، فالدين في بلادنا الإسلامية لم يكبل لا القلوب ولا العقول ولا ا لابتكار، بل حث عليه ودعا له، لذا لم يكن من الغريب أن تنشأ حضارة عظيمة بقوة هذا الدين ودفعه وهي الحضارة الإسلامية التي أشاد بدورها الكثير من مفكري الغرب قبل مفكري العرب أنها كانت أكثر فترات الإنسان على الأرض تسامحاً وعالمية.

بقي أن نقول لمن لم يقتنع بعد بالاختلاف البين بين مصطلحي (العلمانية) و(العلمية) أنه لو رجع إلى معناهما في اللغة الإنجليزية لوجد هذا الفرق واضحاً جلياً، إذ معنى العلمانية بالإنجليزية Secularism بينما معنى العلمية بالإنجليزية هو Scientism.

المقال الثاني عشر

دولة الإسلام دولة مدنية

للإسلام دولة أو ما يسمى بالنظام السياسي الإسلامي وهو نظام فريد من نوعه وقد قامت دولة الإسلام في عهدها الأول وبسطت كل ما يحتاج إليه الإنسان من حرية وعدل وإخاء في ذلك الزمان حالك الظلام والظلم ولابد أن يعود النظام السياسي في هذا العهد وفي هذا الزمان. الآن العالم في أمس الحاجة إلى محمد ﷺ ليحل مشاكله بذلك المنهج الرباني الخالد الذي لا يزيده الزمن ومضى العهد إلا توهجاً والذي لا يزيده مضي القرون إلا أن يكون شاهداً على أنه النظام الذي لا يمكن أن تحل مشاكل العالم إلا من خلاله. والآن وقد عادت البشرية إلى التخلف والتقهقر وبعدت كل البعد عن المعاني الإنسانية نحن الآن في عهد الحيوانية والغابية وصراع الحق الذي يعبر عنه بصراع الحضارات أي صراع حضارات الباطل مع حضارات الحق. حضارات الدين الإسلامي واللادين (العلمانية) والمعركة لا شك منصور فيها الدين الإسلامي بنظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.. الخ الذي لا يقبل التجزئة. فالأخذ بالإسلام وعقيدته هو المخرج للدولة الحديثة من كل ركام الجاهلية الحديثة التي هي أكثر ظلاماً من الجاهلية الأولى التي لا تمتلك من العلوم وأسلحة الدمار الشامل والفساد الأخلاقي كالجاهلية الحالية.

فلابد من قيام دولة إسلامية مدنية تلاءم هذا العصر بالطرح المدني الإسلامي ولابد من أن يطرح المسلمون فهم أن دولة الإسلام دولة مدنية. إن الذين يرمون دعاة الإسلام بأنهم يدعون إلى إقامة دولة دينية يقولون على دعاة الإسلام غير الحق. إن دعاة الإسلام لا أدعياء الإسلام يدعون دوماً إلى إقامة دولة إسلامية ولم يدعوا يوماً إلى إقامة دولة دينية وهناك فرق كبير بين الدولة الدينية والدولة

الإسلامية وقد قصد معارضو الإسلام تشويه الدولة الإسلامية بأن حاولوا أن يربطوا الدولة الإسلامية بالدولة الدينية التي سامت الناس الخسف والظلم والاضطهاد. تلك الدولة والنمو السياسي الذي ساد أوروبا النصرانية في القرون الوسطى. تلك الدولة أعطت أسوأ أنواع التطبيق إذ ادعى الحكام أنهم يحكمون بالحق الإلهي واضطهدت العلماء والمفكرين وشنقت وأعدمت ونفت وانبعثت منها رائحة الكراهية رائحة شواء البشر وأعطت صورة ذهنية سيئة (كما يقول الإعلاميون). لكل دولة تقوم تحكم باسم الدين مع أن الدين الإسلامي برئ من أفعالهم ذلك لأن حكام ذلك العصر المقصود العصور الوسطى في أوروبا النصرانية لا صلة لهم بالدين إلا اسمه. أما الإسلام دين الرحمن والرحمة يفر إليه الناس ولا يفرون منه.

والعلة أن هناك خلطاً بين ما هو إسلامي وما هو ديني حتى ظن كثيرون أن كل ما هو إسلامي يكون دينياً والإسلام أكبر وأوسع من كلمة دين حتى أن علماء الأصول جعلوا (الدين) إحدى الضروريات الخمس أو الست التي جاءت الشريعة لحفظها وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال وزاد بعضهم العرض فالدولة الإسلامية التي يدعو لها دعاة الإسلام في العصر الحديث. الذين أطلق عليهم أعداء الإسلام الجماعات الإسلامية السياسية أو الإسلام السياسي تكريهاً للجماهير في من يدعون أن يحكم الإسلام حياة الجماهير لاسيما الإسلامية. هؤلاء الدعاة يدعون إلى دولة مدنية لم تقم حتى الآن بالمفهوم الصحيح إلا في الثلاثين سنة من رسالة محمد ﷺ وهي دولة تقوم على أساس الاختيار الحر والبيعة والشورى ومسئولية الحاكم أمام الأمة وحق كل فرد من الأمة أن يتولى النصح والملاحظة على الحاكم وأن ينصح له وأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر بل جعله واجب كفائي في الإسلام ويمكن أن يتحول إلى فرض عين وفي الحديث سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام ظالم فنصحه فقتله أي أن سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه في الجنة وناصح الإمام الظالم معه في نفس المرتبة أو كما جاء في الحديث. فالحاكم في الإسلام مقيد ليس حاكماً مطلقاً يحكم بالحق الإلهي. هناك شريعة تحكمه وقيم توجه الحاكم وأحكام تقيده وهذه لا يصنعها

حزب حاكم أو جماعة حزبية بل وضع هذه الأحكام (رب الناس، ملك الناس) وليس هناك سلطة يمكن أن تلقي أو تجمد هذه الأحكام. ويمكن لأي مسلم أو مسلمة أن يخالف الحاكم والتاريخ حافل بأمثلة كثيرة إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والحاكم المسلم إماماً كان أو خليفته ليس وكيلاً بل وكيل الأمة وهي التي تختاره وتراقبه وهي التي تعزله وتنقده. بهذه المفاهيم على وجه الاختصار يمكننا أن نفهم أن دولة الإسلام دولة مدنية وليست دولة دينية لذا لابد أن ننتبه لهذه المفاهيم، بل يجب على دعاة الإسلام أن يردوا هجمة من يقولون أن دولة الإسلام دولة دينية ويحاولوا أن يحرموا الشعوب الإسلامية وغيرها من أن يظلهم الحكم الإسلامي ويقيم فيهم الإسلام نظامه السياسي بالفهم المتقدم أقام الإسلام دولة ذات حضارة سامقة وشاهقة وشاهدة في كل مجالات الحياة. ولذلك الذين ينادون بالحل الإسلامي بديلاً للحلول المستوردة وينادون بقيام دولة الإسلام إنما يدعون إلى إقامة دولة مدنية ودولة مؤسسات ودولة ليست غامضة المعالم وإنما يمكن لقارئ أن يتعرف عليها من خلال القرآن والسنة والتطبيق العملي لعصور الإسلام الأولى التي قال عنها رسول الله ﷺ خير القرون. وهي دولة مثالية واقعية قابلة للتطبيق وكتب لها العلماء المعاصرون شروحات توضح مواصفات هذه الدولة وشروطها فعندما يحاول الناس أن يقيموا دولة باسم الإسلام تعرض ممارسات هذه الدولة على الأصول ومواصفات الدولة الإسلامية فيؤيدها أو ينكروها بمقاييس حتى يحصلوا على الدولة ذات المواصفات الإسلامية وعندها ستكون دولة الإسلام دولة مدنية يمكن للقارئ أن يراجع في هذا الفهم كتابات الدكتور يوسف القرضاوي في العصر الحديث لاسيما كتابه (بينات الحل الإسلامي.. والحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا وكتابات الشهيد سيد قطب وكتاب الدكتور كامل الدقس بعنوان الدولة الإسلامية). وعلى الله قصد السبيل.

المقال الثالث عشر

الاستهداف الأمريكي الصهيوني للإسلام

الاستهداف الأمريكي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية كدولة ووحدة سياسية والصهيوني تمثله دولة إسرائيل كوحدة سياسية.

وهذه القوى تستهدف الإسلام عقيدة وموقعاً جغرافياً ولهذا الاستهداف الذي اشتد أواره في هذا القرن خلفيات تاريخية ودوافع. وهو صورة لعلاقة غير متآلفة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ذات الروح النصرانية (تتمثل في كل من أمريكا والصهيونية العالمية) وكلاهما يمثلان الحضارة الغربية. وفي استهداف العالم الإسلامي والإسلام توافقت الولايات المتحدة مع الحركة الصهيونية وأصبحت لدى الأمريكيين قناعة أن الحضارة المبنية على القوة هي منتهى الحضارة وأن ما وصلت إليه بلادهم هو خاتمة الحضارات الإنسانية إذ لا يعقل أن تكون هناك حضارة أعظم ولا أكثر تطوراً منها ولا منافس للحضارة الغربية ذات الأصول المسيحية واليهودية والنمط الرأسمالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة ممثلة الغرب النصراني، ينبغي أن يسود.. ويرى الغرب الرأسمالي النصراني بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية أن الأخطار كلها زالت من أمامه ولا تخشى الولايات المتحدة إلا الخطر الإسلامي بل تضاعفت خشية الولايات المتحدة من الخطر الإسلامي كما عبر عن ذلك الرئيس نيكسون في إحدى خطبه، وهو يختلف عن الخطر الشيوعي إذ أن الشيوعيين الاشتراكيين محسوبون على الحضارة المسيحية ولكن الإسلام حضارة مشبعة بروح الندية وديانة قامت على كونها خاتمة ومكملة لما سبق وأمة حكمت العالم من قبل وإلى حين قريب كانت منبع الحضارة وأساس النهضة التي تملك دوماً مقوماتها. ومن هنا نقول أن معركة الغرب (أمريكا، إسرائيل.. الخ) في المقدمة مع الإسلام

ليست من أجل مناطق النفوذ أو سباق التسلح كما كان في الحروب السابقة ولكن هو صراع للحضارات بين حضارة تظن أنها منتهى الحضارات تقوم على منطق السلطة والقوة وتفاخر بالتطور التكنولوجي والإعجاز العلمي وقد ظهر ذلك في أفكار ومخططات كتب هذه الحضارة وبين حضارة توقن (حضارة الإسلام) أنها أرقى الحضارات على الإطلاق وخاتمة الرسالات وهي حضارة تقوم على منطق العدل والحق وتفاخر بإرثها الروحي، ولكن تفاخر بتاريخها غير أن الحياة بدأت تدب في هذه الحضارة وتتطلع إلى العودة إلى قيادة العالم.

لهذا ظهر الحرص الأمريكي والصهيوني المتكاتف والمتآزر والمتغطرس على خنق هذه الأنفاس، وقتل هذه الأفكار المنافس القوى له حتى ينفرد بالعالم وتصبح له القطبية والأحادية. وكان لابد لهذه الحضارة المستقبلية أن تحاول أن تصارع في سبيل أن تتفوق وكان لابد لها أن تستهدف العالم الإسلامي جغرافياً وتستهدف الإسلام فكرياً.

واستهداف العالم الإسلامي لم يكن حديثاً ولكن له جذور وتاريخ وأحداث سبتمبر جعلت الصراع يطفو على السطح وتحدد معالمه في حرب صليبية حديثة عبر عنها بوش بقوله أنها حرب صليبية، وقاد الحملة الصليبية الحديثة توني بلير رئيس وزراء بريطانيا وهدف هذه الحملة هو محاولة لتدمير العقيدة الإسلامية ومن قبل قادت أجنحة المعسكر الثلاثة الحرب على الإسلام وهي تمثل التبشير والاستشراق والإستعمار. إذ أن الهدف الوحيد الذي جعل النصارى ينطلقون نحو أرض الإسلام هو تدمير العقيدة الإسلامية وإخراج أهلها منها وإذا لم يتحقق هذا الهدف فلا بأس من سلب الشخصية الإسلامية مقوماتها وسلب المجتمع الإسلامي مميزاته وبالتالي هدم أهم ركيزة وأهم نواة هي الأسرة وقد عبر قادة الغرب عن هذا الهدف.

قال أحدهم جيفورد بالكرف متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه. وقال جلادستون رئيس وزراء بريطانيا ما دام هذا القرآن في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان. ويقول المبشر لورانس براون إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن

أن يصبحوا لعنة على العالم وأمكن أن أصبحوا أيضاً نعمة له إذا ما بقوا متفرقين فإنهم حينئذ لا وزن لهم ولا تأثير ومما يدل على استهدافهم الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية أن فرنسا بعد أن احتلت الجزائر كان أول عمل تقوم به هو تحويل أكبر مسجد (كيشارو) إلى كنيسة، وفي نفس زمان الحروب الإستعمارية خطب جلادستون مؤكداً أننا لا نستطيع قهر المسلمين ما بقيت فيهم الكعبة والمصحف هذه الروح التاريخية الحاقدة على الإسلام والمستهدفة له ولأراضيه ورثتها من الحضارات الغربية وتولت أمر القيادة فيها الولايات المتحدة والصهيونية وإن لم تتخل عنها الدول الأوروبية الأخرى خاصة بريطانيا التي كانت تقود الحملة في القرن التاسع عشر وكانت لها أملاك في أرض المسلمين لا تغيب عنها الشمس. العالم الإسلامي الذي أجهزت عليه الدول الغربية جعلت الحرب الآن عليه أشد ضراوة، ولاسيما أن الكتاب المسلمين في العصر الحديث أبرزوا محاسن الإسلام وأزالوا عنه الشبه التي ألصقها به المستشرقون، إذ أن المستشرقين في القرن التاسع عشر والثامن عشر كان همهم التشكيك في صحة رسالة سيدنا محمد ﷺ وأن القرآن ليس كتاباً منزلاً بل حاولوا أن يشككوا المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري، وحاولوا أن يضعفوا روح الإخاء الإسلامي وأحيوا في بلاد المسلمين القوميات والنعرات ومن ثم تجزأت بلاد العالم الإسلامي إلى وحدات سياسية صغيرة وقد كان العالم الإسلامي موحداً من قبل أن يستهدفه الإستعمار من طنجا غرباً إلى جاكرتا شرقاً، الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العصر حريصة على تكريس هذه التجزئة وأن تظل دول العالم الإسلامي دويلات ودول أخرى لها وزن وثانية لا وزن لها، لم تكتف أمريكا بما هو حاصل للعالم الإسلامي والإسلام، ما فعاله العالم الغربي قبلها منذ الحروب الصليبية بل أقامت لها ذراعاً في العالم الإسلامي يحمي مصالحها وتحمى هذه الأخرى مصالحه، ولا تنفك مصالح إسرائيل والصهيونية العالمية عن مصالح أمريكا.

فالصهيونية العالمية لها أهداف في العالم الإسلامي، ومنذ أن أسقط اليهود الخلافة الإسلامية باتصالات تمت مع الخليفة عبد الحميد بواسطة الصهيوني ثيودور هرتزل وذلك عقب مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧م وأنطلق اليهود

يؤسسون دولة تجمع شتاتهم بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل أوروبا وقد ساند اليهود في سعيهم الصهيونيين المسيحيين ومهدوا لهم بأن تقوم دولة في فلسطين ولم تكن أمامهم عقبة إلا الخلافة الإسلامية وبعد محاولات وتخطيط دقيق وتفريق لكلمة المسلمين استطاعوا إسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م في تركيا وذلك بحركة قادها يهود الدونمة بقيادة كمال أتاتورك الذي عن طريقه دخلت العلمانية إلى العالم الإسلامي ولا زالت تباعد بين المسلمين فكرياً وعضوياً، وقامت جماعات كثيرة تنادي بعودة الخلافة ومحاربة الإستعمار الحديث ولا تزال هذه الجماعات تسعى لوحدة المسلمين منها جماعات صغيرة وكبيرة ومن أكبرها جماعة الإخوان المسلمين التي وصفها أحد كتاب الغرب بأنها كبرى الجماعات الإسلامية في الشرق الأوسط ومن ثم قامت الدولة الصهيونية في بلاد المسلمين وهي دولة دينية عقدية ذات طبائع وصفات تثير القلاقل والفتن والحروب فهي دولة قومية ودينية وسياسية وعنصرية، بقبضة إستعمارية والبحث العلمي يدل أن هذه الصفات طبائع ملازمة لدولة الصهيونية العالمية، ومع هذا يحافظ اليهودي على كل صفاته في كل زمان ومكان. الصهيونية العالمية لها أطماع وأهداف لاسيما في المنطقة العربية، لهم أطماع في سوريا ولبنان والأردن ومصر والعراق والسعودية والخليج العربي، وهذا التوسع له دوافع في البلاد العربية وعوامل أربعة:

١- العامل العقدي
٢- العامل العسكري
٣- العامل الاقتصادي
٤- العامل السياسي.

سألت إذاعة ألمانيا مسئولاً إسرائيلياً سنة ١٩٦٧م ما هي عوامل انتصاركم على العرب في الحرب؟

لقد انتصرنا على العرب لخمسة عوامل: العامل السياسي، الإعلامي، العلمي، الروحي، العسكري.

وأمريكا والصهيونية لها أساليب ولاسيما الصهيونية نذكر منها وهي تمارس هذه الأساليب استهدافاً للإسلام والعالم الإسلامي:

- العمل السياسي المنظم وسط الزعماء.
- السيطرة على وسائل الإعلام.
- السيطرة على المال وإفقار الشعوب.
- التوسع العسكري واستعمال العنف والإرهاب.
- نشر الإلحاد بين الأمم ومحاربة الأديان.
- حملات الغزو الفكري.
- السيطرة على مؤسسات التعليم.
- المضاربة بالنظريات.
- الخداع كخدعة الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر.
- استخدام النساء في التأثير على ذوي السلطان.

إذن استهداف الإسلام والعالم الإسلامي ليس بجديد فهو تخطيط مرتب واشتد أواره في هذا العصر نسبة لأن الإسلام أطل برأسه من جديد وطمع أهل الإسلام أن يطبقوا عقيدتهم في حياتهم وأن يتعاملوا مع غ يرهم حسب العقيدة ذات المبادئ السمحاء وهي مبادئ إذا تم تطبيقها تطبيقاً صحيحاً لا شك كما يعلم الغرب سوف يلتحق بها البشر كلهم ويزهدون في غيرها من المبادئ لأنها عقيدة لا تحمل عداء لأحد، والمسلم ليس بدموي ولا سفاك دماء كما صوره المستشرقون وقادة الغرب. ولكن الظلم الذي يحمله الغرب النصراني بمؤازرة اليهودية والصهيونية يجعل المسلم لابد أن يحاول دفع الظلم عن نفسه، فالذي يفعله الغرب النصراني وما تفعله إسرائيل وهي تمثل الحضارة الغربية ذات الجذور النصرانية واليهودية تجعل المسلم لابد أن يحاول أن يرد هذا الظلم والعدوان ولاسيما وأن الإسلام يأمره أن يدافع عن ماله وعرضه وأرضه، وإسرائيل تدوس على كل مقررات مجلس الأمن وتدوس على كل حقوق الإنسان، فلابد أن يسأل الغرب النصراني نفسه، وكذلك الدول الإسلامية والعربية لماذا يقوم بعض المسلمين بمثل هذه الأدوار ولماذا لم يتم الحوار مع الجماعات الإسلامية بالمنطق بدل الحوار معهم بالسجون والكبت والإرهاب، أعمال كلها تؤدي إلى الانفجار والنتائج الوخيمة على الطرفين.

الخاتمـــة

أرجوا أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع (التصير - الاستشراق - الإستعمار - الصهيونية العالمية) هذا الموضوع الذي أيقنت أن البحث فيه صعب أولاً لخطورته وثانياً لسعته.

وتكمن خطورة هذه المؤسسات في أنها تعمل عمل السوس لهدم روح وكيان المجتمع الإسلامي.

وهي تحاول أن تفسد الأفكار الإسلامية واستبدالها بالأفكار الغربية بغية تغريب المجتمع الإسلامي فكرياً وثقافياً، وتفريغ المجتمع الإسلامي من أهم مقوماته الفكرية

وعندما تهزم وتهدم أفكار المجتمع الإسلامي ويظل المجتمع الإسلامي يزهد في أفكاره فبالتالي عدم الوحدة الفكرية يؤدي إلى عدم الوحدة العضوية التي هي روح المسلمين

ذلك لأن وحدة المسلمين العضوية هي الحماية لهم ضد أي هجمات إستعمارية مسلحة وواضح سعة الموضوع الذي يتناول أربعة مؤسسات كل مؤسسة جديرة بأن يفرد لها بحث متخصص وكل مؤسسة لا تقل شأناً عن غيرها وواضح أن مؤسسات التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية العالمية تتآزر فكرياً وتتوحد عقلياً أي أنها ذات مضامين واحدة ووسائل مختلفة، ما يعبر عن وحدة المعنى واختلاف المبنى، حاولت أن أجمع معلومات مبسطة من مراجع موثقة تناسب القارئ الذي لا تتاح له الفرصة أن يتعمق في مثل هذه المواضيع فحسبي أني أشرت إلى خطورة هذه المؤسسات ويظل عملي هذا ناقصاً تكمله جهود العلماء من هذه

الأمة. وأن يقدموا لها زاداً يحمي أفكارها من الذوبان في غيرها إذ أن مهمة العلماء هي حراسة هذا الدين لاسيما في العصر الذي تتنكر كل القيم الروحية ولاسيما الإسلامية.

وقد حاولت أن أجعل هذا البحث معاصراً وليس تاريخياً فحسب فزودته بمقالات في الفصل السادس. كانت هذه المقالات قد كتبتها على صفحات بعض الصحف السودانية في الفترة ما بين ٢٠٠٠ - ٢٠٠٣م، وذلك في قمة هجوم الغرب الصليبي على الشرق الإسلامي، أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يدخر لي أجر عند كبر سني وانقضاء أجلي، كما أسأل الله تعالى أن يكون عملاً نافعاً يدافع عن الوجود الإسلامي في عالم الأفكار.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصـــادر

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، صحيح البخاري، الطبعة الثالثة، (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م)

نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة وأثره ومواجهته، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٩٩٤م، بحث غير منشور.

ثالثا: المراجــع

آل شاتيلية، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة وتلخيص محب الدين الخطيب ومساعد اليافي (بيروت، بدون تاريخ).

آلان تايلور، تعريب شكري محمود، مدخل إلى إسرائيل.

إبراهيم عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولة في بلاد الخليج، الطبعة الأولى، الرياض، مطبعة العبيكان، ١٩٩٣م.

إبراهيم عكاشة، ملامح التنصير في الوطن العربي، جامعة الإمام محمد ابن سعود).

أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م).

أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في البلاد الإسلامية، الطبعة الأولى (لبنان: دار الندوة للتوزيع، ١٩٦٥م)

أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة العاشرة (الكويت، دار القلم، ١٩٧٧م).

أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث، الطبعة الأولى (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١م).

أحمد عبد الحميد الشاعر، الإسلام والفكر الغربي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٦م).

أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٢م).

أحمد غراب، رؤيا إسلامية للاستشراق (لندن، المنتدى الإسلامي).

أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها.

الإمام محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية

أنور الجندي، الصحافة والأقلام المسمومة، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الاعتصام للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م).

أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).

التجاني عبد القادر، الفكر السياسي الإسلامي والعلمانية، بدون طبعة (الخرطوم: المركز القومي للإنتاج الإعلامي، ١٩٩٥م)

جاك دوماك، ماري لورا، التحدي الصهيوني، مترجم

جلال العالم، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله.

ح. هـ - جانسن، ترجمة راشد حميد، الصهيونية وإسرائيل وآسيا.

حبيب قهوجي، الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة

حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري في العالم الإسلامي، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

حسن مكي محمد أحمد، أبعاد التبشير المسيحي في العاصمة، (الخرطوم، المركز الإسلامي).

حسن مكي محمد أحمد، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان، (الخرطوم، المركز الإسلامي).

حسن مكي محمد أحمد، المشروع التنصيري في السودان (الخرطوم، المركز الإسلامي).

دليل منظمة الدعوة الإسلامية (الخرطوم، مطبعة سحر).

ديزموند ستيوارت، ترجمة فوزي وفا، ثيودور هيرزل

رابطة العالم الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (الرياض: مطبعة سفير، ١٩٨١م)

رحمة الله الهندي، إظهار الحق على الخلق، الطبعة الأولى (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ)

رمضان لاوند، من قضايا الإعلام في القرآن

سعد بن السيد صالح، التبشير الصليبي.

سعيد دمبلاوي، جريدة ألوان العدد ١٧٧٦، الخرطوم.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول.

سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى (مكة: دار عكاظ، ١٩٨٢م).

سليمان حاتم، الصهيونية العالمية وخطرها على البشرية

سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثاني، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الشروق، ١٩٧٧م)

صبري جرجس، تاريخ الصهيونية

عبد الجليل، ريفا، التنصير في أفريقيا.

عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، الطبعة الأولى (بيروت: دار القلم، ١٩٩٨م).

عبد الرزاق ديار بكرلي، بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، الطبعة الثانية (مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، ١٣٩٤هـ).

عبد العزيز إبراهيم، التنصير في الخليج.

عبد الله عزام، الإسلام ومستقبل البشرية

عبد الحميد بن أبي أويان، أصول الصهيونية ومآلها

عبد السميع سالم الهروي، الصهيونية والدين والسياسة

عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري وأهدافه ووسائله، الطبعة الثانية (مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، ١٣٩٤هـ)

عبد العزيز بن مصطفى كامل، حمى سنة ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى (الرياض: دار السليم للنشر، ١٤٢٠هـ).

عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابة الغربيين عن التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الإسلامية، ١٤١١هـ).

عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، بدون طبعة (المدينة: مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ)

عبد الكريم علي باز، افتراءات فيليب متى وكار بروكلمان على التاريخ الإسلامي (جدة: تهامة للنشر والتوزيع).

عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والإستعمار الأوروبي لأفريقيا (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م

عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه الإستعمار الفكري، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٩٥م)

عبد الودود إبراهيم شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته (القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ)

عبد الوهاب محمد المسيري، اليهودية والصهيونية

علاء الدين أبو بكر، المسيحية الحقة كما جاء بها المسيح، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٩٧م)

علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، بدون طبعة (الرياض: دار عكاظ، بدون تاريخ).

علي عبد الحليم محمود، جمال الدين الأفغاني، بدون طبعة (جدة: دار عكاظ، بدون تاريخ).

علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٩م).

علي محمد جريشة، التخطيط للدعوة الإسلامية، مكة المكرمة: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي).

عماد الدين خليل، فصول في المنهج والتحليل

عمر رشدي، الصهيونية وربيبتها إسرائيل

عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م).

علي محمد جريشة، التخطيط للدعوة الإسلامية، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة

قاسم السمرائي، الاستشراق بين الموضوعية والاقتصادية، الطبعة الأولى (الرياض: دار الرفاعي للنشر والطبع والتوزيع، ١٩٨٣م).

قاسم حسن، العرب والمشكلة الفلسطينية

كو مندور وليم كار، الدنيا لعبة إسرائيل.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المعاهد المصرية الإسرائيلية

متولي شلبي، أضواء على المسيحية، الطبعة الثانية (الكويت: الدار الكويتية، ١٩٧٣م).

مجموعة من الكتاب، الإسلام والغرب، الطبعة الأولى (الكويت: مجلة العربي، بدون تاريخ).

محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).

محمد البهي، الفكر الإسلامي المعاصر وصلته بالإستعمار الغربي، الطبعة الحادية عشر (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٨٥م).

محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، الطبعة الأولى (المنصور: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٥م).

محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين

محمد جلال عباس، السد الإسلامي في أفريقيا، الطبعة الأولى (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٧٨م).

محمد جلال كشك، النكسة والغزو الفكري، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م).

محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ وبدون دار نشر).

محمد شفيق غربال، الموسوعة الميسرة.

محمد ضياء الأعظمي، اليهودية والمسيحية، الطبعة الأولى (المدينة المنورة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٩٨٨م).

محمد عبد الرؤوف، تاريخ الصهيونية الحديثة.

محمد عبد المعز، الصهيونية في مجال الدولي.

محمد علي الصابوني، المهدي وأشراط الساعة.

محمد فاضل الجمالي، الخطر الصهيوني.

محمد مصباح حمدان، الإستعمار والصهيونية.

محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م).

محمد موسى البر، التبشير النصراني (القضارف: السودان: مؤسسة مطبعة التربية والتعليم، ١٩٩٩م).

محمد يحيى، ورقة ثقافية في الرد على العلمانيين (القاهرة: دار الزهراء).

محمود السقا، قضية الصراع العربي.

محمود حمدي زقزوق، الإسلام في مرآة الفكر الغربي، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٤م).

محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري الطبعة الأولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ١٤٠٤هـ).

محمود شاكر، المسلمين تحت السيطرة الرأسمالية.

محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.

مدثر عبد الرحيم، مشكلة جنوب السودان، الطبعة الأولى (الخرطوم: الدار السودانية، ١٩٧٠م).

مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، الطبعة الرابعة، بيروت).

مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، الطبعة الثانية (بيروت: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

معين أحمد محمود، الصهيونية العالمية.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٩م).

نذير حمدان، في الغزو الفكري (الطائف: مكتبة الصديق، بدون تاريخ).

يوسف العظم، رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، الطبعة الأولى (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م).

يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، الطبعة الثالثة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م).

يوسف القرضاوي، حتمية الحل الإسلامي

سيـرة ذاتيـة

الاسم: د. محمد موسى محمد أحمد البر

أستاذ مساعد بكلية الدعوة والإعلام - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

رئيس قسم الدعوة ونظم الاتصال.

الميلاد: ١٩٥٢م.

الديانة: الإسلام.

أولا: المراحل الدراسية:

١- وادي سيدنا الثانوية - خريج عطبرة الثانوية العام الدراسي ١٩٧٠م - ١٩٧١م.
٢- ليسانس آداب - جامعة القاهرة (السودان) عام ١٩٧٥م.
٣- إكمال أولى آداب - كلية التربية جامعة الخرطوم.
٤- ماجستير الإعلام ١٩٨٢م من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
٥- دكتوراه في الإعلام بعنوان وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية - دراسة وصفية تحليلية - من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بتقدير ممتاز في ٢٠٠٢/٦/٩م.

ثانيا: كورسات تأهيلية:

١- كورس معلمي الثانوي العام لمدة ستة شهور.
٢- كورس أئمة ودعاة المركز الإسلامي الأفريقي بالسودان.

ثالثا: الخبرات في مجال التعليم العام والتعليم العالي:

١- أستاذ ثانوي عام بالسودان.
٢- أستاذ ثانوي باليمن الشمالي.
٣- أستاذ ثانوي بالمملكة العربية السعودية.
٤- داعية وأستاذ بالدينمارك وسط الجالية الإسلامية.
٥- أستاذ ثانوي عالي بالسودان.
٦- محاضر بجامعة أفريقيا العالمية لمدة عام.

٧- محاضر متعاون مع جامعة أمدرمان الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام.
٨- محاضر متعاون بجامعة القضارف.
٩- أستاذ مساعد بكلية الدعوة والإعلام بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - ورئيس قسم الدعوة ونظم الاتصال حتى تحرير هذه السيرة الذاتية.

رابعا: مشاركات في العمل العام:

١- سكرتير أئمة مساجد القضارف للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية.
٢- سكرتير اللجنة التنفيذية لتلفزيون ولاية القضارف.
٣- عضو مجلس أمناء تلفزيون ولاية القضارف.
٤- عضو لجان شعبية وخدمية على مستوى السكن الحي.
٥- مقدم برامج متنوعة من تلفزيون وإذاعة ولاية القضارف.
٦- تقديم محاضرات في مناسبات مختلفة في كل من ولايات القضارف وولاية الخرطوم.
٧- رئيس لجان الإعلام بولاية القضارف لمناسبات عديدة لمدة أربعة سنوات ١٩٩٥ - ١٩٩٨م.
٨- رئيس لجنة مناصرة الشعب الفلسطيني بجامعة القرآن.
٩- عضو لجنة الإعلام لهيئة علماء السودان - الخرطوم.
١٠- مقرر هيئة علماء ولاية القضارف حتى ١٩٩٩م.
١١- مدير عام وزارة الشئون الاجتماعية والثقافية بولاية القضارف بالانتداب من جامعة القرآن الكريم لمدة أربعة سنوات.

خامسا: البحوث والكتابات:

١- بحث بعنوان: التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية - غير مطبوع.
٢- بحث بعنوان: التبشير النصراني - مطبوع.
٣- بحث بعنوان: الصهيونية العالمية - غير مطبوع.
٤- بحث بعنوان: الآيات الكونية في القرآن الكريم - غير مطبوع.
٥- بحث بعنوان: المدخل إلى علم الاتصال الجماهيري - غير مطبوع.
٦- كاتب ومراسل بجريدة الراية - السودان (سابقاً).
٧- كاتب بجريدة الأسبوع - السودان.
٨- كاتب بجريدة ألوان - السودان.
٩- كاتب بجريدة الحياة - السودان.
١٠- الصراع الإسلامي الصليبي (بحث غير مطبوع).

سادسا: اللغات:

١- العربية.
٢- الإنجليزية.
٣- مبادئ الدنماركية.

العنوان:

السودان - أم درمان - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة ونظم الاتصال.
تلفون: ٥٣٧٣٣٣